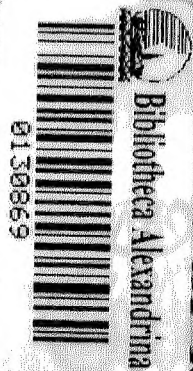


اسرائيل الى ذوات

دكتور
عبد الفتاح مقلد الغنيمي



للشؤون

إسرائيل إلى زوال

(الماضي - الحاضر - المستقبل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَامَ الرَّبُّ فَبَدَّهَا جُحُشًا وَلَمَّا
 مَا يَسْطَعُ النَّاسُ فَيَسْكُتُ وَالْأَرْضُ
 مَدَامَ الْقَلَمِ



DAR AL AMEEN

طبع * نشر * توزيع

القاهرة : ١٠ ش بستان الدكة
 من شارع الألفى
 (مطابع سجل العرب)
 تليفون : ٩٣٢٧٠٦
 ص.ب : ١٣١٥ العتبة ١١٥١١
 الجيزة : ٨ ش أبو المعالي
 (خلف المعهد البريطانى) العجوزة
 تليفون / فاكس : ٣٤٧٣٦٩١
 ١ ش سوهاج من ش الزقازيق
 خلف قاعة سيد درويش بالهرم
 ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
 للناشر ولا يجوز إعادة طبع أو اقتباس
 جزء منه بدون إذن كتابى من الناشر .

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

رقم الإيداع ٨٣٦٤ / ١٩٩٦

ISBN

977-279-087-4

الإخراج الفني :

نصر حسن سليمان

دكتور
عبد الفتاح مقلد الغنيمي

إسرائيل إلى زوال

(الماضي - الحاضر - المستقبل)

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

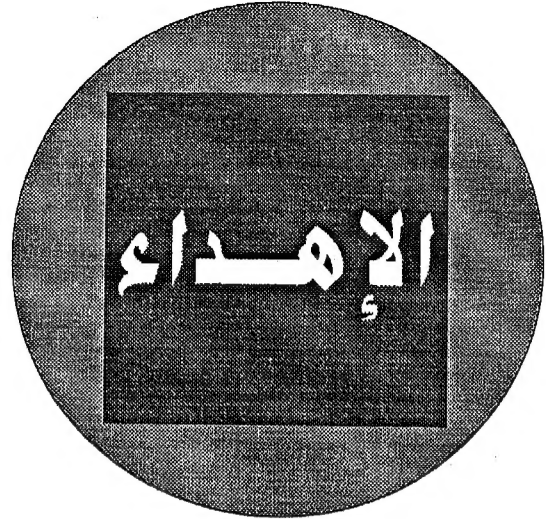


الفهرست

صفحة

الموضوع

٧	الإهداء
١١	التمهيد
٢٥	المقدمة
٣١	الفصل الأول : عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد
٤٥	الفصل الثاني : الفكر الصهيوني واغتصاب فلسطين
٥٩	الفصل الثالث : إسرائيل والمأزق التاريخي
٦٧	الفصل الرابع : السلاح النووي والدُّرَى هل يضمن بقاء إسرائيل ؟
٧٩	الفصل الخامس : الولايات المتحدة الأمريكية والتوازن العالمي
٩٥	الفصل السادس : العالم العربي والتحديات المستقبلية
١١٣	الفصل السابع : إسرائيل والانفجار من الداخل
١٣٥	الفصل الثامن : إسرائيل والانفجار من الخارج (هل تكون حرب عربية إسرائيلية أخرى) ..
١٤٧	الخاتمة



إلى كل قطرة دم أريقّت من أجل فلسطين عبر الحروب والمعارك وعبر الصراعات الداخلية وعبر المهمات السرية .

إلى مائة ألف شهيد مصرى وكل شهيد عربى ومسلم ومن شتى أرجاء العالم قاتل من أجل نصرّة فلسطين .

وإلى الذين يدركون بعد الصراع القائم فى ظل اختلال ميزان القوى العالمية فكانت مرحلة السلام ، إدراكًا للتحديات المستقبلية .

إلى الأجيال القادمة على درب الحياة عبر السنوات القادمة الذين لا يعلمون أن حيفا ، يافا ، عكا ، عسقلان ، أم الرشراش ، المجدل ، الرملة ، أشدود ، وغيرها من المدن الفلسطينية مدنا عربية ضاعت قبل عام ١٩٤٨ م .

إلى الذين يقفون بصلابة ضد محاولة اغتيال الذاكرة التاريخية العربية .
 إلى الذين يعملون للمحافظة على الهوية العربية والشخصية العربية
 ويصارعون من أجل عدم طمس هذه الهوية حتى لا تكون عربية - عبرية .
 إلى كل هؤلاء هذه الدراسة علامة على طريق المستقبل ، بل ومضة مضيئة
 تحفل بالأمل في ظل حالة التمزُّق النفسى التى يعيشها المواطن العربى والمسلم .
 من أجل القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين .

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

الأحد ١٢ ذى القعدة ١٤١٦هـ

٣١ مارس (أذار) ١٩٩٦م

أقوال

- « القرآن الكريم والمسجد الأقصى ينهيان لا محالة وجود إسرائيل » المؤلف.
- « ما دام هناك مسلم واحد يقرأ سورة الإسراء فستنتهي إسرائيل » المؤلف.
- « إن إسرائيل ستموت بالسكتة القلبية وأنها ستختفى فجأة كالأشباح ».
- جمال حمدان
- « إن إسرائيل فيل في وسط الأحراش ».
- يهود باراك (وزير خارجية إسرائيل ١٩٩٦)
- « لولا مذبحه دير ياسين لما قامت إسرائيل ».
- مناحم بيجن (رئيس وزراء إسرائيل الأسبق)
- « أسهمت مذبحه دير ياسين مع غيرها من المجازر في تفريغ فلسطين من العرب ».
- مناحم بيجن
- « الإرهاب اليهودي في الثلاثينات هو الذي سمح بإنشاء دولة إسرائيل ».
- دومنيك شوفالبييه (أستاذ تاريخ العالم العربي والإسلامي بجامعة السوربون)
- « إن القنابل البشرية الفلسطينية خلقت توازنًا مع القنابل الذرية الإسرائيلية » المؤلف.
- « إن قصاصة من الورق لن تغير من حقيقة أن إسرائيل أرض فلسطينية ».
- موريس بارديس
- « إن قيام دولة لإسرائيل تعتمد على حدود مسلحة لن يكون إلا مؤقتًا ولن تدوم ».
- اليهودي أينشتاين (أبو القنبلة الذرية)
- « إن كل حل لا يزيل إسرائيل لا محل له من البحث العلمي ».
- جمال حمدان
- « لقد غير الاستعمار طريقة تسلله إلى أرضنا في حين أننا لم نغير طريقة مواجهتنا له ».
- جمال عبد الناصر



مصر كانت ولا زالت دولة محورية بل هي قطب الرضى ومركز الدائرة وحجر الزاوية فى كل ما يخص العالم العربى والشرق الإسلامى ، فتاريخها الحضارى والسياسى يؤهلها لأن تكون هى المحور المحرك للأحداث سلمًا أو حربًا ؛ ولذا فإن دورها معروف بل أن ما تقوم به مراكز الأبحاث التى تعمل لحساب قوى معادية لمصر بالقول بأن مصر دولة هامشية فى خريطة العالم الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وأن هناك قوى جديدة تكون ركائز الشرق الأوسط أقوال مغالطة للحقيقة ؛ ذلك لأن الدور المحورى المصرى كان ولا يزال وسيظل من خلال الدعوة التى أطلقها الرئيس محمد حسنى مبارك للدعوة لمؤتمر صانعى السلام الذى عقد فى مدينة « شرم الشيخ » المصرية فى سيناء صباح الأربعاء ١٣ مارس ١٩٩٦ من الساعة الثانية عشرة إلى الثالثة بعد الظهر بالتوقيت المحلى لمدينة القاهرة ومهما ، تكن الأهداف المتعددة لمؤتمر صانعى السلام والأغراض التى دعت إلى عقده فإن المؤتمر قد ضم إحدى وثلاثين دولة من بينها أربع عشرة دولة عربية . ومنها الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية الراعيتين لمؤتمر السلام فى مدريد .

ولقد تابعت وشاهدت وتابع معي الملايين من العرب والمسلمين وكافة أنحاء العالم على شاشات التليفزيون كيف كان يجلس شيمون بيريز ، رئيس وزراء إسرائيل (السابق) مستأسداً متممراً ينظر شذراً إلى أصحاب الدشاشات (الغطر) كأنهم جرذان ، ناسياً أن هؤلاء هم أحفاد صانعي الحضارة الإسلامية أحفاد عمر بن الخطاب ، خالد بن الوليد ، سعد بن أبي وقاص ، أبو عبيدة بن الجراح ، عمرو بن العاص ، عقبة بن نافع ، موسى بن نصير وغيرهم الكثيرين من القادة العظام الذين أوصلوا رسالة الإسلام إلى حدود الصين شرقاً وفرنسا غرباً ، ومن سيبيريا شمالاً إلى قرب خط الاستواء جنوباً . دولة إسلامية كانت تشمل ثلاث قارات (أفريقيا - آسيا - أوروبا) ولكن لم يكتف شيمون بيريز بهذا فقط بل قال في جلسة كهذه وعلى أرض الكنانة : (مصر القرآن والسنة) إنه يتحدث من منطلق القوة ولم يعر أى احترام ولا تقدير وكأنه يريد أن يخيف الشعوب العربية فما الداعي لكلمة القوة هذه ، ولكن قد يكون له عذره فإن ما دار وراء الكواليس جعله يفقد أعصابه أكثر مما فقدت من إثر العمليات الانتحارية الأربع في تل أبيب وعسقلان والقدس التي أودت بحياة أكثر مما خسرت إسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، بل إن الذين شاهدوا شيمون بيريز ، وهو ينظر متميزاً يكاد ينفجر من الغيظ وهو ينظر إلى وزير خارجية السعودية (سعود الفيصل) عندما قال : « إن الإرهاب هو الإرهاب فحادث القدس والمسجد الأقصى وحادث المسجد الإبراهيمي ، واغتيال جولدشتاين للمصلين في فجر شهر رمضان هو الإرهاب » .

إنه كاد أن يلتهمه ، ولقد كان المصور التليفزيوني ناهياً عندما أدار عدسة التصوير على وجه شيمون بيريز ليرى المشاهد كيف يكون السلام مع هذه النوعيات من القادة ، لكن بيريز قد يكون له عذره لا سيما بعد أن أصر الرئيس محمد حسنى مبارك والقادة العرب على كبح جماح بيريز وراء الكواليس ، وشطب كلمة « الإسلامى » من البيان الذى كان يرى هو أن ينص على مكافحة الإرهاب الإسلامى . هذه واحدة مما شاهدته وتابعته وما شعرت به خلال ثلاث ساعات هي فترة الجلسة العلنية .

ونحن حين نقول لشيمون بيريز : فلتقل ما تقول ولتهنأ بفلسطين لك وجيلك وأحفادك من بعدك ، إن إسرائيل لم يكتمل اغتصابها لفلسطين إلى نصف قرن منذ اغتصاب (حيفا - يافا - عكا - عسقلان - أشدود - أم الرشراش - المجدل - أرسوف - الرملة) وغيرها من الأراضي الفلسطينية (١٩٤٨ - ١٩٩٦ م) ولكن هل يدوم لك هذا الاغتصاب قرن أو قرنين

التعميم

أو ثلاثة قرون (مائة عام) أو أربعة قرون ، ولكن كلاً وألف كلا ولن تدوم لك ولأحفادك خمسة قرون ، فإن لكل بداية نهاية ودوام الحال من المحال ، إنك لا تقرأ التاريخ كما لم يقرؤه كل الإسرائيليون ، وإلا لما قبلوا أن يغتصبوا أرض فلسطين ، وأعود بالذاكرة إلى ما حدث إثر حرب ٥ يونيو ١٩٦٧م والتي يمر عليها الآن تسعة وعشرين عاماً أو معركة الأيام الست التي احتلت بها إسرائيل أراضي ثلاث دول عربية : مصر (سيناء) والأردن (الضفة الغربية الفلسطينية) وسوريا (هضبة الجولان) عندما أعلن موسى ديان ، وزير دفاع إسرائيل في ذلك الوقت في مقابلة مع مراسلي صحيفة (معارف وها أرتس) الإسرائيليتين عن حقيقة المعركة الجوية التي حسمت المعركة في ست ساعات وليس ستة أيام ، قال ديان : « لقد دفعنا بكل سلاح الطيران الإسرائيلي في ذلك الوقت (٢٠٠ طائرة) في حين أن الاستراتيجية القتالية تضع ٢٠٪ من السلاح احتياطياً لكن إسرائيل غامرت ونجحت » . فرد عليه مراسل الصحيفة : « إن هذه الحقائق تخدّم العدو العربى » ، فرد ديان : « إن العرب لا يقرأون » . وهنا نحن نقول له « إن العرب إذا كانوا لا يقرأون فإن الإسرائيليين إن كانوا يقرأون فلأنهم لا يفهمون ، وإن كانوا يفهمون فلأنهم لا يستفيدون ، وأنهم لو كانوا يستفيدون لما قبلوا بأرض فلسطينية أن تكون وطناً لهم ، ألم يقرأ الإسرائيليون أن الشعب العربى صلب قوى ومقاوم لكل عوامل الانهزام والركوع ألم يقرأ الإسرائيليون أن مصر قلب الحركة العربية ظلت عشرة قرون (ألف عام) متواصلة في ظل الاحتلال اليونانى والرومانى والبيزنطى (٣٣٠ ق.م - ٣٠ ق.م) احتلال يونانى - بطلمى ، (٣٠ ق.م - ٦٤١ م) احتلال رومانى بيزنطى ؟ ، فهل يوجد في مصر العربية اليوم من يتحلى اللغة اليونانية أو اللاتينية ؟ أو هل يوجد بين الشعب المصرى من ذو سحنة إغريقية أو يونانية ؟ ، إن السحنة العربية هى التى تسود اليوم أرض مصر شأنها شأن كل العرب ، وهل قرأتم يا قادة إسرائيل أن مصر ظلت ترفع السلاح طوال قرنين كاملين وأنها صدت الحروب الصليبية والمغول والتتار (١٠٩٥ - ١٢٩٠ م) ؟ مصر ردت الصليبيين في معركة حطين ١١٨٧م وحررت بيت المقدس للمرة الثانية ١٢٤٤م وكذلك كسرت الغزوة الصليبية ١٢٥٠م في معركة المنصورة وأسر لويس التاسع وكذلك قاتلت المغول ١٢٦٠م في عين جالوت ، وكذلك قضت قضاءً نهائياً على الصليبيين في ١٢٩٠م على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون . هل قرأتم ذلك في تاريخ المنطقة ودور مصر ركيزة كل دور فعال في الحاضر والمستقبل ؟ .

وهل عرفتم أحداث الجزائر التي قدمت مليون شهيد من أجل التحرير وبعد أن ظلت أكثر من مائة وثلاثين عام (١٨٣١ - ١٩٦٢م) تحت قبضة الاستعمار الفرنسي ، هذه بعض الأمور التي نضعها أمام الإسرائيليين الذين لم يدركوا أبعاد العمق الحضاري العربي الإسلامي وهل يدرك قادة إسرائيل أن هذا الكيان الدخيل (إسرائيل) يتكون من أكثر من اثنين وخمسين جنسية جاءت من مختلف الأقطار والطوائف لاغتصاب الحق الفلسطيني ؟ ، ثم ماذا يعني موقف عيزرا فايسمان رئيس دولة إسرائيل من عدم الاشتراك في استقبال بيل كليتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذي طار إلى إسرائيل مباشرة بعد مؤتمر « شرم الشيخ » ؟ لقد رفض رئيس الدولة مقابلته في تل أبيب لأنه كان يريد أن يكون هبوط بيل كليتون بطائرته في مطار القدس حتى يكون ذلك اعترافاً من الولايات المتحدة بأن القدس هي عاصمة إسرائيل المعترف بها من قبل الولايات المتحدة ، ومن ثم فإن الشعب العربي في شتى الأقطار يعيش حالة من الإحباط الوجداني والتمزق النفسي ، بل حالة من التردّي والسقوط إثر السيطرة الإسرائيلية على الوطن العربي السليب فلسطين ونجاح المخطط الصليبي الغربي اليهودي الإسرائيلي في تحقيق أهدافه ، وفشل دعوة القومية العربية وفشل العالم العربي في القدرة على استرداد فلسطين من القوى الصهيونية التي تدعمها القوى الغربية ، لكن وسط حالة اليأس والإحباط لا بد من وجود الأمل والإحساس بالقدرة على التغلب على العقبات ؛ ذلك لأن التاريخ الإنساني دورات ونحن نعيش أضعف حلقات التاريخ العربي (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) فتحقيق قيام إسرائيل والاعتراف بها كيان شرعي في الشرق العربي أو الشرق الإسلامي وليس الشرق الأوسط ؛ لأن الأوسط تحمل ورائها مغزى سياسياً وهو قبول إسرائيل في المنطقة وعدم إطلاق الشرق العربي الذي يشمل كل الدول العربية ، والشرق الإسلامي بإدخال تركيا وإيران وباكستان باعتبار أنها دول إسلامية .

ونطرح هنا سؤالاً أمام الأجيال المعاصرة والقادمة على درب الحياة حتى لا تضيع الذاكرة التاريخية العربية والإسلامية ، بل قبل طمس هذه الذاكرة وإلغاء الهوية العربية الإسلامية ، لقد مضى نصف قرن على قيام إسرائيل فهل تكون إسرائيل أبد الدهر ؟ إنها مرحلة تاريخية بل حقبة تاريخية استطاعت القوى الغربية الأوربية ووعد بلفور ١٩١٧م والدعم الإنجليزي الغربي الأمريكي وكل دول أوربا بالمساعدة في اغتصاب فلسطين ولكنها لن تدوم قرنين من الزمان مثلما سيطرت القوى الصليبية على بلاد الشام (١٠٩٥ - ١٢٩٠م) فهل تدوم أكثر

التمهيد

من ذلك ، لقد كان عدد اليهود في فلسطين عام ١٩هـ / ٦٣٩م عندما حرر العرب لإخوانهم سكان فلسطين من سيطرة الروم وعندما قدم عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثاني ليتسلم مفتاح بيت المقدس كان عدد اليهود ثلاثة أسر (اثني عشر شخصاً) ، كذلك بعد مرور أكثر من اثني عشر قرناً (١٧٩٨م) عندما ذهب نابليون بونابرت لفتح الشام بعد غزو مصر فإن عدد اليهود كان أقل من ألفين نسمة (١٨٠٠ فرد) منهم ٢٣٥ شخص في القدس ، كذلك وصل هذا العدد عام ١٩١٤م أى قبل إعلان الحرب العالمية الأولى ستين ألف نسمة ، وهذه الأعداد القليلة التى فتحت أبواب الهجرة إلى فلسطين من شتى أقطار العالم أمامها ليصبح عددهم حالياً أكثر من خمسة ملايين (وقف إحصاء الأمم المتحدة عام ١٩٩٤م) . فلك الحق يا شيمون بيريز أن تقول : إننى أتحدث من منطلق القوة ، فأنت الذى أشرفت على بناء المفاعل النووى في ديمونة وتعلم علم اليقين أسرار كل شيء عنه ، وأنت الذى كنت مساعد وزير الدفاع عندما تم توقيع عقد إنشاء المفاعل عام ١٩٥٦م مع الطرف الفرنسى ، وأنت تتحرك لتقيم دولة ونحن العرب نتحرك لأمر يعلمها الله ولا داعى للتفاصيل .

لكن رغم كل هذا فإن الذين يدرسون حركة التاريخ يدركون لا محالة أن إسرائيل دولة مرحلية اقتضت ظروف الصراع على مصادر الطاقة (البترول) والمعادن إضافة إلى عدم إعطاء الفرصة لقيام كيان عربى موحد في غرب آسيا لكى تكون الدولة العربية الواحدة ؛ لأن توحيد العالم العربى في دولة عربية في هذه المنطقة سيشكل تهديداً على أوروبا ، وكذلك سيشكل حالياً تهديداً للمخطط الأمريكى لإعادة رسم عالم جديد لا تريد أن يكون فيه كيان عربى إقليمى قوى . لأن ذلك يعيد للأذهان فتح الأندلس (٧١١ - ١٤٩٢م ، ٩٢ - ٨٩٧هـ) كذلك تقدم المسلمين في فرنسا وصولاً لبلدة سانس على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوب باريس العاصمة الفرنسية الحالية (انظر معركة بلاط الشهداء للمؤلف - عالم الكتب القاهرة ، ١٩٩٦) فإن ذلك اقتضى قيام إسرائيل على حساب الوطن العربى (٢٧٠ مليون نسمة) .

كذلك فإن المتغيرات العالمية مؤخراً ١٩٨٩م بعد انهيار المعسكر الاشتراكى بقيادة الاتحاد السوفيتى وسقوط حائط برلين وتوحيد ألمانيا الغربية مع الشرقية وخروج دول شرق

أوروبا (يوغسلافيا ، بولندا ، المجر ، تشيكوسلوفاكيا ، بلغاريا ، رومانيا) وغيرها من الدول الأخرى الصغيرة عن نطاق الاتحاد السوفيتي ، وتفكك الاتحاد السوفيتي نفسه إلى عدة دول منها ست دول إسلامية ، جمهوريات آسيا الوسطى (انظر كتاب الإسلام والمسلمون في آسيا الوسطى للمؤلف ، القاهرة ، ١٩٦٦) فإن كل ذلك قد دفع الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة المسيرة العالمية منذ عام ١٩٨٩ ، والوقوف بكل قوة خلف إسرائيل والعمل على أن تكون متفوقة عسكرياً وعلمياً وتكنولوجياً على كل البلاد العربية (٢٧٠ مليون نسمة) وبقية دول العالم الإسلامي (٢٥٠ ، ١ مليار ومائتين وخمسين مليون نسمة) ربع سكان العالم (إسرائيل ٥ مليون يضاف إليهم ثمانية ملايين يتوزعون في بقية أنحاء العالم ، أكثرهم في الولايات المتحدة الأمريكية) .

كذلك فإن ما قام به صدام حسين حاكم العراق الغبي من تصرف أحمق باحتلال الكويت ، وإعطاء الفرصة للولايات المتحدة الأمريكية بقيادة دول التحالف ، وضرب العراق والتحكم في مقدراته ، ودفع إسرائيل لتحقيق كل أهدافها في العالم العربي ، وفرض الصلح والسلام على العرب من منطلق القوة ، واتخاذ الأسطول الأمريكي الخامس قاعدة دائمة له في الخليج العربي في دولة البحرين .

كذلك فإن صدام ودخوله في صراع ثمانية أعوام (١٩٧٩ - ١٩٨٧ م) مع إيران دون طائل أو فائدة إلا هلك الحرث والنسل ، ثم تنازله عن شط العرب الذي كان سبب الصراع عندما فكر في غزو الكويت (أغسطس ١٩٩٠ م) ، وما كان له من أثر في تمزق العالم العربي وعدم العودة للتعاون والتضامن أو الوحدة والتعاون الشعبي ، وعدم قدرة صدام على امتلاك السلاح النووي لا سيما أن العراق كان قد قطع شوطاً كبيراً ربما كان لا يستغرق أكثر من ثلاث سنوات كما ذكرت ذلك التقارير الغربية وتكون لدى العراق قوة نووية . هذه أمور أخرى مكنت لأن يأخذ السلام بعداً آخر وفقاً للمخطط الإسرائيلي ، كذلك لعبت القوى الغربية (فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا) على المساعدة في خلع شاه إيران وإعطاء حق اللجوء السياسي للإمام الخميني في فرنسا والسماح له بممارسة نشاطه من فرنسا حيث تم الإطاحة بالشاه وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، والوقعية بين إيران والعراق والدخول في حرب

التمهيد

دامت ثمانية أعوام استنزفت الطاقات البشرية والمادية طوال هذه الحرب ، ثم التفرقة بين المسلمين كأقوال الشيعة والسنة ، وكل ذلك ساعد إسرائيل لتحقيق أهدافها ، إضافة إلى أن نظام الحكم الإيراني سعى إلى تصدير الثورة الإسلامية والسيطرة على جزر طنب الكبرى والصغرى وأبو موسى وهي جزر تابعة لدولة الإمارات العربية ، وشق الصف الإسلامي وعدم كياسة النظام الإيراني في هذا الصدد بتعاون مع بلدان العالم العربي .

كذلك موقف إيران والخلاف العميق بين مصر وإيران وقطع الأخيرة علاقاتها مع مصر بعد توقيع اتفاقية كامب دافيد ، عام ١٩٧٩ ، ولا زالت العلاقات مقطوعة رغم مضي أكثر من خمسة عشر عامًا ، وكل هذا أضعف الصف العربي والإسلامي وأعطى الفرصة لإسرائيل لكي تحقق أهدافها لكن الساحة العربية والإسلامية تشهد مؤخرًا نوعًا من الحركة الفاعلة والفعالة .

لكن تحقيق الهدف الإسرائيلي لن يكون إلا مرحليًا ؛ ذلك لأن العرب الذين يشكلون الدائرة أو الطوق المحيط بإسرائيل ليسوا كالهنود الحمر في أمريكا معرضون للإبادة أو كشعوب البوشمن أو الهنتوت أو البانتو أو الأقزام في أفريقيا لكنهم شعب له ميراث حضاري وثقافي قديم ضارب في جذور التاريخ ، كما أن القرآن الكريم والإسلام يحفظان المسلمين والعرب دون أي مساس لأن القرآن والإسلام وجدا أبد الدهر .

ونقول أنه رغم التقدم العلمي الإسرائيلي الهائل والصناعي والزراعي والحربي والتكنولوجي والتعليمي إلا أن كل هذا ليس بقادر على البقاء والاستمرار فالمعاملة العنصرية وما كان يفعله الرجل الأبيض في جنوب أفريقيا طوال أكثر من ستة قرون لم يستطع أن يفرض نفسه على الأغلبية الأفريقية ، ولكن جنوب أفريقيا عادت لأهلها الشرعيين فهل يكون ذلك عبرة (جنوب أفريقيا - الاتحاد السوفيتي - الاستعمار القديم والحديث) ؟ ، كذلك فإن القهر والقوة لن يقفعا عقبة في طريق التضامن العربي ، إن العالم العربي والإسلامي في حاجة إلى شخصية قيادية قادرة على استعادة الحق الفلسطيني ، والأحداث التاريخية قادرة على إبراز هذه الشخصية ، فدرس التاريخ يقول : إنه عندما انهارت فرنسا في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) أمام القوات النازية الألمانية وأقام الألمان حكومة فيشي العميلة لهم فإن

شارل ديغول استطاع الوصول إلى بريطانيا ومقابلة (ونستون تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت وطلب منه الاشتراك باسم فرنسا في الحرب ، ودار حديث طويل مسهب خاطب فيه تشرشل ديغول قائلاً : ماذا بقى من فرنسا بعد سقوطها بالكامل في قبضة الألمان فرد ديغول بصوت عال : (لقد بقيت أنا) واستطاع ديغول أن يقود المقاومة الفرنسية ويحرر فرنسا بمساعدة الحلفاء من الاحتلال الألماني ، كذلك عندما سقطت اليابان في نفس الحرب العالمية الأخيرة إثر ضرب هيروشيما ونجازاكي بالقنابل الذرية ، وتوقيع الامبراطور الياباني اتفاقية للاستسلام فإن اليابانيين أصروا على احترام وبقاء شخصية الامبراطور كرمز للدولة والمحافظة عليه ، ومن هنا فالفرد القائد لا بد أن يظهر على الساحة العربية أو الإسلامية ويعيد الحق الشرعى والمشروع لأصحابه .

كذلك وقوع القادة اليهود في خطأ تاريخي قاتل بعدم قبولهم إقامة دولة يهودية في الأرجنتين أو شمال كينيا أو أوغندا أو قبرص أو إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي والتمسك بإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين ستكون كارثة مستقبلية تذكرهم بما حدث من نبوختصر الأكادى وسرجون الأشورى وما فعله الفرس والرومان ، لقد خسر العرب ثلاث حروب متواصلة (١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧ م) ولم يتحقق أدنى هدف لإسرائيل سوى قيامها وأخيراً الاعتراف بوجودها في ظل ظروف عربية غير طبيعية، لكن خسران إسرائيل لأية معركة مستقبلية ستكون نهاية هذا الكيان الإسرائيلى ، فهل تدرك إسرائيل أن ذلك لا محالة قادم مهما كانت إسرائيل تملك قوة تكنولوجية وصناعية وسلاح نووى أو صواريخ عابرة أو أقمار تجسس أو إقامة مستعمرات مستقبلية على سطح القمر والاشتراك مع الولايات المتحدة في حرب الكواكب (النجوم) أو تخزين الأسلحة في مستعمرات في القمر أو في سفن الفضاء أو مركز الاستشعار من البعد ، فإن كل ذلك ليس بقادر على بقاء إسرائيل في وسط عربى لا يقر شعبه شرعيتها رغم اعتراف الحكومات بوجودها .

إن السلام المعقود حالياً مع إسرائيل هو سلام حكومات وليس سلام شعوب وإلا فهل تم استفتاء شعبى على هذا السلام في مصر والأردن وفلسطين كما يطالب شيمون بيريز باستفتاء شعب إسرائيل للانسحاب من الجولان السورية ، إن ذلك لم يحدث ؛ لأن الشعب المصرى

بحسه الحضارى وعمقه التاريخى يقف ضد التطبيع فهو الشعب الذى قاد حرب (٦ أكتوبر ١٩٧٣م، العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ) واسترد للكرامة العربية شخصيتها وحطم خط بارليف وأسر العديد من القوات الإسرائيلية، والهرولة الإسرائيلية فى ذلك الوقت طالبة النجدة الأمريكية واستنجد جولدماير بالرئيس الأمريكى نكسون والاستعداد الإسرائيلى للاستخدام النووى وفقاً للهجوم المصرى الكاسح (٦ - ١٤ أكتوبر).

كذلك فإن القرن الحادى والعشرين القادم سوف يشهد تغير الميزان العالمى وعدم تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم وانحسار الدور الأمريكى، والتطور الاقتصادى والتجارى فى شرق آسيا والتقارب الصينى اليابانى هو أكبر خطر يهدد الكيان الأمريكى بسبب تقدم الإنتاج الصناعى وإنتاج هذه الدول يشكل ٢٤٪ من الإنتاج العالمى يضاف إليه ١٢٪ إنتاج الهند ليكون إنتاج آسيا ٣٦٪ من الإنتاج العالمى، والولايات المتحدة وكندا والمكسيك تنتج ٢٤٪ من الإنتاج العالمى (دول النفط) حتى نهاية عام ٢٠٠٠م يكون الناتج القومى لدول شرق آسيا ٣٠٪ يضاف إليهم ١٥٪ إنتاج الهند يكون ٤٥٪ من الناتج العالمى، يشكل إنتاج آسيا ٧٧، ٦ تريليون (أمريكا - المكسيك - كندا)، ٤، ٦ تريليون (الاتحاد الأوروبى) القرن القادم قرن آسيا لا محالة. كل ذلك سوف يساعد على التوازن العالمى الذى يتيح للعرب دوراً آسيوياً تعاوناً مع هذه الدول يعيد الحق لأصحابه بعد تراجع القوى الغربية، كذلك ظهور مشكلة الديون الأمريكية والاستثمارات اليابانية فى أمريكا وتحكم رجال الصناعة اليابانيين فى الصناعات، كذلك فإن الولايات المتحدة دولة هجرة من أنحاء مختلفة فى العالم وعدم تجانس المجتمع الأمريكى وظهور أمة الإسلام، ودور (لويس فراقان) وقيامه بزيارة دول تعارض السياسة الأمريكية (إيران وليبيا والعراق وسوريا) وحركة الزواج ومشاكل الهجرات الآسيوية، ودول البحر الكاريبى وأمريكا الجنوبية ومشكلة الهنود الحمر فى جنوب المكسيك وظهور دورهم فى المجتمع، والقوميات الأوربية والشعوب البيضاء الأيرلنديين يشكلون ٤٠ مليون من مجموع السكان ٢٦٠ مليون، كل ذلك لن يكون فى صالح إسرائيل والعلاقات مع أمريكا. كذلك ظهور قوة إسلامية من دول النمور الآسيوية أندونيسيا وماليزيا وكذلك باكستان وامتلاك سلاح نووى والتقدم الاقتصادى فى هذه الدول والشعور الدينى فى تركيا

وحزب الرفاة الإسلامى المعارض وزعيمه نجم الدين أربكان وحصول حزبه على ٢٢٪ من الأصوات (١٥٨ صوت) وكذلك التطور العلمى والتكنولوجى والاقتصادى والسعى لامتلاك السلاح النووى ، وثورة خمسين قرية عربية فى إسرائيل ، والثورة باسم ثورة الأرض التى قامت عام ١٩٧٦ م راديو لندن ٢٩/٣/١٩٩٦ م ثورة عربية فى كل القرى العربية فى إسرائيل كذلك دور جمهوريات آسيا الوسطى الست (أذربيجان - كازاخستان - ، تركمانستان - أوزبكستان - قازاقستان - طاجيكستان) .

والتعاون العربى الإسلامى مع هذه الدول لا سيبا تحرك علماء الذرة منها إلى العراق - ليبيا - إيران - والمساهمة فى المجالات العلمية والصناعية مما سيشكل دفعة علمية متطورة فى مصر وليبيا وتركيا وسوريا وإيران والعراق وتركيا وباكستان ، وأن الدور الإسلامى الثقافى والهوية الإسلامية الثقافية ستكون محور التحرك فى القرن الحادى والعشرين مما سيشكل تهديداً للوجود الإسرائيلى ، وحتمية زوال إسرائيل مهما كانت اتفاقيات السلام ، كذلك فإن الأقليات العربية الفلسطينية فى إسرائيل والتى تشكل ما يقرب من مليون نسمة خمس سكان إسرائيل يشكلون ١٢,٥ ٪ من مجموع سكان إسرائيل وسوف يشكلون قوة مستقبلية عشرة أعضاء عرب إسرائيليين فى الكنيسيت (عدددهم ٢٧٠ ألف نسمة عام ١٩٤٨) زيادة أربعة أضعاف فى خمسين عام ، زيادة نسبة المواليد والخصوبة لدى العرب والعمل على ازدياد عدد السكان العرب وكذلك فإن السلطة الفلسطينية فى غزة والضفة الغربية يشكلون ٢ مليون نسمة + مليون نسمة عربى إسرائيل = ٣ مليون = ٤ مليون يهودى ، الشخصية الفلسطينية المجاهدة الصابرة والفدائية المقاتلة المثقفة المتعلمة ، رجال الاقتصاد والمال الفلسطينين ودورهم فى بناء منطقة الحكم الذاتى والاستعداد لجولة قادمة ، والعالم العربى لن يظل اثنتين وعشرين دولة ولا بد أن تظهر وحدات سياسية مستقبلية ، ولن يكون مجلس التعاون الخليجى إلا وحدة واحدة مستقبلا ، ثم توحيد سوريا الكبرى (سوريا - لبنان - الأردن - فلسطين) مصر وليبيا والسودان وبلاد المغرب الأربع (تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا) الوحدة العربية عامل حاسم فى إنشاء الكيان الإسرائيلى) .

إننا حين نضع هذه الدراسة فنحن ندرك مدى التقدم العلمى الأمريكى الذى تغترف منه إسرائيل للتطور والتقدم ، والذى يقابله على الجانب العربى تخلف علمى تكنولوجى وصناعى وزراعى يجعل إسرائيل وأمريكا فى مركز القوة ولكن ذلك لن يحول دون الإحساس بقدرة العوامل الكامنة فى الإنسان العربى والقدرة على إحداث تغيرات جوهرية فى الحياة العربية بجميع أنماطها على المدى البعيد أو القريب ، حيث أن الزمن لا يقاس بعدة سنوات أو بمئات السنين ، ولكن الإيمان بحتمية البقاء بحكم العامل الروحى (الإسلام والقرآن الكريم) والعامل الثقافى والصراع الثقافى والتاريخى والجنسى والسلالى فكل هذه العوامل قادرة على إحداث الصدمة القوية إلى الأبد ، وأن ينتهى وجود إسرائيل مهما طال بها الأمد والمقام فى أرض عربية إسلامية فلسطينية (فلسطين عربية منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد) وفلسطين إسلامية منذ ألف وأربعمائة وستة عشر عام ، ١٤١٦ هـ) والتاريخ قادم وليس هناك قبول بمقولة انتهاء التاريخ أو نهاية التاريخ .

إن القوى الغربية والشرقية من وراء إبقاء إسرائيل فهذه القوى (أمريكا وروسيا) قامت بخداع الرئيس جمال عبد الناصر وما قام به السفير الروسى بالقاهرة فجر ليلة ٢٧ مايو ١٩٦٧م عندما أيقظ الرئيس عبد الناصر ، من نومه وأبلغه رسالة عاجلة من القادة السوفييت بعدم توجيه ضربة لإسرائيل ، وكذلك قيام السفير الأمريكى الذى لم يكن قدم أوراق اعتماده رسمياً بالتهديد بالتدخل ضد مصر إذا قامت بالضربة الجوية فجر ٢٧ مايو بعد أن علمت بها مخابرات الدولتين ، وكان ذلك يعنى التآمر على القوات المصرية وإعطاء الضوء الأخضر والسماح لإسرائيل بأن توجه الضربة الجوية الأولى فى ٥ يونيو ١٩٦٧م وكانت الطامة الكبرى وأصبح شعار العرب تحرير الأرض المحتلة وترك فلسطين عام ١٩٤٨م وارتفع شعار الأرض مقابل السلام .

إننا حين نضع هذه الدراسة أمام الأجيال المعاصرة والأجيال القادمة على درب الحياة عبر أجيال قد يطول تواريخها وقد يقصر فإننا أردنا أن لا يتم اغتيال ذاكرة التاريخ العربى أو طمس الهوية العربية أو محو الذاكرة العربية ؛ لكى لا تعرف الأجيال القادمة أن (حيفا ، يافا ، عكا ، المجدل ، عسقلان ، الرملة ، اللد ، أم الرشراش وأرسوف وغيرها مدن عربية)

وأن فلسطين من النهر إلى البحر .. وكلك لتعلم الأجيال أن إسرائيل سوف تموت بالسكتة القلبية كما مات الاتحاد السوفيتي قبلها بالسكتة القلبية وانهارت التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا ، وزالت للأبد الامبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس وهي الآن تعاني مشكلة (مرض جنون البقر) فهل تتعظ إسرائيل أم السير في التعبئة العسكرية كما حدث في لبنان (١١ - ٢٧ أبريل ١٩٩٦) التي تؤدي إلى الهلاك .

إننا حين نضع هذه الدراسة ندرك الحس التاريخي والعمق الحضاري العربي الإسلامي القادر على مواجهة التحدي والتصدي في المدى القريب أو البعيد ، وكذلك نحن ندرك الدور القوى الفعال الذي تمارسه الولايات المتحدة والتقدم العلمي الهائل والسيطرة على الكواكب ، كذلك فإن الشعب الأمريكي لن ينسى هزيمته الساحقة في فيتنام التي كانت تساعد ها الصين ، بالمال والسلاح والرجال وخسرت أمريكا سبعين ألف قتيل ولا زال الرجال في أمريكا يعانون من الانهيار النفسي والجسدي في المستشفيات وفي بيوتهم، فقد كانت الصدمة مروعة صدمة الدولة العظمى لخسارتها الحرب والجنود الأمريكيين الذين عاشوا في الوحل وماتوا في الطين والصدمة في انهزام الدولة القوية أمام الدولة الصغيرة (فيتنام) الدولة الغنية أمام الجياع العراة أكلة الضفادع شاربي مياه الحقول والمستنقعات ولكن رؤوسهم في السماء وكبرياتهم أكبر رصيد من الذهب والماس ، لكن أوراقهم المالية في التاريخ ، فهل يدرك العرب قوة دورهم المستقبلي وأن تكون أوراقهم المالية في التاريخ وليس في بناء القصور أو المقامرة أو سلاح إسرائيل يباع بأيدي عربية (عدنان خاشقجي) ، لكن أمريكا فيتنام ليس أمريكا الشرق العربي أو أمريكا مدمرة الاتحاد السوفيتي ، فأمريكا اليوم القوة العالمية الوحيدة والوصول إلى القمر وأرمسترنج عام ١٩٦٩ م وبناء مساكن على سطح القمر منذ ٣١ يناير ١٩٨٦ م كذلك الوصول إلى المريخ واكتشاف مصادر يمكن استغلالها للحياة كوجود وديان ثلجية مليئة بالثلوج والتفكير في بناء مساكن دائمة لسكنى أفراد ، كذلك التقدم في حرب الكواكب وتخزين مواد حربية وأسلحة في هذه الكواكب ، وسفن الفضاء التي تدور حول الأرض منذ عدة سنوات في رحلات تستمر أكثر من عامين متواصلين ، وكذلك تقدم علم الهندسة الوراثية وعلم استنساخ الأجنة وتخليق إنسان في أنبوب وغيرها من العلوم المتطورة ، وكذلك عصر

الكمبيوتر ومراكز الاستشعار من البعد وغيرها من العلوم المتطورة ، والقدرة على قتل إنسان عن طريق تسليط أشعة على صورته ومن جو معين لتقتل صاحب الصورة في مكانه باستخدام الاستشعار من بعد كما حدث في مقتل الفلسطيني المهندس (يحيى عياش) عن طريق الروموت كونترول وتسليط أشعة على مادة غريبة وضعت في جهاز التليفون الذى تم عن طريقه قتل الفلسطيني عن طريق طائرة هليكوبتر ، إن كل هذا التقدم لن يحول دون عودة الحق ، ذلك لأن نقطة الدم لا تموت أو تنمحي مع الأيام ، فهى نقطة غير قابلة للعفن أو العطن ، فما ضاع حق وراءه مطالب ولن تضيع ديار العرب هباء دون إقامة العدل على أرض فلسطين .

ولكن ننهى هذا التمهيد بذكر أقوال تثبت نهاية إسرائيل ومن ذلك ما قاله اليهودى «أينشتين» : « إن معرفتى بالطريقة اليهودية تجعلنى أشك فى وجوب قيام دولة لإسرائيل تعتمد على حدود مسلحة وإلا فإن هذه الدولة لن تكون إلا مؤقتة ولن تدوم » . كذلك قال الباحث الإنجليزى « مورييس بارديس » عام ١٩٦٧ ما يلى : « وإن الأحقاد التى تثيرها إسرائيل سوف تنهال عليها من جديد إن عاجلاً أو آجلاً سواء اعترف بوجودها رسمياً أم لا ، إذ أن قصاصة من الورق لن تغير من الأمر شيئاً » .

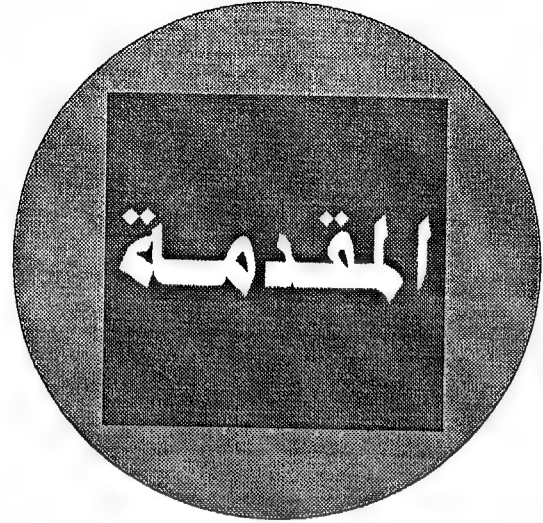
ولما كانت إسرائيل محصورة داخل رأس جسر على شاطئ البحر وكانت محاطة بشعوب لا تهدأ فقد حكم عليها بأن تلعب لعبة خطيرة غير مأمونة الجانب قد تكسب فيها مرة أو مرات ولكنها ستظل تحت رحمة هزيمة واحدة وسيصبح موقفها عند ذلك باعثاً على الأسى وغير قابل للإصلاح وقد حدث ذلك فى حرب رمضان ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م وسوف يحدث بعد عدة أعوام ولن تدوم قصاصة الورق .

وقد قال العالم المفكر العربى « جمال حمدان » : (إن كل ما لا يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل عام ١٩٤٨ بل قبل عام ١٩١٨ مرفوض بلا نقاش وأى حل لا يزيل إسرائيل من الوجود لا محل له من البحث العلمى) : فإذاً هى لن تبقى وسوف تزول كما أكد كل

الفلاسفة والعلماء والباحثين ومنهم العالم اليهودي أبو القنبلة الذرية (أينشتين) فهل في ذلك جدال ١٩.

ومن ثم فإننا في هذه الدراسة لا نجد خير مما تختتم به هذه المقدمة التمهيدية سوى قوله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديداً فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ﴾ (صدق الله العظيم) .

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم قرآنه الكريم : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ﴾ والصلاة والسلام على النبي العربي القرشي محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه وذريته ومن سار على نهجه إلى يوم لا يبقى على الأرض بشر .

أما بعد ...

فتلك هي دراسة تربط الماضي بالحاضر والمستقبل بعنوان (إسرائيل إلى زوال) أردت أن أضعها بين يدي القارئ الكريم في كل مكان تصل إليه هذه الصفحات ذلك لأن الإنسان العربي وهو يدلف إلى القرن الحادى والعشرين وهو يرى إسرائيل توطد أركانها وتقيم علاقاتها وتمد جسورها لتصبح عضواً شرعياً في الشرق العربي والإسلامى فإنه يعيش حالة من التمزق النفسى وعدم وضوح المعالم المحددة التى تنير الطريق أمامه وأمام الأجيال القادمة فى ظل

التفرد الأمريكي بقيادة المسيرة العالمية وفي ظل فرض السلام من منطلق امتلاك إسرائيل لمائتي أو ثلاثمائة رأس نووى (٢٠٠ - ٣٠٠ رأس نووى) وترسانة من الأسلحة المتطورة وفي ظل التشردم العربى والتفوق والإقليمية الضيقة والهرولة إلى السلام المنقوص والتطبيع والحماية الأمريكية الإسرائيلية على حساب وحدة الصف العربى .

وحتى لا يتم اغتيال الذاكرة العربية التاريخية بل ومحوها وطمس الهوية العربية لكى تصبح شخصية عربية - عبرية شرق أوسطية وتشويه حركة التاريخ العربى وتعطيل العقل العربى وسلب حواسه والتعتيم على الحقائق ووصف العدو بالصديق وربما بالحليف والشريك فى فترة قادمة فأردت أن تكون هذه الدراسة تنشيطاً للذاكرة العربية حتى لا تصاب بالتعطيل والبعد عن حاضرها (١٩٤٨ - ١٩٩٦) وماضيها الإسلامى ١٤١٦ هـ وماضيها القديم فى ظل الحضارات العربية ، الفرعونية ، الآشورية ، البابلية ، الكلدانية ، الفينيقية ، الكنعانية ، الحميرية ، السبئية ، المعينية ، الآرامية وغيرها من الحضارات التى كانت جميعها من نبع واحد فياض هو الجزيرة العربية التى خرجت منها هذه الهجرات لتكون أقدم حضارات التاريخ وجاءت على أثرها حضارة الإسلام لتكون خير عون لاسترداد الحق العربى السليب فى أرض فلسطين ولتكون داراً عربياً إسلامياً من النهر إلى البحر .

ولقد ظهرت فكرة هذه الدراسة عندما دار حديث علمى فى محاضرة تعقدها جمعية الأوصالة المصرية التى تضم قادة الفكر والعلم والثقافة والسياسة والإدارة فى مصر بتاريخ ٣/٣/١٩٩٦ عندما حلل الأخ الدكتور المحاضر الأحداث الحالية فى المنطقة العربية ولفترة تسبقها بعشر سنوات من ناحية البعد السياسى ولم يتطرق إلى البعد التاريخى ؛ لأن عنصر الحياة هو التاريخ ؛ ولأن المؤرخ فى تحليله للأحداث لا ينظر إلى الحدث كأنه قطعة جامدة بل لابد من ربط الماضى بالحاضر بالرؤية المستقبلية العلمية وسار النقاش على عكس ما قاله الدكتور المحاضر وكان ردّى عليه أنه لا خوف ولا خطر على مصر ؛ لأن مصر دولة محورية عبر العصور فى التاريخ القديم والوسيط والحديث وأنه لا حرب ولا سلم بدون مصر وكذلك فإن إسرائيل وقيامها فى المحيط العربى لا يشكل إلا مرحلة زمنية وأن تفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم لن يدوم نصف قرن إن لم يكن ربع قرن ذلك ؛ لأن قوة (الصين - اليابان) وجنوب شرق آسيا

المقدمة

(النمور السبع وغداً العشر) قادمة وأن التوازن العالمى سوف يتيح للعرب التحرك لرفع وصمة العار عن كاهل الشرق العربى والإسلامى وأن الوحدة العربية سوف تأخذ طريقها إلى الظهور إذا تصدّت الأقلام الحرة للذين يحاولون الكتابة عن الأقليات في العالم العربى خدمة للمصالح الأمريكية والإسرائيلية .

كذلك كان مؤتمر صانعى السلام المنعقد ٢٣/٣/١٩٩٦ وما دار فيه من أحداث وقول رئيس وزراء إسرائيل شيمون بيريز أنه يتحدث من منطلق القوة . كل هذه الأمور كانت دافعاً لأن نضع تلك الدراسة أمام القارئ الكريم لتكون ذاكرة عند الأزمات .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثمانية فصول وخاتمة ، تحدثت في الفصل الأول عن عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد وكيف أن الهجرات العربية كانت تخرج من الجزيرة العربية منذ أزمنة سحيقة وتأخذ طريقها في الاتجاه الشمالى الغربى وصولاً إلى فلسطين ثم الاتجاه شمالاً إلى سوريا وكيف كانت هجرات الفينيقيين والكنعانيين والآراميين وغيرها من الهجرات العربية طريقاً لبناء القواعد العربية في هذه المناطق وكيف كانت تتم الوحدة العربية بين دول الهلال الخصيب وسوريا الكبرى ومصر في شكل وحدة عربية سلالية قديمة قبل ظهور الإسلام وأن عروبة فلسطين قبل الإسلام بأربعة آلاف عام .

ثم كان الفصل الثانى عن الفكر الصهيونى واغتصاب فلسطين وكيف ظهرت الدعوة الصهيونية لإنشاء وطن قومى لليهود دون تحديد المكان وكيف عرضت عدة أماكن على اليهود لكى ينشئوها بها وطناً لهم كالأرجنتين وقبرص وأوغندا وكينيا وبرقة في ليبيا وغيرها من الأماكن وكيف جاء كتاب هيرتزل عام ١٨٩٦ لإنشاء وطن قومى والمراحل التى مرَّ بها هذا الفكر وكيف كانت مراسلات حسين - مكماهون ١٩١٥ ونظرة بريطانيا إلى اغتصاب فلسطين في اتفاقية سايكس - بيكو ١٩١٦ م ووعد بلفور عام ١٩١٧ م وفتح المجال للهجرة اليهودية في ظل الانتداب البريطانى والاستيلاء على أراضى العرب وطردهم من ديارهم وكيف كان إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ م .

ثم كان الفصل الثالث عن إسرائيل والمآزق التاريخى الذى تعيش فيها باختيارها فلسطين لتكون وطناً قومياً لها على حساب الحق العربى في فلسطين وكيف أن الذين أوقعوا

إسرائيل في المآزق خدمة لأهداف استعمارية وفصلاً لمصر عن الشرق العربي واستغلالاً لمصادر الطاقة وعدم رؤية عالم عربي واحد ؛ لأنهم يدركون خطورة قيام وحدة عربية وكيف أنهم لم يقرأوا التاريخ ولم يستفيدوا منه وكيف أن مصر ظلت محتلة طوال عشرة قرون (٣٣٢ق.م - ٦٤١ م) وكيف عاد الوطن العربي إلى أصله وكيف أن مصر قاومت الحركة الصليبية مائتي عام (١٠٩٥ - ١٢٩٠ م) وحررت أرضها وكيف أن الحركة اليهودية الاستيطانية لن تدوم أبداً الدهر .

ثم كان الفصل الرابع برأس عنوان : السلاح الذرى هل يضمن بقاء إسرائيل وكيف أن امتلاك إسرائيل ٢٠٠ - ٣٠٠ رأس نووى وإنشاء أربعة مفاعل ذرية في ديمونة ونحال والنبي بنيامين وكيف أن السلاح النووى لم يمنع من انهيار الاتحاد السوفيتى ، وكيف أن العرب في المرحلة القادمة أو أى من الدول الإسلامية تكون قادرة على امتلاك السلاح النووى مما يجعل إمكانية التوازن مع إسرائيل وكيف أن السلاح النووى في هذه الحالة لن يكون في صالح إسرائيل وأن السلام أيضاً لن يكون في صالح إسرائيل .

ثم كان الفصل الخامس : عن الولايات المتحدة والتوازن العالمى وكيف أن الولايات المتحدة استطاعت أن تنفرد بقيادة العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وكيف أنها توجه السياسة العالمية من منطلق مصلحتها وأهدافها وأنها تعيد صياغة الحركة العالمية وفق رغباتها وكيف أن ذلك لن يدوم وأن القوة الآسيوية (الصين واليابان ودول النمر والهند) سوف تحقق التوازن وربما التقدم وأن ذلك لن يكون في صالح أمريكا وإسرائيل وأن ذلك سوف يكون مصدر عون للعالم العربى في حالة نجاحه في توطيد علاقاته مع دول آسيا .

ثم الفصل السادس : عن العالم العربى والتحديات المستقبلية وكيف أن العالم العربى مطالب وهو على أبواب القرن الحادى والعشرون ، وفي ظل قيام دولة إسرائيل ومحاولة اكتساب شرعيتها داخل الإطار العربى مما يستدعى التعاون والتلاحم العربى وعدم الفرقة والأخذ بأساليب التقدم العلمى وإفساح مجال أوسع للديمقراطية والأخذ بالشورى وإعطاء الفرصة للعناصر العلمية للمشاركة فى الحكم ، وأنه لا طريق أمام العرب لمحو وصمة وجود إسرائيل إلا من خلال العمل على بناء سوق عربية مشتركة وقيام كيان أو كيانات فيدرالية أو موحدة أو كنفدرالية .

المقدمة

ثم كان الفصل السابع عن إسرائيل والانفجار من الداخل وفيه نتحدث عن الهيكل السكاني الإسرائيلي وكيف أنه يتكون من اثنتين وخمسين جنسية وأن اليهود طوائف شرقية سفارديم وغربية سكناز وغيرهم من الطوائف المختلفة ؟ ، وكيف أن اليهود الغربيين يسيطرون على مقاليد الأمور في فلسطين (إسرائيل) عفوًا ! وكيف كانت ثورة يهود الفلاشا الأثيوبيين علامة على التمزق والعنصرية ؟ ، وكيف أن الروس يشكلون حاليًا ربع سكان إسرائيل وأن اللغة الروسية تأخذ وضعها جنبًا إلى جنب مع العبرية ، وكيف أن السلام يجعل الصراع داخليًا وليس خارجيًا وكيف أن ذلك سوف يدعم موقف العرب لا سيما أن عرب إسرائيل يشكلون مليون نسمة خمس سكان إسرائيل ؟ ، وكيف أن نسبة المواليد والخصوبة لدى العرب تكون عاملاً مساعدًا على المدى البعيد ؟ ، وكيف أن هناك اثني عشر عضو من العرب في الكنيسيت الإسرائيلي ؟ ، وكيف قامت ثورة في خمسين قرية عربية إسرائيلية بمناسبة يوم الأرض التي حدثت عام ١٩٨٦ م ؟ ، وكيف أن كل هذه تكون عوامل دفع على انهيار وانفجار إسرائيل من الداخل ؟.

ثم كان الفصل الثامن والأخير عن إسرائيل والانفجار من الخارج وهل ستكون هناك حرب عربية إسرائيلية أخرى ؟ وكيف أن العرب أخطأوا في الماضي بعدم قيام دولة فلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام ١٩٤٩ وليس عام ١٩٩٤ وكيف أن الصراع كان عربيًا قوميًا وليس إسلاميًا عقائديًا مع مواجهة اليهود وكيف أن القوى الغربية - بريطانيا وأمريكا - حالت دون ذلك وكيف أن الكيان الفلسطيني لا محالة سوف يتصادم آجلاً أم عاجلاً مهما كانت العراقيل والقيود التي تضعها إسرائيل أمام السلطة الفلسطينية وكيف أن ذلك سيكون عاملاً مساعدًا لتحرك الدول العربية لمساندة الحق الفلسطيني بعد أن يكون الجانب الغربي الأمريكي قد بات غير عابئ بما يحدث على أرض فلسطين ، ومن هنا تكون النهاية . وخلاصة فإن إسرائيل لن تدوم مهما طال بها الزمن إلى خمسة قرون (٥٠٠ عام) .

ثم كانت الخاتمة وهي ما استطعت التوصل إليه من نتائج علمية تحليلية من خلال فصول هذه الدراسة ، لأنها ثمرة المحصول الدراسي الممتد من الفصل الأول إلى نهاية الفصل الثامن ، يجدها القارئ مركزة مصفاة في هذه الخاتمة .

ونهاية أقول: الحمد لله رب العالمين الذى وفقنى لإتمام هذه الدراسة واضعاً أبوابها أمام القارئ الكريم لكى تتابع الأجيال وتعرف أن هناك أرضاً عربية فلسطينية تقوم عليها دولة إسرائيل ، وأن يافا وحيفا والرملة واللد وعكا وأرسوف وأشدود والمجدل وعسقلان مدن عربية قبل التاريخ الإسلامى ، وأن فلسطين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وصلاح الدين الأيوبي وقطر والأشرف خليل بن قلاوون لابد أن تعود عربية فلسطينية ؛ لأن نقطة الدم لا تموت مع الأيام ولن تنساها الأجيال ، ولأنها غير قابلة للعفن أو العطن فذلك هدى للأجيال القادمة على درب الحياة .
والله الموفق ونعم العون والسداد ...

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

القاهرة : ١٢ ذى القعدة ١٤١٦هـ

٣١ مارس (آذار) ١٩٩٦م

* * *

عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد

الفصل الأول

استقر الرأي العلمى على حقيقة ثابتة هى أن الحضارتين المصرية والعراقية هما أقدم حضارات العالم وأهمها وأن هاتين الحضارتين كانتا تلتقيان في سوريا الكبرى وإن كان التأثير المصرى في فلسطين وجنوب سوريا أكبر ، ومن الثابت تاريخياً وأثرياً وأنثروبولوجياً أن جميع شعوب الشرق القديم كانت على صلة ببعضها ، وكانت التجارة قد عرفت طريقها بين هذه الشعوب ، كما أخذت الهجرات تتوالى بين هذه الأماكن حيث المنطقة الممتدة من النيل إلى ما بين النهرين ، وذلك منذ آلاف من السنين في جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط حيث ترك انحسار البحر البليوسينى أرضاً جافة تمتد من الأطلسى إلى الخليج حيث شقت في تلك المنطقة أنهار النيل والأردن والعاصى والفرات ودجلة بمجاريها وتكونت وديانها . ومن هنا فإن كل هذه المنطقة التى تم فيها تكوين مصر والجزيرة العربية وفلسطين وسوريا وبين النهرين وأشوريا تجمع بينها وحدة جيولوجية وطبيعية ولا شك أن السهول والوديان الممتدة من ليبيا إلى إيران قد تمتعت بظروف متشابهة حيث أصبحت هذه المناطق سكناً لأهالى الشرق القديم ولذلك فإن تاريخ الشرق القديم يدرس مبكراً بضع آلاف من السنين عن ذلك التاريخ في أية منطقة أخرى . وقد ظلت الظروف مواتية في وادى النيل والفرات وما بينهما من بلاد ولذلك

نشأت أول حضارتين رئيسيتين بين أهل مصر وكلديا ولقد وجدت آثار تعود إلى مصر وفلسطين في تاريخ سابق لعام أربعة آلاف قبل الميلاد .

ومن جهة أخرى فكل شيء يدل على أن فكرة تسرب عناصر هامة من آسيا وشبه الجزيرة العربية إلى مصر قد تم في ذلك التاريخ وإنهم عبروا إلى فلسطين ثم سيناء .

ومن هنا فإن فكرة امتزاج المصريين بأهل الشام وبلاد ما بين النهرين تسلطت على عقول الأثريين وهم يستعرضون عصر ما قبل التاريخ ، وأن شعباً قدم من الشرق قبل عام ٣١٠٠ ق.م واستقروا في وادي النيل قادمين من الشرق بعد خروجهم من الجزيرة العربية ، وأنهم عبروا وادي النيل وعلموا المصريين فن البناء بالطوب وأدخلوا الكتابة والأختام الاسطوانية على الأجر ، وعملوا في استخدام الذهب والنحاس والبرونز ، وتشابه أنواع معينة من الأسلحة والمباني في بلدة نقادة بصعيد مصر وبلدة تيللون فيما بين النهرين وأن كل ذلك يعود إلى أصل آسيوى قديم .

وقد أجاب غالبية علماء التاريخ القديم بأن البابليين العرب الذين كانوا يعاصرون قيام الأسرة الأولى في مصر قد ظهروا فجأة في أواسط ما بين النهرين خلال الألف الرابعة قبل الميلاد، ومن ثم فقد صارت مصر مركز الحضارة في العالم القديم كما أنها ترتبط في نفس الوقت بين شاطئىء شمال أفريقيا وشبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى وقد ذكر كولن ماكفيدى في كتابه أطلس التاريخ الأفريقى أن المصريين القدماء لم يستخدموا الزراعة على نطاق واسع في إنتاج الحبوب إلا بعد أن استوردوها من الخارج وذلك من شعوب الشرق العربى ، وأنه من حوالى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد انتقل هذا الأسلوب الجديد للزراعة من وادي الأردن إلى وادي النيل أى من فلسطين إلى مصر أى من المنطقة التى نسميها مثلث الحضارة القديمة أى بابل وسوريا واليمن ومصر ومن ذلك نجد الشعير والذرة والقمح والثيران والماعز والخراف توجد على الفطرة في غرب آسيا فمن تلك المنطقة انتقلت إلى الشرق العربى على التوالي مع حضارات بابل واليمن ومصر .

وقد لخص رجال الآثار والتاريخ القديم عن الشرق العربى القديم أن بلاد الشام ومصر وشمال أفريقية مرتبطت بجنوب غرب آسيا وجنوب البحر المتوسط بالأرض والجنس وأن سكانها تربط بينهم مجموعة صلات وأن الصلات استمرت مضطردة بين مصر وفلسطين واليمن وغرب

سروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد

الجزيرة وأن التمازج والتزاوج والاختلاط بين هذه المناطق كان بصفة مستمرة وأن العرب كانوا منتشرين في برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء متجاورين ومتراپطين بين فلسطين ومصر وهم أسويون صميمون . وقد أثبتت قبور « أبيدوس » في سوهاج بصعيد مصر والتي تعود إلى العصر النيوليني أن صلات تجارية متبادلة كانت قائمة بين مصر وفلسطين وقد ثبت أن صلات مباشرة أو غير مباشرة بين الدلتا وشمال سوريا وجنوبها كانت قائمة في بداية العصر التاريخي مع هؤلاء العرب .

وقد بنى المصريون في وادي طميلات وهو الطريق الجنوبي عبر سيناء إلى فلسطين نقطاً محصنة كما أقاموا معابد للإله « سبتو » Septu إله الشرق ، وكانت تماثيل الآلهة المصرية تعبد إلى جانب الآلهة المحلية في الشرق العربي الآسيوي ، وكان فرعون مصر يعبد في سيناء نقطة الصلة بين مصر وفلسطين فكانت هذه الوحدة الروحية تدعياً للوحدة السياسية ، ويتضح من قراءة حجر باليرمو : وصول أربعين سفينة محملة بأشجار أرز من لبنان في عهد الملك سنفرو في الأسرة الرابعة وما تقطع بقيام صلات تجارية مع المناطق الآسيوية التالية لسيناء .

ومن الثابت علمياً أن هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الأنثروبولوجية لأقوام فلسطين وما بين النهرين الذين يسمون عرباً وكنعانيين وفينيقيين وعموريين وكلدانيين وآشوريين ، كما أن هذه الوحدة ملحوظة أيضاً من لغاتهم .

وحوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد كانت هجرة الكنعانيين الذين حلوا غرب الشام وفلسطين بعد ٢٥٠٠ ق.م ، وكذلك الفينيقيين وكان هؤلاء الكنعانيون أو الفينيقيون أول من نشر في العالم نظاماً خاصاً للكتابة بالحروف الهجائية وبين سنتي (١٥٠٠ ق.م - ١٢٠٠ ق.م) تسرب الآراميون السريان إلى فلسطين وشمال سهل البقاع الواقع بين جبل لبنان الشرقي والغربي ، وحوالي (٢٥٠٠ ق.م) نزل الأنباط الأرض الواقعة إلى الشمال الشرقي من شبه جزيرة سيناء . ومن الآثار المصرية تبدأ معرفتنا في أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد لأهل فلسطين وما بين النهرين حيث يبين بوضوح صورة العرب الذين من أصل سامي بحت والذين يسكنون الواحات والصحارى العربية سواء في شبه جزيرة سيناء أو على الضفة اليمنى من النيل (جبال سيناء) أو المنطقة الجرداء بين مصر وفلسطين ، وكذلك ظهرت العناصر العربية القوية على شاطئ السهل الفلسطيني الذي كان يسمى إذ ذاك شبلاخ

Shephelah . وفي منخفض نهر الأردن والعاصي بسوريا كانت تسكن أقوام من العرب الساميين الذين كانوا يسكنون شاطئ فلسطين وسوريا وإلى هؤلاء القوم ينتمى الكنعانيون الذين لم يظهر اسمهم إلا في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد كما يؤيد المؤرخ ماير Mayer والعموريون ثم انتشروا حتى وصلوا إلى كلوديا في عهد مبكر ، وقد سمى هؤلاء باسم العرب منذ القرن الحادى والثلاثين قبل الميلاد . ومنذ ذلك التاريخ لوحظت الوحدة اللغوية التى ربطت بين لغات تلك القبائل فقد كانت تعود فى أصلها الصميم إلى اللهجات التى تحدث بها عرب شبه الجزيرة العربية وتحدث بها الكنعانيون والبابليون والآشوريون والآراميون . بل دفع البدو العرب قطعان ماشيتهم نحو مصر وقادوا قوافلهم عبر الصحارى شرق مصر طيلة آلاف السنين لا سيما أن السفن المصرية قبل نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد كانت تتردد على شاطئ البحر المتوسط الفلسطينى ، ولكن سكان هذه المنطقة لم يعرف عنهم شئ إلا من الآثار المصرية والكلدانية ، ولم يبدأ تاريخهم إلا مع الفينيقيين فى الشمال والفلسطينى فى الجنوب حوالى (١٢٠٠ ق.م) ولم يطلق اسم فلسطين على هذا الجزء من الشرق القديم إلا بعد أن قدمت قبائل عربية تعرف باسم (فليستا) وهكذا فإن هذه المنطقة قد سكنتها الأقوام العربية الأولى القادمة من شبه الجزيرة العربية ، وهو الرأى الذى استقر عليه الرأى العلمى السليم وأن الجزيرة العربية تعتبر الوطن الأصلى للعرب الساميين .

وقد ذهب نصف المؤرخين إلى وجود السلالة الجنسية العربية السامية فى هذه المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى ولا سيما أن هناك اتفاق أن هجرة عربية خرجت من شبه الجزيرة حوالى عام (٢٥٠٠ ق.م) أى بعد الألف عام على الهجرة الأولى ، وأن هذه الهجرة الثانية هى التى أحلت محل العموريين والكنعانيين والفينيقيين فى سوريا وسواحل البحر الأبيض الشرقية ، وأن علماء اللغات فى تاريخ الشرق القديم لاحظوا وجه الشبه بين لغات الآسيويين العرب الساميين الذين باتوا على صلة مستمرة بمصر منذ فجر التاريخ ، ولا جدال فى أن الكنعانيين من القبائل العربية الكبيرة والقوية التى سكنت فلسطين واستوطنتها منذ ٢٥٠٠ عام قبل ميلاد المسيح وأنها صبغت تلك الديار بالصبغة العربية التامة وأن هذه القبائل قد انصهرت مع من سبقها من قبائل عربية مهاجرة من شبه الجزيرة العربية ومن بلاد الرافدين ، حيث كانوا يشكلون غالبية السكان إضافة إلى إخوانهم الفينيقيين الذين سبقوا إلى الشمال قليلا من فلسطين وبالتحديد فى الساحل السورى للبنان وأن ظهور الجفاف

(سورية فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد)

في شبه الجزيرة العربية تعزى إليه الهجرة العربية السامية التي اندفعت منذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد أى حوالى (٣٥٠٠ قبل الميلاد) لا سيما قد ذهب كثير من العلماء والجيولوجيين أن نجد هـى منبع الهجرات العربية السامية وأن منطقة البحرين هـى منبع هجرة الفينيقيين وغيرهم إلى تلك المنطقة ، وقد ذهب آخرون إلى أن شبه الجزيرة هـو المنبع الذى تدفقت منه الهجرات العربية إلى تلك المناطق فى فلسطين ولبنان وسوريا ، ولقد تم ضم فلسطين وبلاد الساحل تحت حكم الأسرة العربية الأكادية التى خرجت من مدينة آكاد ونجحت فى مد سطوتها ، واستطاع سارجون ملك آكاد حوالى عام ٢٨٥٠ ق.م أن يؤسس مملكة فى مناطق كثيرة من شبه الجزيرة العربية كمدن سومر وآكاد ووسط الفرات وشاطىء سوريا حيث كان الوصول إلى شاطىء البحر الأبيض المتوسط سهلاً ميسوراً ولا يتردد علماء تاريخ الشرق العربى القديم بأن سارجون الملك الأكادى العربى قد ضم سوريا وفلسطين إلى دولته لفترة طويلة ، وقد دلت الألواح فى تل العمارنة بمحافظة المنيا بصعيد مصر على أن الملك سارجون وصل إلى لبنان وغزا بلاد العرب العاموريين ، وتابع أحفاده سياسته فى ضم البلاد العربية تحت لواء وحدة سياسية حوالى عام ٢٧٦٨ ق.م ، فمن هنا فما لا شك فيه أن هناك دولة عربية سامية ضمت فى الثلث الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد كل بلاد الهلال الخصيب بما فيه فلسطين وأن كل تلك الأراضى المطلة حتى موانئ البحر الأبيض المتوسط كانت تسكنها أقوام عربية سامية امتزجت مع عناصر أثمر عنها ظهور الكنعانيين . ولقد كان امتداد الدولة التى أنشأها سارجون إلى أراضى الكنعانيين سبباً فى سياسة الامتزاج مع العرب القادمين من بلاد ما وراء النهرين ، وقد ظل الكنعانيون والعاموريون طيلة خمسة قرون يختلطون مما أدى إلى قيام امبراطورية عربية سامية .

وفى حوالى (٢٨٠٠ ق.م) استعادت الامبراطورية العربية حدود الدولة الأكادية فامتد حكم البابليين إلى كنعان فى فلسطين ودمشق وآكاد ، ولقد كان لهذه الفترة من تاريخ العرب أهمية خاصة فى الوحدة العربية فى ظل حكم حمورابى ، لا سيما أن حمورابى كان ملكاً على بابل (٢٠٠٠ ق.م) وقد كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة أن حضارة كنعان كانت تمتد من غزة جنوباً إلى رأس شمر شمالاً - أغاريت شمالاً - وأن اللغة والديانة والحضارة كانت واحدة فى هذه البقاع . وقد أقام إبراهيم أبو إسماعيل جد العرب فى الطرف الجنوبى من بلاد فلسطين وله دلالة كبيرة فى أصل العرب وتبين قصة إبراهيم ، ومما يقطع بانتقال إبراهيم وإسماعيل إلى مكة

وبناء الكعبة ما ورد في سورة آل عمران وكذلك ما ورد في سورة البقرة . وهناك إجماع في آراء المؤرخين على أنه بعد أن تم بناء البيت الحرام عاد إبراهيم إلى فلسطين وأقام إسماعيل في مكة . ولقد أجاب بعض الذين انكبوا على دراسة تاريخ وحياة سيدنا إبراهيم على هذا بقولهم : ربما كان في المفاجآت عند بعض الناس أن يقول لهم : إن إبراهيم عليه السلام كان عربياً وأنه كان يتعلم اللغة العربية ، ولكن ليس بالبدهاة أنه كان يتكلم العربية التي نتكلم بها ، ونكتب بها اليوم ، إنما اللغة العربية الحالية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد . وأما اللغة العربية المقصودة فهي لغة الأقوام التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية وتهاجر منها وإليها في تلك الحقبة ولقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء وأن إبراهيم كان يتكلم بلغة يفهمها جميع السكان في كنعان (فلسطين) وبلاد النهرين .

ولقد كانت فلسطين أثناء حكم ملوك الدولة الحديثة في الأسرة الثانية عشرة تحت حكم الفراعنة ، وأن الصلات السياسية والتجارية مع الآسيويين سلكت طرقاً عدة منها الطريق البحري الذي يصل بين الدلتا وميناء جبيل على شاطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقي مروراً بفلسطين ، ومن هذه الموانئ الشرقية التي شهدت فيما بعد عظمة الفينيقيين كان يصدر الخشب من لبنان كما كانت منتجات الأراضي الداخلية ومنها طريق القوافل المار بغزة وشاطئ فلسطين وكانت سوريا على صلات مستمرة بمصر حوالى منتصف عهد الملك سنوسرت الأول (١٩٥٠ ق.م) وبعد فترة من الزمن كانت سياسة مصر التي أملت على المصريين سياسة كان يجب تنفيذها وهي إنشاء امبراطورية في الشرق العربي تضم فلسطين وسوريا وجنوب غرب آسيا وكانت تلك هي رسالة الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٢١ ق.م) والتي امتدت بها الدولة المصرية إلى فرع الهلال الخصيب الذي يمتد من الفرات إلى برزخ السويس وتمت فيها الوحدة المصرية السورية وقام المصريون بتحقيق المشروع الضخم وهو إنشاء وحدة تضم الشرق الأدنى كله أو الشرق العربي .

وتحققت وحدة مصر مع أقطار من الشرق العربي ، ودخل في طاعة هذه الدولة أهل دولة معين التي كانت تقوم في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية وحدث أن اجتاز المصريون في ١٩ أبريل ١٤٧٩ ق.م وصلوا غزة ثم وصلوا بعد إلى مجدو وكذلك وادى العاصى في قلب لبنان وشملت الوحدة المراكز الاستراتيجية التي تتحكم في الهلال الخصيب .

مروية فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد

وهكذا قامت وحدة طوال قرن من الزمان (١٤٦٠ - ١٣٦٠ ق.م) وذلك في عهد تحوتمس الثالث وذلك استجابة لدواع طبيعية تربط بين شعوب هذا الشرق وفي عهد أمنحتب الثالث وفي بدء (١٣٨٠ - ١٣٦٢ ق.م) فكر أمنحتب الثالث في أن يجعل فلسطين وسوريا ولايتين تابعتين لمصر . وقد عمل ملوك مصر على توثيق عرى الوحدة مع حكام ذلك الجزء من الشرق العربى تدعيماً للروابط السياسية وتدعيم المصالح التجارية لا سيما أن رسائل تل العمارنة تشير إلى رؤساء المدن العربية الآسيوية ، وأن هؤلاء الأمراء لم يكونوا مصريين بل كانوا ممثلين للأسر العربية السامية الحاكمة في المنطقة ، وأن الوحدة كانت بين مصر وكنعان وسوريا وأن هذه الشعوب كانت جميعها ملتقية في الحضارة المصرية ، وهكذا فإن وحدة الشرق العربى في عام ١٥٠٠ ق.م أصبحت حقيقة تاريخية وأنها كانت نوعاً من التعاون بين الدول وأن يصبح العالم العربى وحدة مستقلة متواصلة لم يكن هناك غير الشعب العربى الذى يسكن تلك المناطق منذ خروجه من الجزيرة العربية منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد في شكل موجات بشرية تدفع بها شبه الجزيرة العربية على أطرافها شرقاً وغرباً وصبغة لهذه الديار بالصبغة العربية التى كانت فلسطين قلبها العربى امتداد شمالاً إلى سوريا وغرباً عبر سيناء إلى برزخ السويس وصولاً إلى مصر وشمال إفريقيا وبذلك يتأكد تاريخنا دون الدخول في تفاصيل أنثروبولوجية أو أروكيولوجية . إن فلسطين عربية منذ ذلك الزمن البعيد وأن القدس مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وربما (خمسة قرون) وقد سميت خلال هذا التاريخ الطويل بعدة أسماء أقدمها أورسالم Urusalim وهى كلمة قديمة أطلقها عليها أقدم سكانها العرب الكنعانيون (الببوسيون) وهؤلاء الببوسيون قبيلة عربية من أشهر عشائر العرب الكنعانيين عاشت في فجر التاريخ في جزيرة العرب ثم رحلوا إلى فلسطين وأسسوا هذه المدينة واتخذوها عاصمة لهم حوالى ثلاث آلاف قبل الميلاد . واستوطنوا بها ودعيت بهذا الاسم نسبة إلى زعيمها ببوس وتتكون من مقطعين « أورو » وتعنى المدينة و « سالم » تعنى السلام وقد حرفها الأكاديون أورسالم وهم شعب عربى سامى مثل الكنعانيين استوطنوا أواسط بلاد ما بين النهرين وأسسوا فيها دولة قوية استمرت نحو قرنين (٢٤ - ٢٢ ق.م) ، ويرى أحد الباحثين وهو فيليب حتى في كتابه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة كمال الباز في بيروت ١٩٥٩ م جـ ١ ص ٧٢ أن اسم أوروسال مشتق من الكلمة الكنعانية يا وشاليم بمعنى « دع سالم يؤسس » وسالم هو اسم السلام عند الكنعانيين وقد عرفت بيت المقدس بأسماء أخرى في

تاريخها الطويل مدينة بيوس وهو الاسم الكنعانى العربى الذى أطلق على المدينة عندما كان يحكمها الملك الكنعانى البيوس الملقب أبا الملوك .

كذلك يذكر أن عاهل مصر أمنحتب الثالث الذى حقق للشرق العربى وحدته قد أنشأ فى فلسطين ربما فى مكان القدس مدينة (خيتاتين) . مما يدل على أن إخناتون قد تبين له أن شعوب الشرق العربى كانت تعمل إلى تحقيق مصالحها السياسية والتجارية ، وأنه حاول حقاً أن ينفذ إنشاء إمبراطورية عالمية ضخمة عربية وكان فى ذلك يمتاز عن الحاكمين العربيين (سارجون وحمورابى) اللذين لم يدركا ما أدركه إخناتون من ضرورة قيام إمبراطورية فى الشرق العربى كانت فلسطين جزءاً وسطاً فى هذه الامبراطورية بل كانت صلة الربط بين مصر وأجزاء العالم الشرقى العربى ، وقد حدث أن قامت وحدة عربية فى عهد حكم (سبتى الأول ١٣١٩ ق.م) حيث ضم قلاع فلسطين كنعان ووصل إلى حوران شمالاً وضم موانئ شرق البحر المتوسط لتكون قواعد بحرية تمكنه من ضم سوريا بأكملها . وفى عام (١٢٩٥ ق.م) انتصر رمسيس الثانى فى موقعة قادش وتحقق أمل مصر فى تحقيق وحدة تضم أقطار الشرق العربى .

وقد دامت وحدة الشرق العربى الأولى نحو قرنين ونصف قرن (١٥٠٠ - ١٢٥٠ ق.م) حيث حدث اندماج بين المصريين وسكان تلك المناطق وانتقل العديد من سكانها إلى مصر حيث ذابوا فى المجتمع المصرى مشكلين تيارات هجرة بشرية حيث ازدادت حركة هجرة هذه العناصر مروراً بفلسطين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ومنذ منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد ساد الاضطراب مصر ، ولكن العنصر العربى كان يضيف طابعه فى أثناء ذلك الاضطراب فقد تولى الحكم فى مصر أحد الأمراء الكنعانيين كما تمكن بعض البابليين من بناء مدينة على مقربة من ممفيس أسموها بابل وقد ساعدت عوامل خارجية على إضعاف النفوذ المصرى فى فلسطين فى تلك الفترة فى نهاية عصر الأسرة الثامنة عشر لا سيما عند ظهور العناصر الآرية غير السامية العربية وقد تولى الكنعانيون والبابليون حكم بعض المناطق فى مصر لكنه انتهى فى بداية حكم رمسيس الثالث (١٢٠٠ - ١١٦٩ ق.م) حيث كان آخر ملوك مصر العظام حيث استطاع هذا الحاكم المصرى أن يحافظ على عروبة الوطن العربى لا سيما عندما تبين ظهور هجرات الشعوب الأوربية إلى سوريا فسارع الأسطول المصرى إلى أحد

مروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد

موانى سوريا كما سارعت الجيوش المصرية إلى وقف الزحف الأجنبى الأوروبى وأنقذت مصر فلسطين وسوريا ولبنان من هذا الغزو وأعادت بالقوة أقوام البحر كما كان الأوربيون يسمون إذ ذاك إلى جزرهم وإلى إيطاليا وكانت نتيجة تلك الحملة المصرية (١٩٢ ق.م) أن أعيدت وحدة كنعان التى كانت فلسطين (أرض شبلاخ وزاهى) مع مصر . وفى ورقة البردى المعروفة باسم (بردية هاريس) إشارة إلى معبد أقيم لرئيس الثالث وآمون فى إحدى مدن زاهى بأرض كنعان وقد استقرت قبيلة بولستو العربية Pulestiu التى اتخذ منها اسم فلسطين فى أرض شبلاخ وفى المنطقة الساحلية كغزة وسميت منذ ذلك الوقت باسم فيلستيا Philistia التى جاء منها اسم فلسطين فهل بعد كل ذلك السرد التاريخى منذ القرن الرابع قبل الميلاد وصولاً إلى القرن الثانى قبل الميلاد مروراً بحركة القبائل العربية المهاجرة والمستقرة فى فلسطين والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً فى شكل وحدة الشرق العربى مع مصر أو مع سوريا حيث كانت فلسطين تشكل خط الدفاع الأول عن مصر ، ولم تكن سيناء بوابة مصر الشرقية بل كانت فلسطين هى بوابة مصر الشرقية حيث كانت فلسطين منذ قديم الزمان تأخذ اسمها من القبيلة العربية Pulestiu أو Philistia وأن لفظ « شاسو » الذى كان يطلقه المصريون على البدو هم العرب الذين كانوا يسكنون صحراء (شو) وهى الصحراء التى تقع بين مصر وفلسطين فى حدود مصر الشرقية وهم الذين علموا المصريين استخدام الجمال .

ولقد ظلت فلسطين فى قلب الأحداث العربية لا سيما بعد أن كانت تنقل البضائع من منتجات الفينيقيين الصناعية فى صور وصيدا وبيروت وجبيل حيث انتقل مركز القوة والثقل من الشرق العربى إلى قوة عربية جديدة غير مصر هى الفينيقيين وهم عرب ساميون هاجروا من الخليج العربى جنوب شرق الجزيرة العربية إلى شملها الغربى ، وكانت مصر فى ذلك الوقت تواجه خطر تسللات لبيبة فى العام الحادى عشر لحكم رمسيس الثالث لا سيما وقد استقرت هذه المهجرات فى غرب الدلتا باعتبار أنهم مواطنين مصريين حيث تم اندماج الليبيين فى القومية المصرية تحت حكم وحدة الجنس والثقافة وفى ذلك الوقت عاد العرب أهل شمل الجزيرة العربية يحملون رسالة تحقيق وحدة الشرق العربى فى شمل سوريا واستقر الفينيقيون العرب على الساحل وفى الداخل كان بدو الصحراء الأراميون العرب الذين تبادلوا الصلات مع المصريين وتجمعوا فى المدن وأنشأوا حكومات تبادلت علاقات دبلوماسية مع الدول المحيطة وأصبحت قواعد البحرية السامية صور وصيدا وجبيل موانى تجارية لهم .

وفي ١٠٠ ألف قبل الميلاد استطاع الفينيقيون بواسطة تبسيط اللغة الهيروغليفية أن ينشئوا أبجدية للكتابة وفي داخل البلاد استطاع الأراميون العرب أن يسيطروا سيطرتهم وكونت ثلاث دول عربية هي (دمشق ، زويا ، حما) وأن تلك الدول الثلاث استطاعت أن توقف تقدم الآشوريين طيلة ثلاث قرون . وقد اقتبس الأراميون من الفينيقيين أبجدية انتشرت فيما بعد في سائر أقطار الشرق العربي ، وحلت محل اللغة الهيروغليفية المصرية وغيرها من اللغات ، حيث استطاع الأراميون الفينيقيون العرب منذ القرن السابع قبل الميلاد (٧٠٠ ق.م) أن ينتزعوا السيادة التجارية وعملوا على تنفيذ خطة تحقيق وحدة الشرق العربي ، حيث أنشأوا دولة تجارية عربية في شرق البحر المتوسط .

وهنا نضع الدليل القوي البارز على عروبة فلسطين منذ أقدم الأزمنة حيث أنه في جنوب سوريا كانت المنطقة الساحلية في أيدي « الفلسطينيين » أي أبناء القبيلة العربية فيلستيا الذين استقروا وكانوا قبائل عربية ساحلية وليسوا شعوب بحر متوسط قادمين من بحر إيجه كما حاول أن يصور ذلك بعض الباحثين الأوروبيين الذين يريدون أن يعيدوا كل شيء إلى أوروبا . المهم أن تلك القبائل أسست خمس مدن بعد الاستقرار النهائي ، أهمها غزة في الساحل وأشدود في الداخل حيث كان الكنعانيون العاموريون العرب إذ ذاك لا زالوا يحكمون تلك الأراضي العربية كما أن الفلسطينيين تقدموا حوالي (١١٠٠ ق.م) إلى شواطئ الأردن وأخضعوا الشعب الذي سكن تلك المناطق ، وكان الكنعانيون قد اتخذوا القدس عاصمة لهم ولكن ششنق الأول ملك مصر الليبي الأصل أعاد القدس إلى السيادة المصرية عام (٩٢٥ ق.م) وساهم في تمزيق بعض القبائل التي تسكن بالقرب من المدينة وكان ملوك نينوى ، فيما بين النهرين ، قد استعادوا الأرض التي تقع بين نهر الفرات ونهر العاصي والتي تتحكم في طرق الهلال الخصيب ثم ضموا تلك الموانئ التي كانت تخضع للفينيقيين وتم ضم دمشق في عام (٧٣٢ ق.م) ومن ثم عادت القوة إلى الآشوريين الذين استطاعوا بقيادة اسرحدون (آشوراضى الدين) عام (٦٧١ ق.م) أن يضموا الدلتا كما استطاعوا بقيادة آشور بانيبال ، عام (٦٦٨ ق.م) أي بعد ثلاث سنوات أن يضموا مدينة طيبة وبذلك تحققت وحدة الشرق العربي بها فيها فلسطين طبعاً ؛ لأنه ليس من المعقول أن تسقط دمشق ومصر بدون أن تكون مدن فلسطين قد وقعت تحت الحكم الآشوري ولكن الهجرات العربية السامية كانت لا تزال تتدفق من الجزيرة العربية نحو حدود الدولة الآشورية العربية لا سيما بعد أن سيطر البابليون العرب الذين كانوا يسمون

مروية فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد

سابقاً الكلدانيين وسميت منذ ذلك الوقت كلديا ، وسقطت « نينوى » عام (٦٠٦ ق.م) وبذلك انتهى الوجود الآشوري السامى ، وحل الكلدانيون فى السيطرة على العالم العربى طوال ثلاثة أرباع القرن (٦٠٦ - ٥٣٩ ق.م) محل الآشوريين ، واستعادت بعد نحو ألف عام مكانتها كعاصمة للعالم العربى السامى واستطاع ملكها العربى « بختنصر » الثانى أن يحطم مدينة القدس التى كانت أصلاً عربية واستقرت بها بعض القبائل المهاجرة بلا وطن ولا مأوى عام (٥٩٦ ق.م) وأن يتم تهجير ونقل أهلها إلى بابل ، وهناك ذابت هذه العناصر الدخيلة فى شتى أقطار الأرض القديمة بها أصبحوا جزءاً من شعوبها ، ولم يعد الطابع العقائدى مظهراً على وجودهم وهكذا وضع بختنصر الثانى حداً نهائياً لهذا الوجود الذى لم يكن إلا عابراً للديار العربية ولم يكن له وطن فى مصر أو فلسطين أو مكان يستقر فيه ، وتلك طبيعة القبائل البدوية التى هزمها بختنصر فى مدن بابل المختلفة ، لكن الذى ينظر إلى أفعال بختنصر وتاريخ البابليين والآشوريين يدرك مدى قدرة هذه الشعوب العربية التى بلغت فيهم العبقريّة إلى حد بعيد حين أدركوا خطر هذه القبائل فكانت تصفيتها فى فلسطين ، ومن ثم ساد الاستقرار أنحاء هذه الامبراطورية لا سيما أن آشور العربية قد بلغت فى خلال النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد أوج عظمتها فاندفعوا غرباً نحو فينيقية وهناك ركبوا البحر ووصلوا إلى مصر ثم جاءت بعدها بابل العربية لتهارس دورها الامبراطورى نحو ثلاثة أرباع القرن (٧٥ سنة) كانت فى تلك الفترة قوة عالمية مرهوبة الجانب ثم لعبت بابل دوراً هاماً بارزاً فى عهد بطلها « نيوبونصر » وبختنصر ، لكن القوة العربية عبر تاريخها الطويل لم يقدر لها الاستمرار فى حكم تلك الديار حيث خرجت القوة الفارسية قادمة من وراء الخليج عام (٥٣٩ ق.م) لتسقط بابل وتنساح فى الأراضى العربية وبذلك دامت وحدة الشرق العربى الثانية قرناً وربع قرن (٦٦٨ - ٥٣٩ ق.م) عندما غزا الفرس الشرق العربى وصولاً إلى مصر وانهارت هذه الوحدة العربية .

ومن ذلك يتضح لنا كيف أن أول إنسان تحرك على أرض فلسطين واستقر بها منذ عصور ما قبل التاريخ بل منذ العصر الحجري القديم وربما أوائل العصر الحجري الحديث كان إنساناً عربياً قادماً فى حركة الهجرة من الجزيرة العربية ، وأن حركة الهجرة هذه بدون مبالغة تعود إلى عهود سحيقة فإن صلات السلالة والدم مرتبطة مع شمال الجزيرة العربية وفلسطين إلى عصور قديمة منذ العصور الجيولوجية القديمة وأن الحركة كانت سهلة ميسورة جداً فى حركة الأفراد

والجماعات التي كانت تتجول في تلك المناطق عندما تلتقى بلاد العرب بفلسطين وشبه جزيرة سيناء حيث كان لقاء العرب دائماً وأن تلك الهجرات كما جاء في عنوان هذا الفصل في الدراسة « عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد » .

حيث كانت منطقة الجزيرة العربية بسكانها خزان هائل كانت تدفع بسكانها فكان ذلك يؤدي إلى خروج العرب عن جزيرتهم في شكل هجرات أو موجات متعاقبة فكانت الهجرة إلى فلسطين وبلاد الشام وبابل حيث اختلط هؤلاء العرب وسكنوا تلك المناطق وصبغوها بالصبغة العربية منذ الأزمنة القديمة ولقد ظل الكيان العربي في مراحله التاريخية ممتدًا حافظًا لفلسطين عروبته وشخصيتها مع أبناء عمومته الآشوريين والبابليين والكلدانيين والمصريين والفينيقيين ، حيث كانت السلالة الفلسطينية الكنعانية هي القبيلة العربية التي انطلقت لتسكن هذه الديار ، حتى استطاعت القبيلة العربية Philistia التي جاء منها اسم فلسطين والتي هي فرع من الكنعانيين وكان ظهور هذا الاسم بشكله الحالي منذ عهد رمسيس الثالث (١٢٦٩ - ١٢٠٠ ق.م) لكن هذه القبيلة العربية استقرت في غزة وأشدود وكونت لها مدن هامة لعبت دورها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومارست نشاطها الثقافي والحضاري وشاركت الممالك العربية في الشمال حيث سوريا وفي الجنوب الغربي حيث مصر ، وارتبطت ارتباطاً عضوياً مع تلك الديار في شكل وحدة عربية ظلت قائمة عبر السنوات الطويلة ، فرغم القضاء على هذه الوحدة العربية تحت ضربات الفرس في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد .

وبهذا نكون قد ألقينا الضوء على عروبة فلسطين قبل الميلاد حيث كانت تلك القبائل والمدن والحكومات عربية صرفة في صورة مسميات قديمة كالفراعنة والكنعانيين والبابليين والآشوريين والفينيقيين والعموريين وغيرهم والجميع كانوا عرباً .

ونقول : إن نجاح حزب الليكود في صورة رئيس وزراء إسرائيل الجديد بنيامين نتانياهو بعد انتخابه رئيساً لوزراء إسرائيل لمدة أربع سنوات قادمة (١٩٩٦ - ٢٠٠٠ م) وما ظهر من تشدد في حملته الدعاية الانتخابية ورفع شعارات نارية متطرفة ورفضه قيام دولة فلسطين وحقوق العودة للاجئين الفلسطينيين وأبدية القدس عاصمة لإسرائيل وعدم التقسيم وعدم الانسحاب من الجولان وأنه باستطاعته تحقيق السلام دون تنازلات ، فإن كل ذلك لابد أن يواجه بوحدة

(عموية فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد)

الصف العربى والدور الفعّال القوى والفاعل فى المنطقة العربية بقيادة مصر ورئيسها محمد حسنى مبارك وعقده عدة قمم عربية مصغرة (لقاء مبارك مع معمر القذافى - لقاء الرئيس مبارك مع حافظ الأسد مرات متكررة - قمة العقبة بين مبارك - حسين - عرفات) لقاء الرياض بين (مبارك - الأسد - فهد) وغيرها من اللقاءات للعمل على وحدة الصف العربى . إن تشدد بنيامين نتانياهو وموقفه من العرب لن يكون إلا دعوة لوحدة الصف العربى والتقارب العربى .

لقد سألتنى أحد الصحافيين صباح الأربعاء ١٩٩٦ / ٦ / ٥ عن حالة الزعر والفرع التى تنتاب العالم والعالم العربى بصفة خاصة بعد نجاح نتانياهو فى الانتخابات الإسرائيلية وقيامه بتأليف الوزارة وتوليه السلطة ، فكان ردى عليه : أن هناك كتاب سوف يصدر بعنوان (إسرائيل إلى زوال) ، ولأن يكون نتانياهو بتشده أو عدم إدراكه للقدرة العربية التى تظهر وقت المحن والشدائد لتحافظ على الوجود العربى ولن يكون قدوم نتانياهو إلا ورقة للتضامن العربى والوحدة العربية والسوق العربية المشتركة . إن الوجدان العربى يدرك الحاجة إلى وحدة الصف والصمود والتصدى للتشدد والغطرسة ولجيل الصابرا فى إسرائيل ، لأن التحرك العربى عندما يتوحد سيكون قوى ويكون هناك أمل فى التأثير على صانع القرار فى إسرائيل .

وعجباً أقول كأن عالم اليوم ليس به إلا دولة إسرائيل وأن الأمور العالمية رهن بانتخاب بنيامين نتانياهو رئيس الحكومة الإسرائيلية وما يقرره من أحكام بشأن الموضوعات التى صرح بها ، لكن له الحق فقد أعطوا له العرب هذه الفرصة ولو أن العالم العربى تدرك ما يواجهه من تحديات منذ قيام إسرائيل عام (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) لكان الحال غير الحال ولكن الفرقة والتمزق وعدم القدرة على مواجهة الصعاب جعلت بنيامين نتانياهو يقول مايقول ، ولن نقول له إلا ما جاء عبر سطور هذه الدراسة بفصولها الثمانية فهل يدرك الإسرائيليون ماحوته هذه السطور .

* * *

الفكر الصهيوني واغتصاب فلسطين

الفصل الثاني

في عام ١٦١٦م صدر كتاب بعنوان « نداء اليهود » لـ « هنري فينتش » والذي دعى إلى بناء وطن مؤقت لليهود تمهيداً لتأسيس إمبراطورية عالمية واسعة الأرجاء ، ثم في القرن التاسع عشر وبالتحديد في عام ١٨٣٤ فكر موسى حاييم مونتفيور Moses Haim Montefiore وكان قام بزيارة فلسطين فتبين أن عدد اليهود فيها في ذلك الوقت لا يزيد عن ثلاثة آلاف متفرقين العديد من المناطق منها الجليل وطبرية والقدس وسياط وغيرها من المدن الأخرى وقد كان د. الأسر اليهودية في فلسطين عندما فتحها العرب عام ١٩هـ / ٦٣٩م لا يزيد عن خمسة ريبلغ تعدادهم حوالي ٢٨ ثمان وعشرين فرداً . وكان موسى قد سافر مرة ثانية عام ١٨٣٨م نب مذكراته بعد أن كان قد قابل الوالي المصري محمد علي وكان قد عرض عليه أن يؤجره بها لكن مصر رفضت مشروع « موسى مونتفيور » لكنه عام ١٨٤٥م بعد تقليم أظافر محمد ، وتدخل الدول الأوربية للحد من طموحاته استطاع هذا الشخص اليهودي أن يحصل على نغلال أراضي في فلسطين عهد باستغلالها إلى خمس وأربعين فرداً يهودياً . وفي عام ١٨٧٠م نل النشاط اليهودي من انجلترا إلى روسيا حيث أخذ الروس منذ عام ١٨٧٨م يسعون نظيم الهجرة إلى فلسطين . وفي نفس الوقت أسست جمعية أوسع نطاقاً من اليهود الروس

أطلقوا على أنفسهم اسم « محبو صهيون Hovevei Zion ». وفي عام ١٨٩١ م قام يهودى روسى كان قد هاجر إلى فلسطين بالعمل على بعث اللغة العبرية ويجعلها من اللغات الحية التى يتفاهم بها اليهود وتم وضع قاموس لهذا الغرض .

وفي نفس الوقت أخذ التطلع إلى إنشاء وطن قومى لليهود يأخذ بعداً للتنفيذ ، حيث تم اختيار الأرجنتين كأفضل دولة يتم فيها إنشاء وطن قومى لليهود ، لكن المشروع الأرجنتيني حورب من جانب القلة اليهودية في فلسطين وذلك للإجهاد على هذا المشروع وفي عام ١٨٩١ م تحرك اليهود الروس لتأليب القوى اليهودية في أوروبا ضد مشروع الأرجنتين لا سيما أنهم استخدموا من كبار رجال المال اليهودى سيقاً على رقاب الذين نادوا بهذا المشروع . لكن في وسط الخلافات الدائرة بين أصحاب المشروع الفلسطينى والمشروع الأرجنتيني نجد في عام ١٨٩٦ م صدر كتاب « تحرير اليهود بواسطة اليهود » صدر لليهودى الألماني « ثيودور هيرتزل Theodor Herzl » وكتاب آخر له باسم « الدولة اليهودية » . والذى ينظر إلى فكرة اغتصاب أراضي أى دولة سواء في الأرجنتين أو أوغندا أو كينيا أو سيناء المصرية أو فلسطين .

وكانت أفكار تختمر في رؤوس بعض اليهود منذ القرن السابع عشر ، لكن الفكرة بدأت تأخذ وضعاً جديداً مغايراً للأفكار السابقة بعد أن أصدر ثيودور هرتزل كتابه « الدولة اليهودية » ، حيث بدأ هذا الرجل يتخذ خطوات فعلية لإنشاء دولة يهودية حيث وضع هدف إنشاء شعب متحد في أرض يكون لليهود على هذه الأرض سيادة بحيث تكون هذه الأرض خالصة لليهود ومما يدل على أن الفكرة اليهودية قامت على اغتصاب أراضي الغير ولم تكن تحمل أدنى مضمون دينى أو فكر لاهوتى يهودى ذلك ؛ لأنه عندما زار هيرتزل معبد اليهود في صوفيا عاصمة بلغاريا عام ١٨٩٦ م قال له الحاضرون : أدر ظهرك للمحراب فإنك أقدم من التوراة ووضع هرتزل فلسطين في فكره وثم مقابلات مع السلطان العثمانى عبد الحميد الذى رفض الفكرة ؛ لأن أرض فلسطين ملكاً لشعبها وليس ملكاً للخليفة ولكن فكرة استعمار فلسطين بواسطة مزارعين يهود بدأت تظهر لحيز التنفيذ منذ عام ١٨٩٧ م بعد عقد مؤتمر «بال» في «سويسرا» . وكان أن تم الاتفاق على اقتطاع بقعة معينة من الأرض في فلسطين ، وقرروا أن يهاجر من أوروبا إلى فلسطين عدد ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودى في مدة لا تتجاوز بضعة أعوام بمعدل لا يقل عن ربع مليون يهودى سنوياً .

(الفكر الصهيوني واغتصاب فلسطين)

ولقد كان للامبراطور الألماني موقف في مساندة سلطان تركيا ضد المشروع الصهيوني ؛ لأن ألمانيا كانت تتجه إلى مسالمة الإسلام والأتراك ومساعدة سلطان تركيا على هذا مما دفع هيرتزل وحزبه للهرب من فلسطين خشية أن يتم الاعتداء عليهم . وفي عام ١٩٠٢ م بعد ست سنوات من إصداره كتابه أدرك فشل موافقة تركيا على المشروع وكان أن ولّى نظره إلى إنجلترا وكان أن اقترح عليه أن يتم إنشاء وطن قومي في قبرص ولكن ذلك يثير ثائرة أهالي قبرص من الأتراك واليونانيين ، ولكن هيرتزل اقترح منطقة العريش المصرية المتاخمة لفلسطين ولاحظ أن هناك اقتراحات عدة منها (الأرجنتين وقبرص والعريش في سيناء مصر) لكن لورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر رفض باسم الحكومة المصرية استعمار العريش للمشروع اليهودي لاسيما أن المصريين رفضوا السماح لليهود أن يستعمروا فلسطين عام ١٨٣٥ م عندما كانت فلسطين جزءاً من الدولة العربية المصرية .

وفي عام ١٩٠٤ م عرض الإنجليز على هيرتزل قطعة أرض في شرق أفريقية واقعة في حدود كينيا على أن تكون مساحتها نحو مساحة فلسطين ، لكن اليهود الذين كانوا تعدادهم في ذلك الوقت يصل إلى ثمانية آلاف شخص رفضوا هذا المشروع ؛ لأنهم رأوا أنه سوف يتم تهجيرهم من فلسطين إلى كينيا .. وقد انقسم اليهود بعد عام ١٩٠٤ م حيث ظهرت جماعة معارضة لإنشاء وطن في فلسطين ورأت ضرورة البحث عن أرض غير فلسطين وكانت فكرة هذه الجماعة استعمار برقة في ليبيا وتزعم هذه الحركة (إسرائيل زانخويل) وكانت جماعته قد أطلقت على نفسها Organisation Jewish Territorial (لاحظ التفكير في الأرجنتين ، وقبرص ، والعريش في مصر وبرقة في ليبيا وكينيا) ولا زال البحث جارياً حيث استعراض خمسة بلاد لإنشاء وطن لليهود التائهين غير فلسطين لكن الآراء كانت تتعارض بين الاتجاهات المختلفة مما يثبت تحيز كل جماعة لمكان على حساب الآخر ولكن هذه الجماعات جميعها لم تستطع أن تظهر أدنى فكرة للتنفيذ من هذه الأفكار حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م .

والذى ينظر إلى ما ذكرناه يدرك أن الصهاينة لم يجمعوا رأيهم على اتخاذ فلسطين وطناً قومياً ، بل فكروا في أن تكون الأرجنتين أو قبرص أو شبه جزيرة سيناء (العريش) أو كينيا أو برقة وغيرها مما يقطع بأن المبرر لاختيار فلسطين لا ينطلق من رؤية دينية أو تاريخية بل أن

الاختيار تم بعد أن اتخذت الحركة الصهيونية طابعاً سياسياً كتمهيد لاستعمار فلسطين أو أية أراض من الأراضي المجاورة لها .

لكن ما كانت تسعى إليه الحركة الصهيونية هو إيجاد مكان وليس وطن لكى يهاجر إليه اليهود دون مطهد أو اضطهاد وإن كل ما كان يسعى إليه اليهودى هو أن يعيش في فلسطين وأن يحصل على جنسية المواطن الفلسطيني . وقد استطاع اليهود بالهجرة إلى فلسطين خلصة وعن طريق التحايل أن يبلغ عددهم في فلسطين حوالى ٦٠ ألف قبل نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩ م) وأن هذا العدد قد قدم من مختلف أنحاء العالم لا سيما اليهود القوقاز في روسيا وقد أحدث تزايد هذه الأعداد تحولاً جذرياً في تاريخ فلسطين ويرجع هذا إلى عدم عناية الإدارة العثمانية في فلسطين بمراقبة قدوم اليهود إلى فلسطين لا سيما يهود إيطاليا وأسبانيا وفرنسا وألمانيا حيث كانت هجرة اليهود الغربيين أكثر من أية عناصر يهودية شرقية حيث أن اليهود الشرقيين الذين هاجروا إلى فلسطين لم يكن ليزيد عن مائة أو مائتين وهكذا فإنه لم يكن من بين الستين ألف نسمة الذين كانوا في فلسطين قبل عام ١٩١٤ م إلا عشرة آلاف نسمة من اليهود الشرقيين الذين كانوا في فلسطين أو قدموا من العراق وكردستان أو سواحل بحر قزوين عند مصب نهر الفولجا حيث كان هؤلاء يمثلون طلائع الهجرة اليهودية الروسية الحديثة لا سيما أن روسيا كانت قد منعت دخول اليهود نهائياً إليها وذلك بعد أن تكاثر اليهود في روسيا إلى المدى الذى أطلقت عليهم في روسيا حظيرة اليهود Jewish pale .

وكان منتصف مارس ١٩١٦ م قد شهد توقيع اتفاقية بين الحكومتين البريطانية والفرنسية عرفت باسم اتفاق (سايكس - بيكو) مندوبى الحكومتين اللذين وقعا هما مسيو بيكو Picot أحد قناصل فرنسا السابقين في بيروت والإنجليزى مارك سايكس Sykes أحد المتوفرين على دراسة الشؤون الشرقية .

وفي عام ١٩١٧ نشرت صحيفة Times البريطانية بياناً ذكرت فيه أن بريطانيا لا تعارض السياسة الصهيونية التى ترمى إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وفي ٢ نوفمبر ١٩١٧ م صدر وعد بلفور وفي مارس ١٩١٨ م تألفت لجنة برئاسة وايزمان تضم ممثلين من بريطانيا وقد ذهبت إلى فلسطين وكانت تتكون من ثلاثة يهود بريطانيين ويهودى فرنسى وثلاثة يهود إيطاليين ومعهم مراقب من الولايات المتحدة وذلك للوقوف على تنشيط حركة الهجرة إلى فلسطين

الفكر الصهيوني واغتصاب فلسطين

وفي ٣ يونية ١٩٢٠ عين المندوب السامي الإنجليزى اليهودى الجنسية « هربرت جامويل » فى فلسطين وبدأ يارس عمله بتنفيذ شروط انتداب بريطانيا لإدارة فلسطين لكن بدأ تنفيذ الانتداب البريطانى لإدارة فلسطين فى سبتمبر ١٩٢٣ م .

ولقد استغل اليهود ما جبل عليه العرب والمسلمون من تسامح دينى وأفق وعمق حضارى عريق ، وما يذكره التاريخ كيف عاش أبناء الديانة اليهودية فى ظل الدولة الإسلامية كمواطنين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، ولكن سلب فلسطين وغزوها كما أشار تقرير الأمم المتحدة عام ١٩٤٦م أن أمنية الحركة الصهيونية التى ترمى إلى غزو فلسطين إنما هى أمنية الشعوب التى تنحدر إلى قبائل الخزر Khazar ولقد اعتنق الخزر اليهودية فى عصور متأخرة ، ولم يكن لهم أدنى صلة بفلسطين ولم يكن بينهم يهود ممن تمت أصولهم إلى يهود موسى أو أسلافهم فالخزر شعوب آسيوية لا تنتمى على الإطلاق للسامية بدليل أنهم يشكلون عناصر بولندية ورومانية وروسية وأكرانية ولتوانية وغالسية وهى من الشعوب التى تسكن شرق أوروبا وتتكلم اللغة اليديده Yiddish وهم سلالة الشعب الوثنى الذى كان يطلق عليه اسم شعب الخزر والذى طرد من آسيا ورحل إلى شرق أوروبا مع الشعوب المغولية التى وصلت إلى أواسط آسيا ولم يعتنق هذا الشعب الوثنى الديانة اليهودية إلا فى القرن السابع الميلادى .

(أيها القارئ الكريم) لاحظ غالبية سكان فلسطين حالياً من هذه الشعوب التى هاجرت إلى أوروبا وهم على الوثنية . وكانت هذه الشعوب الوثنية ليس لها أدنى صلة باليهودية حيث أنهم خلال القرن الأول الميلادى تدهورت شعوب وقبائل الخزر إلى أوروبا سالكين الطريق الذى يقع شمال بحر قزوين وفرضوا سيطرتهم على شعوب شرق أوروبا ولم تمض سبعة قرون حتى كانوا قد احتلوا منطقة تقع بين جبال الأورال شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً وهى منطقة تبلغ مساحتها نحو سُبُع مساحة الولايات المتحدة الأمريكية . وأسسوا مملكتهم الوثنية وقد اشتبكوا فى حروب مع المسلمين شرقاً والمسيحيين غرباً ؛ لأن كل منهما كان يريد أن ينشر ديانته بين هذه الشعوب الوثنية ، لكن الملك « بولان » أدى به الأمر إلى الاقتناع باليهودية دون المسيحية أو الإسلام وهذه هى الفرشة الأساسية التى يتكون منها سكان إسرائيل حالياً (١٩٩٦م) ٨٤٪ من يهود إسرائيل من سكان شرق أوروبا بعناصرها السابق الإشارة إليها الذين يعودون إلى أصول خزرية ومن هنا فقد أصبح الخزر يشكلون غالبية يهود العالم منذ القرن

الفصل الثاني

التاسع أو العاشر الميلادى وهكذا تؤكد المصادر التاريخية كيف أصبح الخزر يهودًا بعد أن كانوا وثنيين في القرن السابع الميلادى وصارت هناك رعية يهودية وصارت الملكية يهودية كما أصبحت المسيحية دينًا لبيزنطة والإسلام دينًا للعرب والمسلمين .

وقد ثبت تاريخيًا أن الملك « بولان » بعد أن اعتنق اليهودية أدخل الحروف العبرية كأساس للغة التي كان يتكلمها الخزر وهى نفس اللغة التي قدموا بها إلى شرق أوروبا من آسيا ومن ثم تطورت هذه اللغة إلى أن تصبح لغة البيدية ، وهى لغة لا تمت بأدنى صلة للغة العبرية تاريخيًا أو دينيًا وأن لها حروف أبجدية واحدة .

وقد تفرقت بعضًا من هذه القبائل إلى مختلف جهات العالم وقطنت في أماكن لم يكن بينها أدنى صلة أو قرابة جنسية لا سيما أن الخزر بعد رحيلهم من آسيا إلى شرق أوروبا اختلطوا بنحو خمس وعشرين شعبًا من شعوب العالم عن طريق الفناء في خصائصهم الجنسية أو الزواج وهكذا فغالبيت اليهود الذين سلبوا أو سكنوا فلسطين هم من سلالة الخزر الذين تفرقوا بين الروس والبولنديين والرومانيين والأوكرانيين واللتوانيين والغالسين مع إضافة خمس وعشرين جنسية إلى هؤلاء والذين هم من أصل آسيوى نزحوا إلى فلسطين ولقد تفرق الخزر في شتى أنحاء العالم منذ القرن العاشر الميلادى عندما هُزموا أمام القوات الروسية مما أدى إلى تدمير مملكتهم اليهودية فاختفى اسم الخزر وشعب الخزر .

لكن تاريخ أوروبا الحديث يدل على أن سلالة الخزر التي وزعت على دول شرق أوروبا المختلفة قد حاولت أن تتحد مرة أخرى لتكوين دولة يهودية ومن هنا فإن إسرائيل هى دولة تجمع شتات الخزر المبعثرة في جنسيات مختلفة على شرق أوروبا وغيرها من البلاد الأخرى في فلسطين ووطن العرب وقد دلت الدراسات التاريخية على أن الخزر منذ القرن العاشر والقرن الثانى عشر الميلادى على أن الخزرانيين الذين تشتتوا بين دول شرق أوروبا لم يعيشوا قط في سلام بل كانوا دائمًا في حروب مع جيرانهم .

وهكذا شهد عام ١٩١٩ م تحمُّس زعماء اليهود البولنديين الذين هم سلالة الخزر بعد أن تأسست دولة بولندا حديثًا إلى الرغبة في إنشاء أمة يهودية وظهور قومية يهودية في نطاق الدولة اليهودية وهكذا كانت فلسطين ملجأ لهم منذ وعد بلفور ١٩١٧ م لكن هذه الشعوب المنتشرة في روسيا وشرق أوروبا والتي تعود في أصولها إلى الخزر أرادت أن تعيد مجد الدولة الخزرية اليهودية

الفكر الصهيوني واغتصاب فلسطين

التي كانت قد تشتتت على أيدي الروس في القرن الثاني عشر ورأت في الدعوة الصهيونية عقب الحرب العالمية الأولى إلى إنشاء دولة يهودية عصرية تسمى إسرائيل فرحة مباركة لتحقيق حلمها القديم في افتعال إنشاء دولة إسرائيل ويعود كل اليهود الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وانجلترا ، وفرنسا ، والأرجنتين ، البرازيل ، بلجيكا ، وهولندا إضافة إلى دول شرق أوروبا إلى أصول خزرية مع وجود عناصر أوربية اعتنقت اليهودية حديثاً في القرن الخامس عشر بعد (١٤٩٢م) عندما تم طرد اليهود من أسبانيا والبرتغال فكان الاختلاط مع العناصر الأوربية الغربية أو مع بقايا الخزر الذين كانوا يعيشون في شرق أوروبا .

إن سكان إسرائيل حالياً ينتمون إلى يهود الخزر الذين هاجروا من شرق أوروبا إلى فلسطين حيث كانوا يشكلون غالبية اليهود حيث كان يوجد في شرق أوروبا غالبية يهود فلسطين وهم أكثر استفادة من المنافع التي قدمتها الجمعيات والهيئات الصهيونية وذلك لإغرائهم بالاستقرار في الأراضي الفلسطينية فكانت الفرشة الواسعة من سكان إسرائيل حالياً تعود إلى يهود شرق أوروبا وروسيا الذين هم من سلالة خزرية ليس لها أدنى صلة بالشرق والسامية وأن الغالبية العظمى من يهود العالم في أوروبا وأمريكا وإسرائيل تعود إلى سلالة الخزر .

ولقد تنازعت الاتجاهات الفكرية لدى الجماعات الصهيونية حيث كانت هناك جماعة تحركها نزعة دينية ثقافية وهم قلة وغرضها أن تعيش في فلسطين وأن يكون لها مركزاً محدوداً تقام فيه الشعائر الدينية اليهودية بكامل الحرية وإحياء اللغة العبرية وقيام مؤسسات ثقافية واجتماعية يهودية يتمتع فيها اليهود بكافة الحقوق مع جميع سكان فلسطين المسيحيين والمسلمين ودون أن تكون لهم أية ميزة سياسية أو أية نزعة استقلالية .

لكن الاتجاه الأقوى هو الاتجاه السياسي الذي كان يرمى إلى إنشاء دولة يهودية صهيونية في فلسطين يحشر لها المهاجرون من كل الأقطار ويبلغ من يعيش في فلسطين هذه الأيام أكثر من خمسة ملايين يهودي ينتمون إلى أكثر من اثنتين وخمسين (٥٢ جنسية) من أقطار الأرض وتبلغ أكثرهم من روسيا وبولندا وهم يهود الخزر ولقد قام رجال المال اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بتمويل مؤامرة اغتصاب فلسطين وغزوها وافتعال دولة يهودية وكان المال هو السبيل إلى إغراء هذه الجماعات بالهجرة إلى فلسطين لا سيما أن الولايات

الفصل الثاني

المتحدة في ذلك الوقت كان بها من اليهود ما لا يقل عن ٢ مليون يهودي (بلغ عددهم حالياً ١٩٩٦ م أكثر من ثمانية ملايين بيدهم مقاليد الأمور كلها) .

ولا داعي للتوسع في سرد الأحداث والثورات التي قام بها عرب فلسطين وما قام به اليهود من إنشاء المستعمرات اليهودية والأعمال الإجرامية في اغتصاب الأراضي في ظل الانتداب البريطاني واتخاذ الإجراءات اللازمة لتيسير الهجرة وتمكين المهاجرين من شراء الأراضي واحتلالها وإقامة المشروعات واعتراف وثيقة الانتداب بحق الهيئات الصهيونية في إنشاء وكالة يهودية وقد عملت هذه على فتح الأبواب أمام الهجرة اليهودية على أوسع أبوابها بحيث وصل عدد اليهود إلى أكثر من نصف مليون مواطن عام ١٩٤٠ م بعد أن كانوا يؤلفون بضعة آلاف تعد على أصابع اليد الواحدة عام ١٩١٤ وقبل صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ م (ستة آلاف يهودي ١٩١٤ - ١٨٠٠ يهودي ١٧٩٨) لكن في ظل ازدياد النفوذ الصهيوني رسم اليهود خططهم للاستيلاء على فلسطين نهائياً وذلك عن طريق إجلاء البريطانيين ثم إجلاء العرب بعد ذلك وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ م صارت بريطانيا دولة من الدرجة الثانية تسير في ركاب الولايات المتحدة الأمريكية وتعتمد عليها كل الاعتماد وكان ازدياد النفوذ الصهيوني إضعافاً للنفوذ البريطاني في فلسطين وأصبح الاستعمار الصهيوني في طريقه لإزاحة الاستعمار البريطاني لا سيما أن الولايات المتحدة كان لديها في ذلك ما يقرب من ستة ملايين يهودي لهم نفوذ واسع في شتى المجالات وكان لهم دور في إنجاح الرئيس ترومان ١٩٤٨ م وتبرعوا له بالملايين مما كان سبباً في نجاحه واشتد الضغط على الإنجليز حتى اضطروا لأن يعلنوا في أول مايو ١٩٤٧ عزيمتهم على الجلاء عن فلسطين في منتصف مايو ١٩٤٧ م وبذلك تم لليهود تحقيق هدفهم الأول وهو الاستقلال بفلسطين وكان الهدف الثاني إخراج العرب منها .

ولقد لاحظ المتتبعون لأنباء المسألة الفلسطينية منذ أن أصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة القرار المعروف باسم قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ م بين العرب واليهود رأى كثيراً من دول الغرب إنهم لم ينظروا نظرة جدية إلى هذا القرار وأن الدول العربية لم تبدأ استعدادها لمواجهة الاحتمالات إلا بعد جلاء الإنجليز أما الجانب اليهودي فقد أخذ للأمر عدته وتحركت جماعات الإرهاب (أرجون) (وهجانا) وبلغت قواتهم نحو مائة ألف جندي

(الفكر الصهيوني واغتصاب فلسطين)

وجاءت الإمدادات من أوروبا وأمريكا وتؤكد دور الولايات المتحدة الأمريكية كقائد للمعسكر الغربى وتحالف الجميع غربا وشرقا لإهدار حقوق عرب فلسطين وإقامة دولة يهودية فى المنطقة العربية وكان المنطلق من ذلك أن المنطقة تحتوى ٥٠٪ من احتياطى العالم من النفط وكميات ضخمة من المواد الخام والموقع الهام فى شبكة المواصلات العالمية ولا بد من قيام رأس رمح ليمزق الكيان العربى وضرب التكتل والوحدة فى المنطقة وعزل مصر والمغرب العربى عن الشام وبقية بلاد العالم العربى فى آسيا .

ولا شك فى أن التقارير التى نشرها الزعماء الصهيونيون والوثائق التى تتناولها هيئاتهم المختلفة فى خلال الأعوام الخمسين الماضية السابقة لقيام إسرائيل تدل دلالة قاطعة على مدى ما وصل إليه هؤلاء الصهيونيون من كذب وخداع وتزييف وإفساد للضمائر لكى يخفوا عن العالم السبب الذى حدا بهم إلى اختيار فلسطين وطناً مزعوماً لليهود بالزعم بأن يهود أوروبا من أصل فلسطينى فزعم باطل ذلك ؛ لأن يهود أوروبا هم من أصل أوربى كما أن يهود اليمن من أصل يمنى ويهود الفلاشا من أصل أثيوبى ومن الافتراء القول بعكس الحقيقة وهو أن اليهود شعب لا وطن له لا سيما أنه كما سبق القول أن اليهودية عقيدة شعوب الخزر قد وجدت انتشاراً واسعاً فى بلاد الألمان والسلاف الوثنية فانتشرت بينهم ومن ثم دخلت الدين اليهودى شعوب وثنية اعتنقت ذلك الدين وليس لها أدنى صلة بيهود موسى عليه السلام ولقد أثبت البحث الأنثروبولوجى أن اليهود استطاعوا خلال تاريخهم الطويل أن يحملوا قدراً كبيراً من الدماء الأجنبية وهذه حقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف فى الألوان والأشكال ومشابهمتهم للشعوب التى يعيشون فيها ، بل أكثر من ذلك فإن هناك العديد من اليهود الذين كانوا يعيشون فى فلسطين قبل الميلاد قد اعتنقوا الديانة المسيحية وصاروا مسيحيين وتباعداً عن اليهودية لا سيما أولئك الذين عاشوا فترة بعث المسيح عليه السلام وبعده من فترات زمنية زمن القسوس الكبار أمثال يوحنا ولوقا ومرقس ومثى ، الذين ساروا على نهج المسيح فى التبشير بالمسيحية ومن ثم فلم يعد هناك أية رعية يهودية فى فلسطين عندما انتشرت المسيحية على نطاق واسع لا سيما بعد أن اتخذ الرومان المسيحية عقيدة لها وحاربت اليهودية فى الشرق وشمل أنحاء الأماكن الخاضعة للرومان .

والخلاصة الموضوعية أن يهود العالم الذين وفدوا إلى فلسطين من كل بقاع العالم لا يمتون على الإطلاق إلى جنس واحد أو عدة أجناس بل إلى اثنتين وخمسين جنسية بل ربما إلى أكثر من ١٠٠ جنسية وتجمع بينهم وحدة العقيدة وأن يهود فلسطين ليسوا من بنى إسرائيل وأن هؤلاء شيء وأولئك السابقون الذين اندثروا مع الزمن وذابوا في الدول التي عاشوا فيها واعتنقوا دياناتها شيء آخر ، فإنه لا توجد أدنى رابطة بين يهود العالم المعاصر وبين بقايا اليهود منذ القرن السادس قبل الميلاد عندما تمت إبادة اليهود نهائياً عام ٥٩٦ ق.م بعد أن تم إبادة الإسرائيليين نهائياً وتم نقل بعضاً منهم إلى بابل بعد أن انقرضت سلالتهم وحيل بينهم وبين اعتناقهم للعقيدة اليهودية وصار شأنهم شأن البابليين عبدة الأوثان ولم يعد هؤلاء اليهود أى أثر سوى أفراد قلائل استطاعوا الهروب شمالاً إلى أرض الخزر حيث استطاعوا إقناع ملكها بالدين اليهودي (الملك رولان) ، وهكذا تم اغتصاب فلسطين وتمت إقامة الدولة اليهودية وارتكب اليهود الكثير من الجرائم والإرهاب والقتل والطرْد والتشريد حتى أن إسرائيل قامت بتدمير ٣٨٥ قرية عربية أثناء حرب ١٩٤٨ م وتم تسويتها بالأرض وأن الزعماء الصهاينة أقدموا على تدمير هذه القرى ليثبتوا أن فلسطين كانت صحراء جرداء قبل إنشاء إسرائيل ؛ ذلك لأن في عام ١٩٢٢ كانت نسبة العرب إلى سكان فلسطين ٩٢٪ ونسبة اليهود لم تكن تتعدى ٦٪ ولقد عملت الصهيونية على تفريغ فلسطين من سكانها العرب الأصليين وذلك بإنشاء الصندوق القومي لليهود عام ١٩٠١ م وقد دعمت الولايات المتحدة قيام إسرائيل ولا زالت حتى الآن وستظل تلك المساعدة ما دامت الولايات المتحدة هي القوة الكبرى ، وذلك من أثر الدور الذي يلعبه الصوت الانتخابي اليهودي داخل الولايات المتحدة دور بالغ الأثر حيث يبلغ عدد اليهود ستة ملايين نسمة حيث يكون تأثير تصويت الجالية اليهودية حاسماً في ترجيح كفة أحد الحزبين الكبيرين (الجمهوري - الديمقراطي) في أمريكا وأن اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة قام بضغط عنيف على الإدارة الأمريكية من أجل قبول إسرائيل عضواً بالأمم المتحدة عام ١٩٤٩ م .

ولقد قال الرئيس الأمريكي (ترومان) في ذلك أنه عليه أن يستجيب لمئات آلاف من الأمريكيين اليهود ذلك ؛ لأنه لا يوجد آلاف من العرب الناكبين .

ومن ثم فقد أتاحت المساعدات المالية الأمريكية الأوربية الكبيرة لإسرائيل بالإضافة إلى المعونات الفنية والتقنية إنشاء جيش إسرائيل قوى وقوة ردع نووية جعلت إسرائيل حصناً حصيناً من الصعب أن يقترب منه أحد ، وهذا كلام قبل حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ / ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م ويستشهد المفكر الإسلامى الفرنسى « جارودى » بالمفكر الإسرائيلى الكبير (البروفيسور ليوفنيش) الذى يقول : « إن إسرائيل ليست دولة تمتلك جيشاً ولكنها جيش يمتلك دولة » ومن ثم لتحقيق هدف الاغتصاب فإن (بن جوريون) أول رئيس وزراء إسرائيلى بأنه كان يهدف إلى هجرة أربعة ملايين يهودى إلى إسرائيل فى عام ١٩٥١ - ١٩٦١ م وأنه كان يقول دائماً : إن القانون الدولى ليس أكثر من قصاصة ورق ، وأن القول بقتل النظام الهتلرلى النازى الألمانى بقتل ستة ملايين يهودى فى غرف الغاز إنما كان حجة وتبرير وذريعة لاغتصاب إسرائيل لأرض فلسطين وإقامة دولة لهم فى الشرق العربى والإسلامى ووضع دولة إسرائيل فوق القوانين والأعراف الدولية ، بل إن أوروبا هدفت من وراء مساعدة اليهود لاغتصاب فلسطين إلى تفرغ أوروبا من كل اليهود وطردهم إلى مكان ناء بعيد خارج القارة الأوربية وكانت أوروبا ترى الحل النهائى للمشكلة اليهودية كانت ترحيلهم إلى الشرق العربى لاسيما أن الولايات المتحدة استخدمت حق الفيتو لمجلس الأمن اثنتين وثلاثين مرة منذ عام ١٩٧٢ - ١٩٩٦ م ، لحماية إسرائيل فيما بالك بالفترة من ١٩٤٨ - ١٩٧٢ م ، إن إسرائيل تعتمد على التأييد الكامل للولايات المتحدة وتقول إسرائيل : إن القانون الدولى ليس إلا مجرد قصاصة ورق ، إن الجنس الأوروبى الأبيض قام بإبادة ملايين من ٦٠ أو ٨٠ مليون هندي أمريكى لأجل استعمار القارة الأمريكية وكذلك قتل ما بين ١٠٠ مليون إلى ٢٠٠ مليون أفريقى خلال فترة الرق واصطياد الرقيق من سكان أفريقيا ، إضافة إلى قيام أمريكا بإلقاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما وناجازاكي بأوامر من الرئيس الأمريكى الأسبق ترومان ومصرع ٣٠٠ ألف يابانى تحت أنقاض هاتين المدينتين ، فما بالك من اغتصاب فلسطين .

فإذا كانت أوروبا الغربية قد ساعدت على اغتصاب فلسطين (إنجلترا والانداب البريطانى ووعده بلفور ١٩١٧) ، فرنسا والمساعدات العسكرية والمفاعل الذرى فى ديمونة الولايات المتحدة وتكملة مسيرة الاغتصاب حتى الآن (١٩٩٦ م) وكذلك مساعداتها على تحقيق معجزة اقتصادية وكذلك على بناء قوة ذرية (فرنسا ١٩٥٦ م) وبناء قوة عسكرية كبرى .

كذلك دعماً لهذا الاغتصاب استأثرت إسرائيل بالمساعدات من الخارج وكان مصدرها ألمانيا فقد دفعت ألمانيا لإسرائيل أكثر من ٦٠ بليون دولار تحت دعوى ذرائع عدة مرة للتعويض عن أرواح الذين فقدوا في غرف الغاز ومرة تعويضاً عن ممتلكاتهم ومرة ثالثة لتغطية توطيّن المهاجرين اليهود الجدد لإسرائيل ، وكذلك دفعت النمسا تعويضات كثيرة : إن المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل وحدها سنوياً أكثر من مليار دولار إلى إسرائيل وأن الحكومة الأمريكية تدفع أكثر من ثلاثة مليارات دولار .

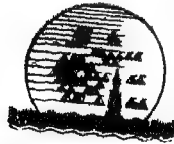
إضافة إلى ولاء يهود العالم لإسرائيل (ولاء أكثر من الدولة التي يقيمون فيها) وفي ذلك يقول الحاخام (جوزيف سيتروك) حاخام فرنسا الأكبر في زيارة للقدس لإسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل الأسبق : (إن كل يهودى فرنسى هو ممثل لإسرائيل وتأكدوا أن كل يهودى في فرنسا يدافع عن إسرائيل أكثر مما تدافعون أنتم عنها) وأن العدوان على لبنان أخيراً (١١-٢٧ أبريل ١٩٩٦م) لم يكن خطأ إنما كان نتاجاً لمنطق الصهيونية السياسية التي قامت على الاغتصاب والتي تقوم عليه فلسفة بقاء إسرائيل بالضرب بالعصا لكل العرب ، بل أن هناك أسطورة يهودية معاصرة تقول : إن قيام إسرائيل على أرض فلسطين ماهو إلا رد من الرب (الله) على المذابح التي تعرض لها اليهود في أوروبا في غرف الغاز الألمانية والتي كان يطلقون عليها (الهولوكست) وهو التعبير المستخدم لوصف اضطهاد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية ، فكان اغتصاب إسرائيل لفلسطين تروج هذه الأسطورة الكاذبة التي لن تدوم لذا كان من الضروري لكى يأخذ هذا الاغتصاب حقاً إنسانياً شرعياً عالمياً المقولة بتضخيم أرقام ضحايا اليهود وإثبات أن اضطهادهم كان أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ ولقد نسى هؤلاء الأوروبيون والأمريكيون قتل وإبادة ثمانية ملايين هندي أحمر أمريكى وما بين ١٠٠-٢٠٠ مليون من السود الأفارقة تعرضوا للقتل من جراء تجارة الرقيق كما أن هناك أكثر من ١٧ مليون سلافي (شرق أوروبا) قتلوا في الجرب العالمية الثانية كذلك مما يدل على أن اغتصاب فلسطين كان لأهداف سياسية أكثر منها دينية يهودية ماذكر عن تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية بأنه كان يجهز بأنه من (اللا ادرية) أى اللذين يشككون في وجود الله وأن قيام إسرائيل لم يكن امتداد للعقيدة الدينية والروحانية اليهودية ، كذلك المؤتمر الذى عقد عام ١٨٩٧م في مدينة (مونتريال) بالولايات المتحدة الأمريكية وضم حاخامات أمريكا حيث اعترضوا فيه على دولة إسرائيل وأكدوا أن هدف الديانة اليهودية ليس سياسياً ولا قومياً وإنما هو هدف روحانى ، وأن

(الفكر الصهيوني واغتصاب فلسطين)

المنظمة اليهودية في فرنسا والنمسا وإنجلترا كان لها نفس رد الفعل الرافض للصهيونية السياسية كذلك كان (ألبرت أينشتاين) أبو القنبلة الذرية اليهودى الديانة ، كان يناهض اتجاه تأسيس الدين اليهودى وإنشاء دولة إسرائيل ويقول أينشتاين العالم الكبير حرفياً عام ١٩٣٨م (إنه من الأفضل التوصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة سلمية مشتركة بدلاً من إنشاء دولة يهودية) .

وقد قال الحاخام (المير يرنجر) الرئيس السابق للرابطة اليهودية بالولايات المتحدة حيث قال : (إنه من غير المقبول الادعاء بإنشاء دولة إسرائيل يعد تحقيقاً لنبوءة توراتية) وبالتالى فإن كل مايقوم به الإسرائيليون لإنشاء دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب ورغم كل هذا نفذتم اغتصاب فلسطين بالفكرة الصهيونية التى ساعدت القوى الغربية الأوربية الأمريكية الروسية على قيامها ، اغتصاب لجميع الحقوق المشروعة ورفضاً لجميع قرارات الأمم المتحدة وحماية بحق الفيتو الأمريكى الذى وطد الكيان الإسرائيلى على حساب الحقوق العربية الإسلامية ، لكن ذلك لن يدوم طويلاً فإسرائيل وشعبها يدركون تمام الإدراك أن دولتهم دولة غاصبة لحق عربى فلسطينى وأن الاغتصاب لن يدوم بأى حال من الأحوال ولن يكون إلا مرحلة من مراحل التاريخ شأن الأحداث السابقة ؛ لأن العرب ليسوا هنوداً حمر أو شعوباً بلا حضارة ، لكن العمق الحضارى لاحتالة سوف يصحح حالة الاغتصاب ويعيدها إلى أصحابها الشرعيين الفلسطينيين مهما يكن من تشدد رئيس وزراء إسرائيل الحالى بنيامين نتانياهو (١٩٩٦ - ٢٠٠٠) فما ضاع حق وراءه مطارد .

* * *



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

إسرائيل والمأزق التاريخي

الفصل الثالث

التاريخ هو خلاصة التجارب الإنسانية على مدى عمر البشرية وهذه التجارب تستنفر لها في دورة التطور أحكام ومبادئ ومقاييس يؤتي فعلها حيث قواعد معينة ، وأن تيار التاريخ حين يصطدم بوضع يتناقض ويتنافر مع حركته فإنه سيستمر ولو على المدى الطويل يدق في جدار هذا الموضع وينقر فيه ويتساقط عليه مثل قطرة الماء فوق الحجر الصلب حتى ينفلق ؛ لذا فإن حركة التاريخ في النهاية هي التي تمارس فعلها حسب قوانينها وأحكامها الأزلية فإن الصدام بين التاريخ وبين أنظمة احتلال الأرض والعقل لا بد أن يبلغ ذروته بعد أن انتهى العالم من حقبة احتلال الأرض ذلك ؛ لأنه في تاريخنا الحديث شهدنا احتلال الأرض الفلسطينية (١٩٤٧ - ١٩٩٦ م) على امتداد سنوات طويلة وما شهدناه من حركة الصدام بين الذين فرضوا بقوتهم احتلال الأرض (اغتصاب فلسطين منذ صدور وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧ م وإعلان قيام إسرائيل ١٥ مايو ١٩٤٧ م) وبين أصحابها الشرعيين الفلسطينيين والذين قاموا بالذود عن أرضهم حتى تتخلص من محتليها الإسرائيليين .

ونقول : إن تيار التاريخ الذي اصطدم باحتلال الأرض ولا زال يكافح لكي يزيل هذا الاحتلال بشتى الطرق حتى لا يصل إلى احتلال العقل والسيطرة على مكوناته ليسير وفق

(الفصل الثالث)

الرغبة الإسرائيلية (ثقافة السلام) وفي هذا العرض نقول: إن إسرائيل وقعت في مأزق تاريخي عندما بادرت بإعلان إنشاء دولة على أرض فلسطين وجاءت من شتات الأرض يهود من كل فج لكى يمارسوا حياتهم على أرض مغتصبة من أصحابها الشرعيين لتكون دولة يهودية في فلسطين. لذا نقول لقد وضع القادة الإسرائيليون ثيودور هيرتزل Theodor Hertzl عندما تحرك لإنشاء دولة يهودية في فلسطين ووزيرمان في خطأ تاريخي عندما اقتنعا بأن يقوم اليهود بالهجرة إلى فلسطين لكى تكون لهم دولة مستقلة يمارسون فيها سيادتهم الأكيدة وذلك بالتسلل إلى هذه الأرض إلى أن تحل اللحظة التى لا خلاص منها عندما يشعر الشعب صاحب الأرض التى ستكون المهجرة إليها بأن كيانه مهدد، وهنا لا بد من استخدام اليهود للقوة لفرض إرادتهم، ومن هنا فإن الذين أعطوا وعد بلفور وساعدوا على هجرة اليهود بالجملة من شتى أنحاء العالم وأمدوها بالسلاح والعتاد والتقنية العلمية المتطورة وصناعات الأسلحة الذرية وغيرها من المواد التى ساعدت على تطور ها وتقدمها وبقائها على أرض العرب سواء كانت بريطانيا وفرنسا أو الولايات المتحدة الأمريكية، كل هؤلاء واهمون لا يدركون حركة التاريخ لهذا المجتمع العربى وقد غاب عن ذهنهم أن هذه الشعوب العربية صاحبة حضارة وتاريخ حضارى تليد وماض عتيدهم، أنهم ليسوا هنوداً حمر كسكان أمريكا الشمالية أو الجنوبية وأنهم ليسوا شعوباً زنجية غير متحضرة كالأقزام أو البوشمن أو البانتو أو الهنتوت. لم يدركوا أن العرب الذين يسكنون هذه المناطق هم صناع الحضارة القديمة التى تقدمت بها البشرية في مدارج الرقى والتقدم فالعرب القدماء هم المصريون الفراعنة والبابليون والآشوريون الكلدانيون والعموريون والفينيقيون والكنعانيون والأنباط والتدمريون والآراميون بل هم الحميريون والسبأيون والمعنبيون وغيرهم من الأمم والشعوب التى قدمت الحضارة قبل الإسلام كما أنهم قد غاب عنهم عندما زرعوا إسرائيل في قلب الوطن العربى عمق وصلابة ومقدرة هذه الشعوب التى قاومت الزمن وصدت الأحداث، ألم يكن المصريون أصحاب حضارة الفراعنة هم الذين تعرضوا للاحتلال والسيطرة اليونانية (٣٣٢ - ٣٠ ق.م) ثم الإسكندر والرومان (٣٠ ق.م - ٦٤١ م) عشرة قرون متواصلة خضعت فيها مصر لأطول حركة استعمارية في تاريخ الشعوب لكن هذه الفترة الطويلة التى خضع فيها الشعب المصرى لم تؤثر في الشعب المصرى كى يتحدث اللغة اليونانية أو اللغة اللاتينية فكل هذا ذهب أدراج الرياح وعاد الوجه المصرى العربى الأصيل بعد أن تخلص على يد أخوة العروبة من كل أثر من هذه الآثار كما أنه لا يوجد بين سكان

الوطن المصري البالغ عددهم ستون مليون اليوم ما يتضح من سحته أنه ذا أصول يونانية أو رومانية فالجميع سحتهم عربية مصرية أصيلة .

إن البعد التاريخي والعمق الحضاري والأصالة الشرقية قد غابت عن ذهن هؤلاء الأوروبيين الذين جاءوا من شتات الأرض بهذه العناصر اليهودية التي لا يوجد من بينها من هو من أصول سامية ، بل الجميع يتمون إلى عناصر آسيوية (خزر) رعوية كانت تعيش بالقرب من بحر قزوين وهم شعب الخزر الذي كان يعيش في الأورال في شمال وسط آسيا وليس لهم أدنى صلة بالسامية بل أنهم تمسحوا بها ، وحكاية السامية هي خرافة في تاريخ اليهود لا سيما بعد أن غزا الخزر شرق أوروبا ثم انساحوا في أوروبا بعد سقوط دولتهم على يد الروس ، بل إن السامية بعيدة أيضًا عن اليهود ؛ ذلك لأن بعض المؤرخين حاول أن يضيف هذه الصفة التي ابتكرها اليهود قبل الإسلام ليربطوا بها بينهم وبين العرب بالاشتراك في أبوة إبراهيم لهم أجمعين لكي توجب على العرب حسن معاملة النازلين بينهم من اليهود . ويتيسر لليهود ممارسة التجارة في شبه الجزيرة العربية لا سيما بعد أن طرد اليهود من الأماكن التي كانوا يعيشون فيها وهاجروا إلى العراق ، ولم يكن ذلك يدور في فكر هذه الطوائف ، إن العرب القادرين على مواجهة التحديات التاريخية لم ولن يسمحوا لهم بإقامة دولة على حساب الشعب الفلسطيني .

ثم ألم يدرك هؤلاء الأوروبيون ومن خلفهم الولايات المتحدة أن هذه الشعوب العربية القديمة وفي مقدمتها الشعب المصري لم يسترد أرضه فحسب ولكنه استرد معه كرامته الوطنية في حركة تحرر عربية من الاحتلال اليوناني ثم الروماني والبيزنطي ، وكذلك استرد طاقته المحبوسة والمصادرة والتي استطاع أن يلتحم بها مع الشعوب العربية في بلاد الشام وشمال أفريقيا وشبه جزيرة العرب ، وكيف أن هذه الشعوب لم تنحدر في طريق الانهيار الحضاري ولكنها انطلقت نحو صنع المستقبل والتقدم والنهضة والارتقاء في ظل الكيان العربي الواحد لكي تعوض سنوات السيطرة الطويلة ، ثم إذا كان تاريخ قبل الإسلام لهذه الشعوب العربية المتحضرة قد غاب عن فكر هؤلاء غلاة الاستعمار والصهيونية فقد كان أولى بهم ألا يغيب عن ذهنهم أيضًا التاريخ القريب والحديث ألم تكن هذه الشعوب العربية قد تعرضت في تاريخ العصور القديمة لأشد أنواع الاستعمار والاستيطان ؛ ليجعل مصر أطول مستعمرة في التاريخ ابتداء من الإغريق في القرن الثالث قبل الميلاد عبر البطالمة فالرومان إلى نهاية بيزنطة في القرن

الفصل الثالث

السابع الميلادى ذلك بعد أن ورثت روما اليونان ، وهكذا فإن هذه القوى الاستعمارية لم تدرك البعد التاريخى لمصر ولا البعد الاستراتيجى للشخصية المصرية والعربية وكان فناء هذه الشعوب (اليونان والرومان) واسترداد مصر لعافيتها وتاريخها ، ومن ثم كان ذلك من أكبر دوافع ثورات المصريين المشتعلة على الاستعمار البيزنطى الرومانى اليونانى فهل تأتى فى القرن العشرين (١٩١٩ - ١٩٤٨ م) إسرائيل لكى تستطيع أن تسيطر على هذه الأقطار . وتكون سبباً فى صراع دموى عنيف وحروب مشتعلة (١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧ - ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، ١٩٧٣ م) ولم تكن هذه الحروب إلا تعبيراً عن الروح القومية العربية التى لن تكون اتفاقيات السلام ولا الهرولة فى التسابق فى الصلح مع إسرائيل طريق نهاية الصراع العربى الإسرائيلى ، فالعرب أصحاب التاريخ لن يقبلوا مهما كانت التحديات العالمية بأن تسلب أراضيهم ويأتى من يقيم بها دولة من منطلق القوة والسيادة والاستعلاء ، فهؤلاء يعيشون اليوم والأيام القادمة مأزقاً تاريخياً لن يفيقوا منه إلا عندما يصطدموا بالواقع العربى وهو زوال إسرائيل ونهايتها بأى شكل من الأشكال سواء سلمياً ، أو إبادة فى الكيان العربى الكبير أو بالطرق العسكرية التى تمكن العالم العربى بالقوة الفلسطينية بأن تكون فلسطين وطناً عربياً كما كانت قبل إعلان قيام إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، بعد أن فرضوا وجودهم وسيطرتهم وضمان البقاء الطويل لهم ولذا فالسيطرة اليهودية تعمل على فرض أسباب الخضوع والخنوع وتثرى كافة مظاهر الفرقة والتناحر والتطاحن وتحاول أن تنزع من المواطن الفلسطينى والعربى أن تنزع عنه كبرياءه وكرامته الوطنية ثم تدفع بالمجتمع كله إلى التخلف لا سيما أنها تسعى إلى تدمير وسحق روح المجتمع وإنزال هزيمة اقتصادية واجتماعية كاملة به ثم كذلك أليس التاريخ الوسيط خير شاهد على قوة الحركة العربية الإسلامية فى وقوفها فى وجه التهديد الصليبي الذى استمر قرنين من الزمان (١٠٩٥ - ١٢٩٠ م) ؟ ولا سيما أنه قد وقع على مصر أن تواجه هذا الخطر فكانت معركة حطين عام ١١٨٧ م التى قاد فيها صلاح الدين الأيوبي انتصاره الكبير على الصليبيين دحرًا لهم عن أحلامهم واسترداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين ، كذلك ألم تكن مصر التى قتلت أيضًا عام ١٢٤٤ م لكى تسترد بيت المقدس من أيدي الصليبيين لأخر مرة وحتى التاريخ الحديث حتى وصلها اللورد اللنبى عام ١٩١٩ م ، ألم تكن مصر فى عهد نجم الدين الصالح أيوب هو الذى قاد حركة تحرير القدس عام ١٢٤٤ م . كذلك ألم تكن مصر التى حاربت عام ١٢٥٠ م معركة المنصورة وتم أسر لويس التاسع وكسر حدة الخطر الصليبي على

يد مصر كذلك ألم تكن مصر ، التي قاتلت المغول في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠م بقيادة قطز واستطاعت أن تكسر أكبر خطر تتارى كان يهدد البشرية في تاريخها الطويل كذلك ألم تكن مصر والعروبة من حولها هي التي قاتلت عام ١٢٩٠م بقايا الصليبيين في عهد الأشرف خليل بن قلاوون وتقضى قضاءً نهائياً على بقايا الصليبيين ألم يستوعب قادة أوروبا وقادة الحركة الصهيونية دروس التاريخ العربى ؟ ولم تكن هذه الصفحات التاريخية الخالدة أمام عبقريتهم وهم يصعدون وعد بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود على حساب الكيان العربى الفلسطينى لا شك أن الذين منحوا هذا الوعد والذين خططوا لاغتصاب فلسطين لم يستوعبوا دروس التاريخ . كذلك ونحن نقدم لهم صورة الصمود والتصددى العربى فى صورة الحركة الجزائرية التحررية التى قدمت مليون شهيد والتى خضعت للاستعمار الفرنسى منذ (١٨٣١ - ١٩٦١م) مائة وثلاثين عاماً لم تفلح سياسة الفرنسة والجزائر فرنسية وراء البحار أن تنجح فى تحقيق أدنى هدف لها وعاد الوجه العربى الجزائرى قوياً عربياً إسلامياً . كذلك فإن حركة التحرر العربى التى سادت العالم العربى فى شتى أقطاره المختلفة واستطاعوا أن يستردوا استقلالهم من القوى الإيطالية والفرنسية والإنجليزية صحيح إن هذه الأقطار لم تكن قد استطاعت أن تستعيد ترتيب أمورها الداخلية حتى تتمكن من التفرغ الكامل لمواجهة التحدى الصليبي اليهودى المشترك حيث كان الخطر الإسرائيلى المباشر إلى عمق الأراضى العربية يكاد يكون كاملاً بالسيطرة على فلسطين لا سيما أن الفلسطينيين كانوا أكثر المتضررين ثم الدول المجاورة - مصر - سوريا - الأردن - لبنان . وذلك لتعرضها للنشاط الإسرائيلى على هذه الجبهات فى الحروب التى كانت تشنها إسرائيل بمساعدة القوى الغربية والشرقية على هذه البلاد . لكن حركة التاريخ لم تتوقف ولم تنته الأحداث التاريخية ؛ لأن التاريخ ليس له نهاية كما صور ذلك بعض الكتاب الغربيون فى مقولة نهاية التاريخ بعد انتهاء الحرب الباردة ١٩٩٠م .

إن الكارثة التى تعرضت لها فلسطين على يد الصهيونية الإسرائيلىة هى سابقة ليس لها مثيل قط فى تاريخ العالم الحديث ، بل والعالم الإسلامى ولا العالم الثالث إنها ليست استعماراً قديماً أو جديداً فحسب ، ليست هى استعماراً استيطانياً أو شعباً عنصرياً وحسب ولكنه قبل ذلك استعمار إبادة إحلالي صرف يحل شعباً محتل مكان شعباً عريقاً حضارياً عميقاً تاريخياً وله بُعد زمنى طويل لكى يحل محله شعوب قادمة من اثنتين وتسعين دولة لكن ذلك الحدث لن يكون نهاية التاريخ بل هو الوقوع فى مأزق التاريخ ؛ لأن بداية البداية الصهيونية العالمية كانت

ولا تزال جزءاً لا يتجزأ عضواً من الامبريالية العالمية (الولايات المتحدة والمعسكر الغربى) ومن هنا فإنه كما انتهت كل الحركات الاستعمارية السابقة فسوف تنتهى الحركة الاستعمارية اليهودية ؛ لأنها أعلى مراحل السيطرة فى العالم العربى بل إنها حالياً (١٩٩٦م فى ظل اتفاقيات السلام مع مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية) أعلى مراحل الامبريالية العالمية إنها قطعة من الاستعمار الأوروبى الأمريكى عبر التاريخ ولا بد أن تكون لها نهاية والصهيونية بكل بساطة هى السرقة ومحاولتها الدائمة بعد السلام بأن تكون جزءاً عضواً فى العالم العربى أو الشرق العربى ؛ لأنها استهدفت وحقت كل مقومات وحقائق الدولة التى تسعى إلى التوطين الدائم للبقايا اليهودية من شتى بيئات العالم ، ولعل استعمار الجزائر سبق القول وتجربتها أقرب إلى الدهن الإسرائيلى فى صلابة تاريخ العرب ، لكنها باختلاف الغالب السكى قد طردت كل السكان الأصليين خارج وطنهم تماماً ، إن إسرائيل بهذا كله أعلى مراحل الاستعمار الإسرائيلى الاستيطانى ، وهى الاستيطان بالاستئصال والإحلال والاجتثاث والإبادة .

لكن البعد التاريخى والعمق التاريخى قادر كل القدرة على إيجاد الحلول التى تتواءم مع حركة دوران التاريخ سواء سلباً أو إيجاباً لابد أن يكون مع الحركة العربية التى هى تتمتع بالعمق التاريخى القادر على إذابة أو لفظ أو تحجيم أو الهضم الكامل لهذه الطائفة الدينية اليهودية التى لن تدوم لها بقاء دولة يهودية تهويدية متعصبة تقوم على حشد وتجميع اليهود واليهود فقط فى كيان سياسى واحد يحظى حالياً بالاعتراف من جانب بعض الدول العربية دول الطوق أو غيرها ، فإن ذلك يعود إلى استراتيجية وضعت فى القرن التاسع عشر فى ظل تفرق الصف العربى وخضوعه للقوى الاستعمارية ، وفى ظل حالات التخلف العلمى وعدم التطور التكنولوجى ، وسيادة مفاهيم لا تتلائم فى ظل كون العالم أصبح قرية أو مدينة واحدة مما يساعد على عودة الحق وسلب إسرائيل ما أخذته بالقوة .

إن المستقبل القريب أو البعيد سوف يظهر مدى صلابة الجذور العربية وقوة البعد الحضارى مهما كانت حالات السلام أو التعاون الاقتصادى أو تبادل التمثيل الدبلوماسى والعلاقات التجارية والعلاقات الثقافية ومراكز الدراسات الإسرائيلية فى البلدان العربية ، فإن كل هذه الأمور لا تشكل إلا مرحلة وقتية فى حركة التاريخ العربى لن يكتب لها الاستمرارية أو البقاء أمداً بعيداً ذلك ؛ لأن حقائق التاريخ العربى الإسلامى وأبعاد الرؤية المستقبلية ما هى

(إسرائيل والعالم - أذواق التاريخ)

إلا إدراك للخطر الإسرائيلي الحالى فى ظل ما يسود الساحة العربية من حالات التردى والانقسام والمخاوف الخطيرة العراقية على بعض الجوانب ، لكن كل ذلك لا يشكل إلا مرحلة تعود بها الأمور إلى أحد ما يكون عندما يشعر العرب مدى جسامه الأخطار التى سيتعرضون لها من جراء اتفاقيات تعقد مع الجانب الإسرائيلى ، وعندما تسود روح الوحدة والتقارب والقيادة القوية التى ستدرك أن هناك حقوقاً عربية ضائعة فى فلسطين منذ عام ١٩٤٨م وأن البعد الزمنى عام ١٩٩٦م أو ٢٥٠٠ أو ٣٠٠٠ ميلادية لا يشكل إحساساً بالضياع للأرض ، ومن ثم تكون الحركة الاستردادية للديار التى هى قلب العالم العربى لا سيما أن فلسطين ستظل أمد الدهر هى يمين القلب من العالم الإسلامى لا جغرافياً فحسب بل دينياً أولاً وقبل كل شئ (مؤتمر القمة العربى الحادى والعشرين الأخير (٢١ - ٢٣ يونيو ١٩٩٦) صورة للوحدة العربية .

فإذا كان العالم العربى هو قلب العالم الإسلامى روحياً وموقعاً فإن فلسطين كمصرهى أرض الزاوية فى العالم الإسلامى طبيعياً وبالفعل فإنها تقع فى صرة العالم الإسلامى فتوسط ما بين الصين شرقاً والأطلسى غرباً ، وما بين وسط آسيا شمالاً وجنوب أفريقيا جنوباً .

بل لقد كانت القدس وهى مركز العالم كله ، إن القدس مقدسة عند المسلمين فهى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (سورة الإسراء آية ١) والمسجد الأقصى بيت المقدس ، هو أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن الكريم على التصريح باسمهما فالمسجد الأقصى وإليه إسراء الرسول الكريم ﷺ ومنه كان معراجهُ إلى السموات العلى .

فهل بعد هذا البعد الدينى الإسلامى بقاء لإسرائيل . إننى لم أرد أن أعالج الموضوع معالجة دينية ولكن ركزنا على البعد التاريخى والحضارى كما هذه الخاتمة الدينية لكى تكون إسرائيل خطأ قد وقعت فى مأزق تاريخى سيكون الخروج منه هو عودة الحق إلى أصحابه سلماً أو حرباً فالتاريخ لا يزيغ ، وحركته مستمرة ولن تكون حركته إلا فى المسار الصحيح والخروج من المأزق وعودة فلسطين .

* * *

السلح النووى الذرى هل بضمن بقاء إسرائيل ؟

الفصل الرابع

الكتاب الذى صدر لشيمنون بيريز رئيس وزراء إسرائيل بعنوان : (معارك السلام) اعترف فيه أحد كبار المسئولين الإسرائيليين بأن برنامج إسرائيل النووى قدمته إليها حكومة فرنسا (دى موليه) ثمنًا لدور إسرائيل فى العدوان الثلاثى (الفرنسى الإنجليزى الإسرائيلى) على مصر عام ١٩٥٦ م ، وذلك خلال اجتماع عقد فى ضاحية سيفر Sevres بباريس فى أكتوبر ١٩٥٦ م وكان اجتماعًا ضم مجموعة من الإسرائيليين والفرنسيين حضر شيمنون بيريز الاجتماع هذا بصفته نائبًا لوزير الدفاع الإسرائيلى ، وإن الفرنسيين نظير اشتراك الإسرائيليين فى الهجوم على مصر قدمت صفقة البرنامج النووى إلى إسرائيل وتعاونها فى هذا المجال النووى ، وتم تسليم إسرائيل بمقتضى هذا الاتفاق إقامة مفاعلًا نوويًا فى صحراء النقب فى « ديمونة » هدية لإسرائيل نظير الدور الذى تقوم به إسرائيل فى عملية الغزو المشتركة ، وإن إسرائيل قد تسلمت المفاعل الذرى بمناسبة الحرب العدوانية ضد مصر ، وأن كتاب شيمنون بيريز اعترافًا أكيدًا بأن مفاعل ديمونة كان لأغراض عسكرية لصنع قنابل نووية على وجه التحديد . وبذلك يكون رئيس وزراء إسرائيل قد رفع الستار عن ترسانة إسرائيل النووية كان شيمنون بيريز وقتها نائب وزير الدفاع الإسرائيلى وهو الذى أشرف بنفسه على بناء المفاعل النووى فى ديمونة ووضع

للمسات الأولى والأخيرة ومتابعة كل الإجراءات بشأنه وكان يتابع حركة العمل . فهو يعرف كل صغيرة وكبيرة وعدد القنابل والرؤوس النووية ومن هنا قال في مؤتمر صانعي السلام في شرم الشيخ في ١٣ / ٣ / ١٩٩٦ م : « إنني أتحدث إلى المؤتمر من منطلق القوة » ، فهو محق فيما يقول فأين عرب السلام والحروب الخمس بما تقوم به إسرائيل . ويعد هذا التأكيد الإسرائيلي الذي لا يخفى على أحد فإن الولايات المتحدة في عام ١٩٦١ م في عهد حكم الرئيس جمال عبد الناصر كتبت (انظر كتابنا ، الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين) وكيف أن إسرائيل كذبت على أمريكا (أمريكا تعلم حقيقة المفاعل الذرى في ديمونة) بادعاء أنها أبعد ما تكون عن إنتاج سلاح نووى كذلك فإن الولايات المتحدة مارست أسلوب التموه على مصر والدول العربية في ١٥ يونيو ١٩٦١ م بقولهم : إن الخبراء الأمريكيين وعلماء الذرة قاموا بزيارة مفاجئة لديمونة في صحراء النقب وأنهم تأكدوا أن المفاعل الذرى هو لأهداف سلمية فقط والخداع الأمريكى لمصر وللعرب وامتلاك إسرائيل حاليًا ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ رأس نووى ، وأن رئيس إسرائيل بن جوريون أكد للأمريكان الذين أقاموا إسرائيل ولا زالوا ملتزمون بسيادتها طرحتها على العالم العربى ، أن مفاعل ديمونة هو للحصول على مصدر طاقة رخيص اعات الإسرائيلية ، وأن إسرائيل ليس لديها أية رغبة لإنتاج السلاح النووى (مراسلات خارجية الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت ١٩٦١ بين دين راسك ووزير خارجية نا للدكتور محمود فوزى ووزير الخارجية المصرية) وجاء في فقرات هذا الخطاب : « أن يات المتحدة سوف تستخدم كل نفوذها لمنع الانتشار النووى .. وأن الولايات المتحدة رصت على إبلاغ الجمهورية العربية المتحدة بنتائج التحقيقات التى أجراها العلماء الأمريكيون بالكشف عن المفاعل الذرى في ديمونة . وأرجو أن تبلغوا الرئيس جمال عبد الناصر والمسؤولين بالحكومة بمضمون رسالتى إليهم » التوقيع (دين راسك) .

وهكذا رغم التأكيدات الأمريكية لمصر فإن برنامج إسرائيل النووى أنتج ما يقرب من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ رأس نووى وترسانة من السلاح النووى ترفض إسرائيل الكشف عنها . وأنه عودة إلى الوثائق السرية التى نشرتها الخارجية الأمريكية عن الشرق الأوسط (١٩٦١ - ١٩٦٢) مركز الوثائق الخاصة بالتسليح النووى الإسرائيلى وما حدث من تمويه وكذب وخداع إسرائيل وذلك بأن كشف مسئول بالخارجية الأمريكية أن حكومة إسرائيل أبلغت واشنطن بأن مشروع ديمونة هو مصنع للنسيج (سداجة العرب) ثم عادت وقالت : إنه مصنع لإنتاج المعادن ثم

السلح النووى الذرى هل يضمن بقاء إسرائيل ؟

بعد ذلك تأكدت الحكومة الأمريكية بأن مفاعل ديمونة هو ذرى فرنسى ، ولكن إسرائيل ذكرت بأنها ليس لديها أية خطط لإنتاج سلاح نووى وأكدت إسرائيل استعدادها لاستقبال وفد من العلماء الأمريكيين ومن الدول الصديقة لزيارة مفاعل ديمونة (مراسلات ١٩٦١ - ١٩٦٢).

إن سياسة الخداع الأمريكية للمسؤولين المصريين أكدت الولايات المتحدة لها أنها تلقت من حكومة فرنسا بأن برنامج ديمونة فى حدود قوة ٢٤ ميجاوات وأن « البلوتونيوم » الناتج عن المفاعل سيعاد تصديره إلى فرنسا (سذاجة الحكام العرب) كما أن فرنسا أكدت للولايات المتحدة أنها لن تشارك فى برنامج الإنتاج النووى فى إسرائيل ، بل إن أمريكا تعترف فى هذه الرسائل أن إسرائيل رفضت فتح مفاعل ديمونة أمام التفتيش والضمانات الدولية . بل أكثر من ذلك عندما تأكدت الولايات المتحدة فى التقدم الذرى الإسرائيلى وإنتاجها العديد من القنابل والرؤوس الذرية فإنها بدأت هى نفسها فى مساعدة إسرائيل لإنشاء مفاعل للأبحاث الذرية فى ناحال شمال إسرائيل .

ولكن رغم كل هذه الأقوال الأمريكية والتي منها أن حيازة إسرائيل لأسلحة نووية سيكون لها انعكاسات خطيرة بالمنطقة ليس أقلها وضع أسلحة نووية سوفيتية فى الدول العربية المجاورة لإسرائيل لكن أى من هذا الاحتمال لم يحدث وأن مصر حاليًا تشعر بمدى الخطر الذى يهدد أمنها القومى لا سيما وجود هذا المفاعل على بعد ثلاثين كيلومترا من الحدود المصرية وإضافة إلى الترسانة النووية الإسرائيلية ، لا سيما بعد أن أذاع تليفزيون إسرائيل مساء ٢٧ / ٣ / ١٩٩٦ عن أنباء تسرب بعض الإشعاعات الذرية من مفاعل ديمونة إثر حدوث الزلازل فى الأشهر الماضية والذى جعل مصر والأردن وسوريا تدرك مدى خطورة وجود مخزون من الرؤوس النووية الإسرائيلية ، فإن مصر لا تهدأ لها بال حتى تستطيع أن تجعل هذه المفاعل الأربع فى إسرائيل تحت إشراف الأمم المتحدة .

لا سيما أن العالم كله لا زال يذكر كيف حدثت الضجة فى الأوساط الدولية عندما خرج مهندس إسرائيلى اسمه « موردخاى فانونو » بعد أن هرب من إسرائيل وكان قد أمضى عشر سنوات عاملاً فنيًا فى مفاعل ديمونة الإسرائيلى ، خرج من إسرائيل منذ عشر سنوات وبالتحديد فى يناير ١٩٨٦ م ومعه وثائق ٦٠٠ ستمائة صورة للمفاعل الإسرائيلى ماخينو

رقم ٢٢ الذى تصنع فيه الأسلحة النووية ووقعت هذه الوثائق فى أيدى علماء بريطانيين قاموا بدراستها . وفى الخامس من أكتوبر عام ١٩٨٦م نشرت صحيفة (الصنداي تايمز) البريطانية أن علماء من أمريكا وبريطانيا قاموا بدراسة هذه الوثائق وانتهوا إلى أن إسرائيل تمتلك ما بين (١٠٠ مائة إلى ٢٠٠ مائتين سلاح نووى) كما أنها تمتلك تكنولوجيا صناعة القنبلة (الهيدروجينية) ، كما أنها تمتلك تكنولوجيا صناعة القنبلة (النيترونية) التى تفتك بالبشر دون أن تدثر المؤسسات ، والكل يعلم أن الإسرائيلى فانونو تم خطفه من قلب لندن ويمكن الاطلاع على قصة المخابرات الإسرائيلية فى خطف « فانونو » بواسطة عملاء الموساد الإسرائيلى وتمت محاكمته سرىً ولا زال محبوساً حبساً انفرادياً داخل زنزانه رغم مرور عشر سنوات على ذلك ولقد صمتت عند ذلك كل منظمات حقوق الإنسان الأوروبية والأمريكية عن حالة هذا الإسرائيلى ، ومن هنا فإن إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى تنفرد بامتلاك السلاح النووى وأنه لذا لا توجد تصورات متماسكة لأنماط استخدام قنابل أو رؤوس نووية فى أوضاع الاحتكار الإسرائيلى وهى فى ظل القول بأنها أسلحة ردع طالما لا يوجد سلاح نووى مضاد فى المنطقة وأنه فى ظل حالة احتكار نووى لا يمكن الحديث ببساطة عن استقرار إقليمي يستند على أسس استراتيجية .

لذا فإن إسرائيل تعتبر قوة نووية إقليمية من طراز خاص فقد أشارت تقارير ذات مصداقية عالية منذ عام ١٩٨٦م إلى أن إسرائيل تمتلك ما لا يقل عن ٢٠٠ رأس نووى وتثير حجم ترسانة إسرائيل النووية قضايا مختلفة منها قضية حد الكفاية فتبعاً لتقديرات الأكاديمى الإسرائيلى (شاي فلدمان) أن امتلاك إسرائيل ما بين ٣٠ إلى ٤٠ قنبلة نووية استراتيجية ذات قوة تتراوح ما بين ٢٠ إلى ٦٠ كيلو طن يكفى لتدمير كافة الأهداف المعلومة والمصورة لدى إسرائيل فى كل من مصر وسوريا والأردن والعراق وليبيا والسعودية بصورة تعيد هذه الدول إلى القرون الوسطى . وبالتالي فإن امتلاك إسرائيل لما يتجاوز بكثير حدود الكفاية المتصورة لها تثير قضايا كثيرة أهمها نوايا إسرائيل النووية فالردع النهائى لا يحتاج إلا إلى عدة رؤوس استراتيجية قليلة العدد لا سيما أن أسلحة إسرائيل النووية لم تكن بعيدة على الإطلاق خلال العقدین الماضيين عن مسألة الاستخدام سواء فيما يتصل بالاستعداد للاستخدام الجاهز أو بالتهديد بالاستخدام فهناك تقارير تشير منذ أوائل الثمانينات إلى أن إسرائيل قامت بنشر عناصر من قوتها النووية فعلياً على مسرح العمليات فى النقب والجولان فى كهوف أو عربات متحركة وأن

(السلح النووى الذرى هل يضم بقاـ إسرائيل ٦)

هناك قواعد جوية نووية وقواعد صاروخية نووية ومواقع لتخزين الأسلحة التكتيكية في (تل نوف) وكفار زخريا ، وشمال الجليل بحيث يمكن القول أن الأسلحة النووية الإسرائيلية قد باتت ظاهرة للعيون ، ولم تعد هذه الأسلحة داخل القبو منذ فترة طويلة حيث أصبحت إسرائيل تتصرف على نطاق معين ، وكأنها دولة نووية معلنة وليس مجرد أسلحة نووية وتقدمت أهمية سياسة الغموض النووى (تبعاً لمحللين إسرائيليين ذوى ثقل) إلى مجرد غطاء رسمى لواقع لم تكن إسرائيل تحرص كثيراً على إخفائه .

ومن جانب آخر تشير مصادر متعددة إلى أن إسرائيل فكّرت فعلاً في استخدام قواتها النووية مرتين على الأقل منذ أوائل السبعينات فقد هددت إسرائيل باستخدام السلاح النووى يوم ٧ أو ٨ أكتوبر ١٩٧٣م وذلك عندما اشتدت وطأة الهجوم المصرى وقبل حدوث ثغرة الدفرسوار ليلة ١٤ أكتوبر ١٩٧٣م حيث صدرت إشارات واضحة حول احتمالات الاستخدام النووى ضد القوات المصرية ، كذلك صدرت إشارات واضحة حول الاستخدام النووى خلال حرب الخليج في يناير ١٩٩١م عندما أصابت صواريخ اسكودا العراقية تل أبيب والمدن الإسرائيلية الأخرى ، وكذلك لا تخلو تصريحات بعض قادة إسرائيل العسكريين تجاه إسرائيل خلال العامين الماضيين (١٩٩٣م) من إيجاءات نووية ، وكذلك عندما تحدث رئيس وزراء إسرائيل القليل (إسحق رابين) حيث جاءت أقواله مفاجأة بالتهديد بحرب قادمة رغم إصراره على احتفاظ إسرائيل بترسانتها النووية ومن هنا فإن أمر امتلاك إسرائيل للسلاح النووى لم يعد سرّاً على أحد في العالم بأسره .

ومن هنا فإنه ليس من المعقول في عالم القوة الذرية الإسرائيلية والعلاقات الإسرائيلية الأمريكية أن يطالب أحد العرب بالتخلي عن أمنهم وسلامتهم طالما أن إسرائيل تنفرد بامتلاك السلاح النووى وبعد أن افتضح أمرها وصرح به فانونو وكذلك رئيس الوزراء نفسه ولم يعد الأمر الإصرار على عدم الامتلاك وأنها لا تقبل التفتيش على منشآتها النووية من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية وهذا سيكون كفيلاً بإثبات أن لديها سلاحاً نووياً لا سيما أن ترك الأمر ملتبساً في قضية بخطورة امتلاك إسرائيل لترسانة نووية يتعارض ما هو مطروح حالياً على الساحة بشأن السلام وأنه يحمل في طياته معنى أن الحرب لا السلام ما زالت المرجعية السائدة وأن إسرائيل ، لا زالت تتخذ الحرب المستندة إلى الأسلحة النووية ملاذاً أخيراً لها في حالة فشل مفاوضات فرض السلام بالصورة الإسرائيلية التى تريدها .

وبصورة أدق تستهدف إسرائيل بعدم بوحها بما تملكه من أسلحة نووية جعل فرض إرادتها على العالم العربي أمراً تقرره هي دون إبداء العرب أدنى اعتراض وأنه بعد أن بات للعيان أن إسرائيل تمتلك هذه الكمية الهائلة من الرؤوس وأنها تسير في معاهدات الصلح وتوقيع السلام مع الدول العربية رغم عدم الاستقرار النهائي في الشرق العربي ، فهل امتلاك السلاح النووي يضمن بقاء إسرائيل على المدى الطويل ؟

ليس هناك أدنى شك في أن إسرائيل لا زالت تتخوف من العراق وليبيا وإيران وأحياناً سوريا بل أكثر من ذلك فإن مخططي السياسة الإسرائيلية يذكرون أن مصر رغم توقيع اتفاقية السلام بعد معاهدة كامب ديفيد ١٩٧٩م فإن الإحساس بأن مصر الخطر الأول على إسرائيل لا زال سارياً في النفوس الإسرائيلية لإدراكهم مدى صلابة وعمق الشعب المصري ، إن امتلاك الأسلحة النووية الآن يضمن بقاء إسرائيل على المدى الطويل وهذا ما سوف نعرض له في فصل قادم عن عوامل زوال إسرائيل .

ولكن فليكن معلوماً لدى القادة الإسرائيليين وهم الذين يتيهون فخراً بذكائهم كيف انهار الاتحاد السوفيتي إلى كيانات صغيرة وتمزق رغم امتلاكه للعديد من الأسلحة المتطورة وباعتبار أنه ثاني قوة عالمية بل الأولى عسكرياً فهل يضمن الامتلاك الذرى البقاء .

لقد أضاع العرب حقبة تاريخية هامة في فترة الحرب الباردة والصراع بين القوى الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتي والقوى الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من (١٩٤٨ - ١٩٨٩م) ولقد كان الأولى بهم استغلال هذه الفترة الزمنية التي ظهرت فيها إسرائيل للوجود ككيان غير شرعي على أرض عربية فلسطينية وذلك قبل سقوط الاتحاد السوفيتي والعمل على الاستعانة بالخبرات العلمية للتكنولوجية التي تمكن العرب من إنتاج سلاح ذرى يتوازي مع إسرائيل ولا سيما أن العالم العربي لا سيما بعد حرب (١٩٧٣ - ١٩٨٩م) ستة عشر عاماً قد امتلك أكبر ثروة مالية تتاح لدولة أو مجموعة دول في تاريخ العالم إذ قدر دخل العالم العربي في تلك الفترة بأكثر من (٤ تريليون دولار) ثروة ضخمة هائلة لم يحسن استخدامها في الإنتاج الذرى لا سيما أن العديد من الدول العربية كانت لديها الإمكانيات العلمية والخبرات الفنية والعلماء البارزين في المجال النووي (مصر والجزائر والعراق) ولكن عدم التعاون العربي قد أتاح الفرصة لإسرائيل أن تتحرك وتتعاون مع الدول

(السلح النووى الذرى هل بضمن بقاء إسرائيل ؟)

الغربية فرنسا (مفاعل ديمونة فى صحراء النقب) والولايات المتحدة الأمريكية (مفاعل ناحال فى شمال إسرائيل) كل هذا استطاع إنتاج أكثر من ٢٠٠ رأس نووى أو ٣٠٠ ثلاثمائة رأس والعرب فى ظل هذه السيادة لم يعقلوا شيئاً .

صحيح أن مصر فى عهد عبد الناصر (١٩٥٨ - ١٩٦١ م) حاولت التحرك للدخول فى المجال النووى بإنشاء (مفاعل لإنشاص) وإرسال وفود علمية إلى الدول التى ضمن عضوية النادى الذرى وقامت مصر بإرسال وفد إلى الصين فى ظل رئاسة (شواين لاي) رئيس وزراء الصين وتقابل الوفد المصرى معه لكن كان رد رئيس وزراء الصين الاعتماد على النفس ، ولم يتح للعلماء المصريين فرصة التعاون مع علماء الذرة الصينيين ، وتقديم أدنى مساعدة ثم كان تدخل الولايات المتحدة المباشر لدى القيادة المصرية بعدم المضى قدماً فى تطوير المفاعل الذرى المصرى فى إنشاص وبذلك ضاعت فرصة أخرى من مصر كما لم تقم الدول العربية بتقديم الأموال اللازمة لمساعدة مصر فى التطور والتقدم العلمى الذرى لا سيما بعد تجربة إطلاق صاروخ الظافر والقاهر ودور العلماء الألمان فى ذلك المجال والرسائل الناسفة من جانب إسرائيل لهؤلاء العلماء وأسرهم .

كذلك لعبت إسرائيل دوراً فى تعطيل العمل فى المجال الذرى المصرى بما كانت تقوم به من تهديد العلماء الألمان الذين استعانت بهم مصر بإرسال الرسائل والطرود الناسفة والحوادث الكثيرة التى حدثت من تأثير انفجار هذه الطرود والرسائل وكذلك تهديد أبناء العلماء وزوجاتهم فى ألمانيا بالخطف وأعمال العصابات كل هذا كان عاملاً معطلاً فى سبيل تقدم العرب فى هذا المجال الذى حازت فيه إسرائيل مجال سبق ، كذلك فإن فرنسا عندما قامت بمساعدة العراق فى إنشاء المفاعل الذرى العراقى بالقرب من بغداد فإن الطائرات الإسرائيلية قامت عام ١٩٨٠ م بضرب المفاعل وهو فى مرحلة الإنشاء وذلك بإعطاء رسومات هذا الموقع لإسرائيل (فرنسا تحصل على المال من العراق وتمد إسرائيل بالخرائط) وذلك بعد أن قامت الطائرات الإسرائيلية باختراق المجال الجوى الأردنى والسعودى وصولاً إلى العراق ثم العودة سالمة دون أن يشعر بها أحد .

كذلك فإن أثناء حرب الخليج الأولى (١٩٧٩ - ١٩٨٧ م) فإن القدرات العراقية أخذت طريقها للتطور العلمى ، وحادثة اغتيال الدكتور يحيى المشد عالم الذرة المصرى الذى كان

يعمل لدى العراق في باريس خير شاهد على التدخل الإسرائيلي في شئون العالم العربي للحيلولة دون إحرازه أدنى تقدم في هذا المجال ، ولقد كانت حرب الخليج الثانية وغزو الكويت (١٩٩٠ - ١٩٩١م) نكسة كبرى على البرنامج العراقي وما تم من قيام الأمم المتحدة بتدمير كل الأنشطة العراقية وإرسال مراقبي الأمم المتحدة للتفتيش على كل شيء في العراق وهكذا أضاع العرب حقبة تاريخية هامة دون تحقيق أدنى تقدم مما ترك المجال واسعاً أمام إسرائيل ليكون لها ثقل السبق والعمل منفردة في المنطقة لكي تكون لها السيادة وفرض الشروط التي تحقق لها إمكانية التفرد بامتلاك هذا السلاح .

بل أكثر من ذلك فإن إسرائيل قد دأبت منذ ثلاث سنوات لإثارة العالم الغربي وبصفة خاصة الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا بما تدعيه من قيام إيران بإنشاء مفاعل ذري في منطقة « خورشهر » بمساعدة روسيا الاتحادية وهو المشروع الذي كانت قد بدأت إيران من عهد الشاه رضا بهلوي بمساعدة من ألمانيا ثم توقف المشروع بعد الثورة الإيرانية بقيادة آية الله خوميني عام ١٩٧٩م ثم رأت الحكومة الإيرانية المضي في هذا المشروع في العهد الحالي بقيادة «رفسنجاني» وتبذل الولايات المتحدة بقيادة « بل كلينتون » جهداً خارقاً لدى روسيا لعدم المضي في التعاون مع إيران في هذا المجال ولكن روسيا ماضية في التعاون مع إيران ولا سيما أن التقارير تشير إلى أن إيران قد يتاح لها إنتاج بعض القنابل البدائية في خلال بضع سنوات ثم نخرج على باكستان وهي التي وضعت يديها على كل مقومات إنتاج القنبلة الذرية التي يطلق عليها الغرب القنبلة الإسلامية .

إن إسرائيل تتوجس خفية من أي إنتاج ذري عربي أو إسلامي ؛ لأنها ترى في ذلك تهديداً لها ولكنها الدخيل ، لكن الأمور لن تسير حسب رغبة إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ذلك لأن الحاضر والمستقبل يحمل بين طياته أمور كثيرة فإنه لن يمضي زمن طويل قد يكون بين عشرة أعوام أو عشرين عاماً حتى يتاح لأي من الدول العربية (ليبيا - الجزائر - العراق - مصر - سوريا) إلا وتكون قد وضعت يديها على إنتاج سلاح يستطيع أن يجعل التوازن قائماً بين العرب وإسرائيل .

ثم إنه حتى في عدم قدرة أي من الدول العربية السابق الإشارة إليها إنتاج سلاح نووي في خلال عشرة أو عشرين عاماً فإن أي من الدول الإسلامية الأخرى (باكستان - إيران - إندونيسيا - ماليزيا - تركيا) تكون قادرة على الإنتاج الذري مما يجعل الأمور تسير في غير

(السلح النووى الذرى هل بضمن بقاء إسرائيل ؟)

ما تشتهى إسرائيل من بقائها منفردة فى منطقة الشرق العربى أو الشرق الإسلامى بامتلاك السلح النووى ، إن إسرائيل تدرك تمام الإدراك خطر امتلاك أى من الدول العربية أو الدول الإسلامىة للسلح النووى ، ومن هنا وفقاً لما أذاعته وكالات الأنباء من تل أبيب فإن صحيفة ها أرتس الإسرائيلية قد ذكرت أن إسرائيل تخطط للحصول على اعتراف أمريكى مكتوب لأول مرة لحاجتها إلى الاحتفاظ برادع استراتيجى - أى بأسلحة نووىة - حتى فى حالة التوصل إلى السلام الشامل مع جيرانها العرب وقد قال « زائيق ستيف » المحرر العسكرى لصحيفة ها أرتس والمعروف بصلاته الوثيقة بوزارة الدفاع الإسرائيلية أن الجانب الإسرائيلى قد وضع نصاً بهذا المعنى فى مشروع الاتفاق الدفاعى المشترك مع الولايات المتحدة الذى سيوقعه الرئيس الأمريكى بيل كلينتون وشيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلى فى واشنطن فى أواخر شهر أبريل ١٩٩٦ م ، وأضاف المحرر العسكرى « زئيف ستيف » أن إسرائيل تقترح إدراج هذا الاعتراف فى فصل سرى للاتفاق الدفاعى الذى سوف يعرف باسم ميثاق التعاون الاستراتيجى والأمن المتبادل لا سيما أن الولايات المتحدة سوف تقدم لإسرائيل مظلة واقية حقيقية لأمن إسرائيل وسيكون ذلك أغلى هدية لبيريز والحكومة العمالية الإسرائيلية وسوف تقدم واشنطن أقوى ما تملكه من تكنولوجيا حديثة مع المعلومات السرية جداً للمخابرات العسكرية الأمريكية إضافة إلى تحالف عسكرى حقيقى تعترف فيه أمريكا بالقوة النووىة الإسرائيلية وإقامة محطة أرضية أمريكية فى إسرائيل للتجسس بالأقمار الصناعىة الأمريكية ويعلق المراقبون العسكرون على أن هذه الاتفاقيات الاستراتيجية بين إسرائيل والولايات المتحدة سوف تجعل إسرائيل الولاية الإحدى والخمسين (٥١) للولايات المتحدة الأمريكية .

ومن كل هذا نلاحظ أنه كيف ترك العرب فرصة امتلاك إسرائيل لهذه الكميات من القنابل الذرىة وكيف خدع الأمريكان مصر والعرب بقولها: إن إسرائيل تبنى مصنع للمعادن أو المنسوجات فى ديمونة أو أنه يستخدم للطاقة الشمسىة حتى فوجئ العالم باعترافات الخبير الإسرائيلى فانونو وكذلك اعتراف شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل فى كتاب (معارك السلام) بامتلاك إسرائيل للسلح النووى وكيف أن إسرائيل سوف تعقد فى أبريل القادم (١٩٩٦ م) اتفاقاً أمنياً مع الولايات المتحدة تسمح منه الولايات المتحدة بامتلاك إسرائيل للسلح الذرى فى ظل اتفاقيات السلام الشامل مع العرب .

ونقول إن امتلاك إحدى الدول العربية أو الإسلامية للسلاح النووي قد لا يشكل خطراً مباشراً على وجود إسرائيل أو قد يكون العامل الفاصل في نهاية الكيان الإسرائيلي من الأرض العربية ولكن ربما قد يساعد على أن يكون عامل قوى في يد العرب أو إحدى الدول الإسلامية لكى تحد من أطماع إسرائيل كقوة في المنطقة ويحاول أن يجعلها في حجمها الطبيعي ويحد من طموحاتها للسيطرة على المنطقة العربية لما تملك من قدرات نووية ؛ لأن التوازن بين العرب وإسرائيل في السلاح النووي هذا يكون له أبعاداً أخرى مستقبلية ذلك لأن العرب والعالم الإسلامى الذى يمتلك السلاح النووى سواء إيران أو باكستان أو إندونيسيا أو ماليزيا لن تستطيع أى من هذه القوى إزاحة أو إزالة إسرائيل في ظل وجود الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية كقوة أولى مهيمنة على مقاليد الأمور في العالم إذ أن الارتباط الأمنى والعسكرى والدفاعى بين الولايات المتحدة وإسرائيل سوف يكون عامل ردع مباشر للعرب والمسلمين في محاولة إزالة إسرائيل لا سيما وقد سبق أن قال بروز تيتو رئيس يوغوسلافيا وأحد أقطاب دول عدم الانحياز أن إزالة إسرائيل أو إلقتها في البحر يقتضى إلقاء أو إزالة الولايات المتحدة الأمريكية لكن إسرائيل سوف يتم إلالتها على مراحل لا سيما أن العالم العربى سوف يتطور ولن يكون السلاح النووى قادراً على حماية وجود إسرائيل ذلك ؛ لأن الاتحاد السوفيتى كأكبر قوة مضادة للولايات المتحدة قد انتهى دون طلقة واحدة وتفسخ المعسكر الاشتراكى ولم يعد لها وجود على الساحة العالمية كقوة كبرى ثانية تناوئ المعسكر الرأسمالى الغربى ، لكن إسرائيل في ظل الوقاية الأمريكية والمظلة التكنولوجية المتطورة لن تستطيع أن تحفظ أمن وكيان إسرائيل ؛ لأن الشعب الفلسطينى ومن خلفه العالم العربى والإسلامى يدرك أن القدس إسلامية وأرض فلسطين عربية من النهر إلى البحر أى من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط تكون فلسطين رغم السلاح النووى فالفلسطينيون قادرون لا محالة بما لهم من إمكانيات للعمل على إعادة الأرض إلى أصحابها الشرعيين ولن يحمى السلاح النووى إسرائيل من أن تسقط تحت عجالات التاريخ الذى وقع فيه غلاة الصهيونيين ومن دعمهم من قادة الغرب ؛ لأنهم لم يقرأوا التاريخ وإذا كانوا قد قرأوه فلنهم لم يفهموه وإن كانوا قد فهموه فلنهم لم يستفيدوا من التجارب التاريخية الخاصة وذلك طبقاً لما جاء في التوراة (بأنهم شعب لا يفهمون) .

فلن تكون القنابل الذرية درعًا واقيًا ضد إرادة الشعب الفلسطيني إلا أن يعيش اليهود ، ظل دولة فلسطين عربية تجمع المسلمين والمسيحيين واليهود في ظل كيان واحد .يمقراطى دولة علمانية حديثة لا تكون فيها كيان لليهودية كعقيدة تقام عليها دولة مغتصبة من نعب فلسطين .

لا سيما إن هناك إحصائيات تقول إنه خلال أقل من ٥٠ عامًا ستكون هناك حوالى ١٠٠ دولة تمتلك أسلحة نووية بما فى ذلك دول فقيرة ، ولا شك أن من بين هذه المائة دولة لا بد أن كون هناك دولة عربية متعددة بل دول إسلامية أيضًا وأن ذلك سيمثل خطرًا شديدًا على لكيان اليهودى وعلى استقرارها السياسى فى الشرق العربى بل على استقرار العالم وأن هناك بدد قليلًا من الدول التى لديها إرادة سياسية وشرعت فى امتلاك أسلحة نووية (ليبيا - إيران - العراق - سوريا - مصر - باكستان) بل أن هناك دول عربية أو غير عربية تستطيع شراء هذه الأسلحة من الدول النووية الموجودة حاليًا ، لا سيما أن كوريا الشمالية متطلعة إلى بيع هذه لأسلحة بعد أن ضربت رقمًا قياسيًا فى بيع الصواريخ النووية طويلة المدى .

إن المرحلة القادمة بل العقد الأول من القرن الحادى والعشرين سوف يسفر عن تغيرات عديدة فى الساحة العالمية ولا شك سوف تبرز قوى أخرى صاعدة سيكون لها دور أكبر وأهم ، صنع القرار السياسى فى الشرق العربى ولن تكون لإسرائيل القدرة على الحماية فى ظل سلاح النووى ؛ لأنه لن يوفر لها هذا السلاح الوجود فى ظل الخصم العربى الذى يصل مداده إلى ٣٠٠ مليون نسمة .

* * *

الولايات المتحدة الأمريكية والتوازن العالمي ..

الفصل الخامس

نحن نعلم علم اليقين أن الولايات المتحدة الأمريكية تقود حاليًا المسيرة العالمية منفردة هي التي تتربّع على عرش القوى العظمى الوحيدة في العالم بعد اختفاء الدب السوفيتي من ذلك لن يدوم ولن يطول هذا الانفراد ولكن لمرحلة تاريخية قد تطول إلى عشرة أعوام أو ثلثين عامًا ولن تطول أكثر من ذلك بل ربما قد تقل إلى ربع قرن (٢٥ عامًا) ، ولكن الولايات حدة تدرك ذلك فإن هذا التفرد لن يدوم طويلا ، ومن هنا فلنأخذ تعمل دون توقف على يرها عسكريا بل إنها تتقدم لتكون على مشارف ثورة حقيقية في عالم تكنولوجيا الحرب تتيكات المعارك وأنها تعمل على امتلاك إمكانيات ومصادر عسكرية أمريكية جديدة بل نانيات فائقة القدرة والتطور والتقدم إلى الحد الذي يمكن الحكم على تكنولوجيا حرب لبيج الثانية عام ١٩٩١ م ، بأنها حرب بدائية مقارنة بما تصل إليه أمريكا حاليًا . وقد نقلت حيفة (لوس أنجيلوس تايمز) عن خبير عسكري بجامعة (خون هوبكنز) قوله : إن وب القرن الحادى والعشرين ستكون مختلفة تمامًا عن حروب اليوم حيث سيمتد ميدان ركة لمساحة ٣٠٠ ميل إضافة أن القتال في الميدان سوف يكون ليلا ونهارًا أو في ظل الأحوال رية السيئة وأن الحروب لن تكون لأيام قليلة وليس شهورًا أو سنوات كما كان يحدث في

(الفصل الخامس)

الماضى ، وقد ذكر أحد خبراء حروب المستقبل فى البتاجون أنه لن يتم الاكتفاء فى المستقبل بالوصول إلى التفوق الجوى فى ميدان المعركة ولكن سيتم ضمان السيادة فى المعلومات بتدبر أنظمة الرقابة والرادار التابعة للعدو وإصابتها بالتشويش وقد أوضحت الصحيفة (لوس أنجيلوس تايمز) قولها : إن التغيرات فى حروب المستقبل قد تم تطويرها فى مختبرات قتالية تابعة للجيش وأن بعض نوعيات التكنولوجيا الجديدة أصبحت جاهزة بالفعل للاستخدام لكن معظمها سيكون جاهزاً قبل نهاية هذا القرن أو على الأكثر فى عام ٢٠٢٠م.

ورغم هذه المقدمة والدباجة عن الولايات المتحدة الأمريكية إلا أننا نقول : إن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه العديد من التحديات الداخلية والخارجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى لاشك سوف تؤثر على خط نجاحها فى قيادة العالم ذلك ؛ لأنه إذا سارت الولايات المتحدة فى تنمية الاتجاه العسكرى لكى تكون لها السيادة الأولى على العالم والتوسع فى تكاليف الإنفاق العسكرى فإن ذلك سوف يؤدى فى النهاية إلى حالة من الإفلاس والديون وهبوط المستوى الاقتصادى ذلك ، لأن الاتحاد السوفيتى عندما إنجرف فى الصراع العسكرى مع الولايات المتحدة واتجه إلى الإنفاق المتزايد على أبحاث الفضاء وسفن الفضاء والإنتاج الحربى كالصواريخ والقنابل والمعدات المتطورة فإن الحال الذى وصل إليه الاتحاد السوفيتى عام ١٩٨٩ عندما تصدعت هذه الدولة الكبرى نظراً للإفلاس الاقتصادى وهبوط مستوى المعيشة وعدم الاهتمام بمصالح الشعب على حساب الإنفاق العسكرى والأبحاث التكنولوجية المتقدمة وبذلك انهارت هذه القوى الكبرى الثانية فى العالم وبات علماء الذرة والصواريخ والفضاء ومراكز الأبحاث يعيشون فى مستوى اقتصادى متدنٍ مما دفعهم لبيع أنفسهم فى الأسواق العالمية لمن يدفع وهاجر كثير من العلماء إلى أوروبا والولايات المتحدة ودول الشرق كإسرائيل وإيران والعراق وليبيا .

إضافة إلى أن السياسة المالية الأمريكية الخاطئة سوف تؤدى إلى زوال الطبقة الوسطى وفقدان الاحترام الدولى لا سيما أن ديون أمريكا حالياً تصل إلى أربعة تريليون دولار هذا فى عام ١٩٩٢ أما فى عام ١٩٩٥ فإن ديون أمريكا قد وصلت إلى ٦,٢ تريليون دولار وأن الدولار سوف يفقد قيمته على المدى البعيد بحلول عام ٢٠٠٠ حيث ستكون ديون أمريكا ٢٢ تريليون وأن فوائد هذه الديون لكل من اليابان وألمانيا والسعودية وغيرها من الدول الدائنة يصل إلى

٦١٩ مليار دولار وأن الولايات المتحدة فى المدى البعيد ٢٠١٠ سوف تفقد آليات السيطرة على ديونها وفوائدها وتفاقم العجز فى الموازنة العامة وآثارها الاقتصادية والمادية بل أن إنهاك الولايات المتحدة فى مواجهة الأزمات الخارجية (الشرق الأوسط ، البوسنة والهرسك ، الصين ، تايوان ، كوريا الشمالية ، العراق ، إيران) سوف يكلفها الكثير من الأموال مما يساعد على زيادة التضخم والركود وتبدأ الطبقة الوسطى بالزوال وفقدان السمعة العالمية والاحترام الدوليين والخروج من نطاق المنافسة التجارية والاقتصادية وقد بدأ ذلك بخسارة بعض المعارك الخارجية أمام اليابان وألمانيا وذلك مما يفقد الولايات المتحدة قدراتها الاقتصادية . لا سيما أن التحرك فى دول جنوب شرق آسيا قد بدأ يأخذ بعدا آخر يشكل أكبر خطر عليها فى المستقبل القريب ، ذلك ؛ لأن إنتاج هذه الدول يشكل ٢٤٪ من الإنتاج العالمى يضاف إليه إنتاج الهند ١٢٪ من الإنتاج العالمى يكون ٣٦٪ من الإنتاج العالمى فى الهند والصين واليابان وتايوان وهونج كونج وكوريا الجنوبية وتايلند وماليزيا وإندونيسيا والفلبين وفيتنام وقيام وظهور هذه القوة الاقتصادية الكبرى مما يعنى تعادل إنتاج ٢٤٪ مع إنتاج كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك (النافتا) ٢٤٪ ولكن مع نهاية عام ٢٠٠٠ سوف يكون إنتاج هذه الدول ٣٣٪ من الإنتاج العالمى مما دفع دول أوروبا الخمسة عشر للتوجه إلى بانكوك عاصمة تايلاند لعقد مؤتمر الدول الخمسة والعشرين التى تضم عشرة دول آسيوية لمناقشة مستقبل التجارة العالمية والإحساس بقوة هذه الدول الآسيوية الكبرى يفقد أمريكا القدرة على التحكم فى حركة الصادرات والواردات العالمية وعدم القدرة على فرض العقوبات الاقتصادية .

والذى ينظر الى المدى القريب يدرك أن أبناء اليابان كانوا وراء كل هذه التحركات الاقتصادية والتقدم الاقتصادى الهائل فى البلدان الآسيوية ، النمور وغيرها الفلبين وبورما وفيتنام وذلك ؛ لأن اليابان لا تنسى للولايات المتحدة استخدامهما القنابل الذرية فى ضرب هيروشيما وناجازاكي عام ١٩٤٥ فى الحرب العالمية الثانية بل إنها لم تكتف بذلك بل قامت بإزالة الامبراطور اليابانى رمز الشمس والقوة للشعب اليابانى عند توقيع معاهدة الاستسلام للقائد الأمريكى كل ذلك كان دافع قوى لكى تتحرك اليابان كقوة اقتصادية كبرى عالمية قادرة على إنتزاع زمام المبادرة من الولايات المتحدة لأن التحرك اليابانى فى دول النمور وغيرها من جنوب شرق آسيا قد دفع بها مليارات الدولارات فى هذه الدول ، فنجد مثلاً فى خلال ست سنوات ١٩٨٦ - ١٩٩٢ كانت الشركات اليابانية تستثمر ٤٧ مليار دولار فى آسيا ذلك ؛ لأن

اليابان كانت وراء النجاح الاقتصادي المتكرر في آسيا ، إضافة إلى أن كثيراً من الشركات اليابانية نقلت مصانعها إلى الأسواق الأمريكية والأوروبية التي تباع فيها منتجاتها كذلك كان انتقال الشركات اليابانية الأخرى إلى دول النمر وكذلك اتجهت بعض الشركات إلى بقية بلاد النمر الأخرى لكي تخلق التوازن مع الولايات المتحدة بل تجاوزتها ومن هنا نحن نشهد التطور العلمى والتكنولوجى القادم من دول النمر واليابان والصين في شكل تهديداً خطيراً على الاقتصاد الأمريكى الذى لا بد أن يواجه العديد من المشاكل على المدى القريب لا سيما أن الصين تتجه إلى ضم هونج كونج في مايو ١٩٩٧ وكذلك جزيرة مكاو البرتغالية وأيضاً تحاول ضم تايوان (٢٢ مليون صينى تايوانى) بأى شكل من الأشكال سواء سلماً أو حرباً مما يدفع بالصين بالتعاون مع دول (الآسيان) إلى تحدى القوى الاقتصادية الأمريكية (النافتا) بالاشتراك مع المكسيك وكندا ، ومن هنا فالواضح جلياً أمام العين أن أمريكا لن تكون القوى الاقتصادية الأولى بالتعاون مع باقى دول (النافتا) أو مع دول غرب أوروبا ولا بد أن تعرف الولايات المتحدة أن النمو الاقتصادي السريع في آسيا هو التحدى الأكبر لوجودها وكيانها كقوى عالمية أولى ذلك ؛ لأن هذا التطور سوف يؤدي إلى أزمة تجارية مستعصية لها . لا سيما أن العديد من الدراسات التي أشارت إلى قوة اليابان والصين وبقية دول آسيا أشارت إلى تراجع الدور الأمريكى اقتصادياً بل عسكرياً على المدى البعيد (ربع قرن ٢٥ سنة) ذلك لأن القوة الآسيوية هي التحدى الحقيقي القادم في القرن الحادى والعشرين ولكن الخطر الأكبر يأتي من الصين القوة العالمية الكبرى ٢٥٠ ، ١ مليار ومائتين وخمسين مليون نسمة القوة الاقتصادية الصاعدة والتي تحاول أن تتقارب مع اليابان على حساب التقارب اليابانى الأمريكى ومن ثم فإن قوة آسيا لابد أن تضع نهاية للولايات المتحدة لاسيما أن الصين تشهد مرحلة من التغير الشامل في المستقبل القريب في الوقت الذى تحقق فيه طفرات اقتصادية قوية تدفع بالآلة الأمريكية المتطورة إلى عدم القدرة في المنافسة مع اليابان والصين والنمر الآسيوية ومن هنا تسعى الولايات المتحدة إلى التحالف مع اليابان والتعامل معها في المرحلة القادمة كحلفين لا خصمين ولما كان التقدم الاقتصادي الصينى عاملاً حاسماً في وقف القوة الأمريكية ؛ فإن ذلك سوف يشكل نزعة قومية كجزء من سياسة الدولة فسوف تنمو القوة العسكرية للصين مما يدفع الولايات المتحدة إلى التردد لليابان لكن اليابان بالحس الآسيوى ترى أن إهانة الولايات المتحدة للإمبراطور اليابانى درساً قاسياً لن ينساه المواطن اليابانى الذى يحس بالكرهية

(الولايات المتحدة الأمريكية والتوازن العالمي ..)

الشديدة للذين استذلوا رمزه وإمبراطوره ومن هنا لن يكون التقارب الياباني الأمريكي بقدر التعامل مع الصين من منطلق المصالح الآسيوية ، بل أكثر من ذلك فإن سياسة بكين تحرص على تجنب التحالف مع اليابان في المرحلة المالية ؛ لأنها سوف تظل ملتزمة بوضع مستقل في الشؤون الدولية معتمدة في ذلك على قوتها الاقتصادية والعسكرية بل إنها تحرص على التعامل مع الولايات المتحدة واليابان بشيء من الريبة وانعدام الثقة ، لكن السياسة الصينية السابقة كانت تفضل التعامل مع الولايات المتحدة على حساب كل من اليابان وروسيا لكن توازن القوى في المنطقة يستدعى التقارب مع اليابان والروس لا سيما بعد تدخل الولايات المتحدة في الأزمة القائمة حاليًا بين الصين وتايوان (مارس ١٩٩٦) إن الصين تدرك مدى قوة نفوذها في مناطق مثل كوريا وتايوان وشبه الجزيرة الصينية .

إن التطور الاقتصادي والصناعي والعلمي والتكنولوجي والعسكري في جنوب شرق آسيا بالتحرُّك والتعاون من اليابان والصين ودول النمر السبع يضاف إليها مستقبل الفلبين وبورما وفيتنام لتكون دول النمر العشر هو الخطر الحقيقي الذي يعيد للعالم توازنه ويجعل الولايات المتحدة مهما بلغت من تطور عسكري وعلمي وتكنولوجي متطور جدًا ومتقدم جدًا فإن التوازن قادم لا محالة ولن يطول به الزمن إذ لا بد أن يحدث حتمًا حقيقة في مدى عشرة أو عشرين عامًا على أكثر تقدير ويومها لن تكون الولايات المتحدة صاحبة القرار الوحيد في إدارة كفة الأمور في العالم .

ذلك لأن التطور الآسيوي قادر على جعل الولايات المتحدة تتراجع عن الانفراد ولكن التوازن العالمي سنة طبيعية في الكون ولذلك فإن التوازن العالمي سوف يدفع بالولايات المتحدة لا أقول إلى الصف الخلفي في المسيرة العالمية ولكن ربما تكون القوة الثانية عالميًا وربما الثالثة ؛ لأن قوة الصين مستقبلاً ستكون هي القادرة على قيادة المسيرة تليها اليابان بالتحالف مع دول النمر وبذلك فإن الحماية الأمريكية لإسرائيل (الولاية ٥١ الأمريكية) لن تكون صاحب الدور الفعال في الشرق العربي لأن الاعتماد على البترول كمصدر للطاقة سوف يقل وسوف تكون هناك بدائل متعددة ولكن يكون الاعتماد على إسرائيل لتحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة وسوف يجد العالم العربي في القوة الآسيوية خير سند له يحاول التقارب معها والاستفادة من أخطاء الماضي وعدم القدرة على التعامل مع الاتحاد السوفيتي لتحقيق الأهداف والمصالح

العربية لأجل تحقيق الهدف الأكبر لها وهو إعادة الحق الشرعى للشعب الفلسطينى فى أرضه التى سلبها العدو الإسرائيلى بمساعدة الولايات المتحدة والتحالف الغربى وبذلك يستغل العرب التطور على المدى الطويل ولا سيما أن تعمل الدول العربية على التعامل مع القوة الصينية فى مجال الأمن القومى العربى الذى تسعى إلى مزيد من الفهم للاستراتيجية العسكرية العالمية فى ذلك الوقت لاسيما فى الربع الأول من القرن الحادى والعشرين وكيفية حصولها على الأسلحة الصينية المتطورة التى تضمن الكيان العربى وجوده فى ظل توسع الصين فى مبيعات الأسلحة ؛ لأن هذه القضايا تحتاج إلى تنسيق شامل بين العرب والصين وشرق آسيا .

هذا عن البعد الاقتصادى الذى سوف تتردى فيه الولايات المتحدة بتوسعها فى الإنفاق العسكرى الذى سوف يتطور أكثر فى المقابل فى الصين واليابان ودول النمور وذلك هو البعد الخارجى الذى يفقد الولايات المتحدة قيادتها بل وربما توازنها فى الكيان العالمى كدولة عظمى ثالثة وليس ثانية لكن النهاية التى انتهى إليها الاتحاد السوفيتى قد دفعت دوله إلى الانحدار إلى مصاف الدول غير المتقدمة كما دفعت أكبر دولة (روسيا الاتحادية) إلى أن لا تقف اقتصاديا فى الدول السبع المتطورة اقتصاديا وعلميا وهكذا سوف يكون حال الولايات المتحدة مع نهاية الربع الأول من القرن الحادى والعشرين (٢٠٢٥ م) .

وهذا عن البعد الاقتصادى والتحدى الذى سيواجه الولايات المتحدة على المدى القريب أو البعيد من دول جنوب شرق آسيا ومن حيث ظهرت العديد من الدراسات والبحوث التى تدرس هذه الظاهرة وذلك التحدى ومنها كتاب أمريكا (الولايات المتحدة الأمريكية) واليابان وآسيا ، والذى بدأت تتجه أمريكا إلى هذا الجزء من العالم بعد انتهاء الحرب الباردة .

وهناك أيضا البعد الداخلى للولايات المتحدة فإننا نقول : إن اكتشاف أمريكا قد تم فى عام ١٤٩٢ وأن الهجرة قد تدفقت أولا من البرتغال وأسبانيا ودول غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ويشكل سكانها البالغ عددهم أكثر من ٢٦٠ مليون نسمة من جنسيات مختلفة يشكل منهم ٤٠ مليون من أصل أيرلندى فقط إضافة إلى سبعة ملايين زنجى وأكثر من ثمانية مليون مسلم وأكثر من ثمانية مليون يهودى وكذلك الطوائف الآسيوية التى قدمت من دول جنوب شرق آسيا وكذلك المكسيك ودول البحر الكاريبى وأمريكا الجنوبية ، هذه

الجنسيات المتعددة التي يتكون منها المجتمع الأمريكي يعيش فيه جو من المتناقضات التي سيطر فيها الجنس الأبيض الأوربي والسلافي والروسي والألماني على مقاليد الأمور يدفع بالحقد والكراهية للعناصر الزنجية التي تعيش في الأحياء الفقيرة المحرومة من الخدمات والتفرقة بين البيض والسود في العديد من المجالات يوحى بظهور حالة من الكراهية والانقسام والتفاوت في المستوى الاجتماعي مما يشكل خطراً اجتماعياً يهدد الكيان الواحد للولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية تتكون من خمسين ولاية (٥٠ ولاية) في شكل وحدة فيدرالية قد تم توحيدها بقوة السلاح عام ١٨٥٦م عندما قامت الولايات الشمالية بضم الولايات الجنوبية في عهد جورج واشنطن وكذلك توجد متناقضات بين هذه الولايات ؛ لأنها لا تشكل جميعاً مستوى متقارب في الدخل القومي والإنتاج المحلي ومتوسط دخل الفرد إضافة إلى تحرر الزوج أخيراً في شكل قوة لا بد أن يكون لها تأثيرها على مجرى الأحداث لا سيما الأحداث الأخيرة التي قادها الزعيم المسلم (فارقان) وقيادته لمسيرة مليون شخص من الزوج وقيامه بزيارة الدول العربية التي تأخذ موقفاً مضاداً لسياسة الولايات المتحدة حيث زار ليبيا وإيران والعراق وسوريا وأن ظهور هذا الشعور الإسلامي الزنجي سوف يؤدي إلى ظهور قوة لها تأثيرها المستقبلي في السياسة الأمريكية ، لكن الذي ينظر من زاوية الأحداث القريبة وكيف تفسخ الاتحاد السوفيتي المكون من أكثر من خمسة عشرة دولة إلى كيانات صغيرة ودول متعددة ٣ دول في بحر البلطيق وست دول في جمهوريات آسيا الوسطى . إضافة إلى جورجيا ، أبخازيا ، أرمينيا ، روسيا الاتحادية ، أوكرانيا ، روسيا البيضاء وغيرها من الكيانات الصغيرة .

هذا التفكك ربما يأخذ قياساً على الولايات المتحدة الخمسين التي ترى على المدى القريب أو البعيد قد تحدث بعض المناقضات التي ربما قد تسفر عن انشقاق في هذا الاتحاد لا سيما أن نظام الولايات المتحدة هو نظام فيدرالي .

وبذلك فإن احتمالات المستقبل لن تكون أبداً في صالح الولايات المتحدة ربما إحرازها للعديد من الانتصارات العلمية الباهرة ، كالوصول إلى القمر وهبوط أرسترونج منذ ٢٧ عام (١٩٦٩) على سطحه وبناء مساكن على سطح القمر منذ ٣١ يناير ١٩٨٦م والوصول إلى المريخ في عهد الرئيس السابق جورج بوش وكذلك إعلان حرب الكواكب منذ عهد الرئيس الأسبق ريجان وكذلك التقدم الهائل في سفن الفضاء وإرسال مكوك الفضاء وحشد هذه السفن

بالعديد من الرجال والأقمار الصناعية للأبحاث العلمية والتجسس وتقديم المعلومات والإلكترونيات وغيرها من الأمور المتطورة جدًا في مجال أبحاث الكمبيوتر وكذلك الاستشعار من البعد والقدرة على اكتشاف ما في باطن الأرض ومراقبة تحرك كل شيء على الأرض ، وكذلك التقدم الهائل في علم الهندسة الوراثية وعلم استنساخ الأجنة وكذلك غيره الكثير من المجالات التي لا يتسع المجال هنا لحصرها وكل هذه الأمور المتطورة علميا وتكنولوجيا وهندسيًا وصناعيًا لن تشفع للولايات المتحدة بأن تقعد بمفردها لقيادة العالم منفردة بعد القضاء على المعسكر الاشتراكي الشيوعي ، بل لابد من ظهور قوة متوازنة تتمثل في آسيا بل وربما سيكون ما حدث من تفكك الاتحاد السوفيتي سوف يؤدي إلى تفكك الولايات المتحدة المكونة من خمسين ولاية ربما إلى عدة دول مما يفقد هذا الكيان المتقدم علميا وحضاريا وتكنولوجيا إلى عدة كيانات لاسيما أن الدرس قائم قريبًا من الولايات المتحدة الأمريكية في الشمال حيث كندا وما تسعى إليه ولاية كويبيك الفرنسية في محاولة الاستقلال عن كندا الناطقة باللغة الإنجليزية وما يحدث أيضا في الدولة الثالثة المكسيك المنضمة إلى التافتا حيث ثورة العناصر البدائية من الهنود الحمر وثورتهم ضد الحكم باعتبار أنهم أهل البلاد الأصليين ، فإن هذه الأحداث التي تدور على الجنوب منها وعلى الشمال أيضا قد تدفع بإحدى الولايات الأمريكية والتي لا تتوافر لها العناصر البيضاء إلى الاندفاع إلى إعلان استقلالها عن الكيان الأم (خمسين ولاية) وبذلك فلن تكون الولايات المتحدة في ظل حالات التمزق السياسي والانهايار الاقتصادي بقدرة على الانفراد بتوجيه السياسة العالمية دون أدنى تنافس أو معارض ، وبذلك تفقد إسرائيل جهودها كقوة في الشرق العربي لاسيما أن الارتباط بين الكيان الدخيل وبين الولايات المتحدة هو ارتباط عضوي مصيري لكن الأحداث المستقبلية سوف تظهر لاحالة ظهور قوه عالمية تعيد التوازن العالمي إلى حالته الطبيعية مثلما كان قبل انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي ومن هنا سوف تكون هناك سياسة أمريكية جديدة تجاه العالم العربي والإسلامي تنطلق من رؤية مخالفة عما كان عليه الحال في أواخر القرن العشرين من تحيز كامل لإسرائيل على حساب الحق العربي الفلسطيني لاسيما أن أمريكا تتعامل مع العالم العربي والإسلامي بناء على نصيحة ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق في كتابه (مابعد السلام) والذي دعا فيه أمريكا إلى معاملة العالم العربي والإسلامي ليس كوحدة واحدة ولكن التعامل معه كوحدات سياسية مستقلة تشكل مجموعة من الدول لكل دولة منها

مصالحها ومواقفها وباعتبار أنها ستمر في رحلة السلام بحالة من التوتر السياسي وهذا ما حدث فعلاً في مؤتمر مدريد ١٩٩١ وما تقوم به إسرائيل في التعامل مع العرب بالصلح دولة دولة مصر أولاً ثم منظمة التحرير الفلسطينية ثم الأردن ثم بعد ذلك سوريا وأخيراً لبنان باعتبار أن هذه هي دول الطوق ولكن رغم كل ما يحدث فإن الولايات المتحدة الأمريكية التي دفعت العرب دفعاً إلى عقد اتفاقيات السلام بعد حرب العراق عام (١٩٩٠ - ١٩٩١م) إلى التعامل مع إسرائيل ولكن كل هذا لا بد يكون نهاية المطاف فإن هناك العديد من الدول العربية القريبة منها لن تقبل التعامل مع إسرائيل كأمر واقع مفروض على العرب بل أن هذه الدول التي تذكرها إسرائيل بالاسم (ليبيا - إيران - العراق) ربما ستكون نقطة انطلاق على المدى القريب أو البعيد بعد انهيار تفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم والقدرة على التعامل مع العراق القادم .

إن الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوروبا لن تظل القوة الرائدة والسائدة على الساحة العالمية ذلك ، لأن هناك العديد من الدراسات الأوربية وكذلك الأمريكية ومنها تلك الدراسة المطولة بعنوان : « الحرب الباردة القادمة » للكاتب الأمريكي (أوين هاريس) قد أوضحت الستار عن بعض ما كان يتخفى به فكر صائيل هانجتون في مقاله صراع الحضارات أو الصدام بين الحضارات . ذلك لأن القرن القادم الحادى والعشرين سوف يشهد تحديات بالغة الخطورة تواجه الحضارة الغربية وذلك نتيجة صعود دور آسيا المتعاطم (٣٣٪ من الناتج العالمى) إلى أعلى دراجات سلم القوى الاقتصادية والسياسية والعسكرية وذلك في إثر ما حققته من تفوق اقتصادى كان لليابان فضل السبق فيه ثم الصين ودول النمر الآسيوية التي قفزت باقتصادها في فترة زمنية قصيرة والآن جاء دور الصين الذي سوف ينهى لاحالة دور الولايات المتحدة .

ومعنى هذا أن التفوق الاقتصادى الذى كان بمثابة العمود الفقرى للحضارة الغربية سينتقل بقوة إلى الجانب الآسيوى في وقت تتعرض فيه اقتصادياً دول الغرب للتراجع وللأزمات بينما الولايات المتحدة مرشحة للتراجع في قدرتها على المنافسة ؛ لأن قوى جديدة آسيوية تصعد للزعامة والقيادة وهى قوى تعرف الحق العربى السليب من فلسطين ودور العرب الحضارى في العالم ولاسيما أن بعض هذه الدول (ماليزيا - أندونيسيا) دول إسلامية تكن مشاعر الأخوة

(الفصل الخامس)

الإسلامية لما يجري في العالم العربي وسلب إسرائيل لحق الشعب الفلسطيني في دياره كذلك فإن الدور الآسيوي يحاول أن يرفض لغة التخاطب الأمريكية باعتبار أن دوره قادم وأن الآسيويين لهم القيم الحضارية التي لا تتفق مع القيم الحضارية الغربية وأنهم أصحاب حضارات قديمة وعريقة وأن الصحوة الآسيوية تهدد بإنهاء عصر السياسة الأمريكية وأن الدور الأمريكي في طريقه إلى الأفول وأن أمريكا مشغولة بالدراسات المستقبلية وذلك منذ أن صدر كتاب البروفيسور الأمريكي (بول كنيدي) بعنوان « صعود وهبوط القوى العظمى » وكذلك فإن القرن الحادى والعشرين سوف يشهد نهاية الغرب ذلك ؛ لأن مراكز صناعة القرار السياسى فى الغرب مشغولة بأن دور الغرب فى سنوات الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لن يلعب أى دور يذكر وأن جانبى الأطلنطى (أوروبا وأمريكا) ربما قد يحدث بينهما تصادم لاسيما أن توجه كل منهما بعيدا عن الآخر (مؤتمر بانكوك فى عاصمة تايلاند) الذى ضم خمسة وعشرين دولة منها عشر دول آسيوية وخمسة عشر أوروبية ، أوروبا تبحث عن مصالحها . إن أمريكا لامحالة لم ولن تعد فى القرن القادم الدولة التى تملك وحدها القدرة على صنع القرار وإدارة الأزمات الدولية مثلما كان الحال فى الحرب الباردة الأولى ، لكن القوة الآسيوية سوف تلعب هذا الدور .

وهنا يأتى الدور على العالم العربى لاستغلال العلاقة الوطيدة مع هذه الدول الآسيوية استفادة من أخطاء الماضى فى التعامل بقوة مع الاتحاد السوفيتى إنه عندما يفقد الغرب (أوروبا وأمريكا) قيادة العالم وعدم نجاح إسرائيل فى استقطاب القوى الآسيوية كلها لصفها فإن ذلك سوف يعدل التوازن فى جانب الصف العربى لاستغلال الادارة النشطة للدور العربى حيث أن مقدرات القدرة الغربية لن يكون لصالح إسرائيل لكن النشاط الإسرائيلى المكثف حاليا فى أندونيسيا والصين وتعويض ما فقدته فى الماضى فى أربع سنوات (١٩٩١ - ١٩٩٦) والدور يأتى على نشاط الجانب العربى .

إن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تتحول من دور وضع أنفها فى كل شىء فى العالم وتقرير المصير كما حدث فى (هايتى ، بناما ، كوبا ، كوريا الشمالية ، الشرق الأوسط ، الصومال ، الخليج ، البوسنة والهرسك) لتجد نفسها فى القرن القادم تدافع عن نفسها لاسيما سوف يحدث تباعد بين أوروبا وأمريكا بحثاً عن صياغة الهوية الأوروبية ليس من ناحية

(الولايات المتحدة الأمريكية والتوازن العالمى ..)

الاطلنطى ولكن من ناحية البحر الأبيض المتوسط ، إن تقلص قدرات أمريكا العسكرية والاقتصادية في المستقبل سوف لا يجعلها قادرة على التدخل العسكرى الشامل في المناطق الساخنة أو إدارة أزمات دولية كبرى بإمكانياتها المحدودة وحدها .

ولكن يأتى الدور أين نحن كعالم عربى من كل هذه الأحداث وهل نستطيع أن نوظف ما يحدث لصالح القضايا العربية وفي مقدمتها الوطن السليب فلسطين . ذلك لأن فقدان القدرة لدى الولايات المتحدة الأمريكية لقيادتها للمسيرة العالمية منفردة وانتقال الأمر إلى القوى الآسيوية ، فإن ذلك لابد أن يستدعى من العالم العربى تحركا واسعا في اتجاه هذه الدول ومحاولة توثيق عرى الصداقة والمعاملات المتصلة المتواصلة في شتى المجالات وتكثيف أسس التعاون مع هذه المناطق واستغلال نقط الخلاف لصالح القضايا العربية لاسيما أن دولة كاليابان مثلا التى تعرضت خلال الحرب العالمية الثانية للقنابل النووية الأمريكية باعتبار أن الولايات المتحدة أول دولة تستعمل القنابل النووية في العالم . وقد ترك ذلك شروحا عميقا في النفسية اليابانية لازالت تحس به الأجيال المعاصرة وتكن بغضا وكرها شديدين للأمريكان بغض النظر عن التحرك الحكومى في اتجاه لمحاولة إيجاد سبل التعاون وتحالف بين الدولتين ولكن ذلك لن يكون إلا مرحليا .

إن الشعب اليابانى يدرك مدى الكراهية للولايات المتحدة ومن هنا يكون مقطع هيروشيما ، ونجازاكى في أساء أبناء الشعب وعدم العمل على تأجير القواعد العسكرية اليابانية في أوكيناوا والقيام بالثورة ومحاولة اقتحام القواعد الأمريكية في أوكيناوا وحاكم المدينة يتحدى قرار الحكومة بتجديد عقود الإيجار وحاول المتظاهرون اليابانيون اقتحام أسوار القواعد الأمريكية في جزيرة أوكيناوا كما شهدت طوكيو العاصمة عدة مظاهرات تطالب بإنهاء الوجود العسكرى الأمريكى في جزيرة أوكيناوا شارك فيها خمسون ألف يابانى . وتأتى المواجهة المتزايدة في الذكرى رقم ٥١ لاحتلال القوات الأمريكية لجزيرة أوكيناوا خلال الحرب العالمية الثانية ، إن الشعور اليابانى القومى سوف يشكل في المستقبل حجر عثره أمام نهج الحكومة اليابانية أى تقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية ولا بد أن يكون تقارب مع الصين وهذا ما تخشاه أشد خشية الولايات المتحدة .

الفصل الخامس

أما التقارب الصينى اليابانى سوف يعجل بإنهاء دور الولايات المتحدة والأيام سوف تبشر بذلك ؛ لأن الشرق هو الشرق ولن ينسى الشعب اليابانى ضرب بلاده بالسلاح النووى ولا بد أن يستعيد مجده العسكرى والاقتصادى الذى ينهى وجود أمريكا كقوة أولى .

إن احتلال الحلفاء لليابان أثناء الحرب العالمية هو الذى دفع اليابان للتحرك الاقتصادى السريع وتحقيق طفرة اقتصادية قوية ويصل هذا النشاط إلى الدول الآسيوية المجاورة التى أطلق عليها أخيراً دول النمر ومن هنا ، فإنه توجد فجوة هائلة فى العلاقات بين اليابان والولايات المتحدة وسوف تتسع هذه الفجوة مع القرن الحادى والعشرين عندما تفقد الولايات المتحدة قدرتها على إدارة دفة الأمور فى العالم .

ومن هنا فإن الخلاف بين اليابان وأمريكا مع دخول القرن الحادى والعشرين يعنى الطلاق الذى لارجعة فيه بين الطرفين ومن هنا فإن ذلك الطلاق سوف ينعكس على الوضع السارى فى الشرق العربى أو الشرق الإسلامى سلباً أو إيجاباً بقدر ما يتحرك العرب فى الاتجاه الصحيح استغلالاً للمواقف المتناقضة بين أمريكا ودول جنوب شرق آسيا مع سد الطريق على إسرائيل التى تتحرك بسرعة تجاه هذه الأقطار ولاسيما أن إسرائيل ترسم سياسة نشيطة فى علاقاتها مع اليابان والصين وأندونيسيا وكوريا الجنوبية وغيرها من دول النمر .

ومن هنا فإن نشاط التحرك العربى على المدى القصير والبعيد سوف يجعل كل هذه الطاقات مع هذه الدول الآسيوية فى صالح قضية تصفية إسرائيل سلماً أو حرباً والقدرة على استغلال الظروف المتاحة مثلما كان فى فترة ١٩٦٠م بين مصر وهذه الأقطار .

كما أنه لن يمر نصف قرن وعلى أقصى تقدير قرن كامل حتى تكون بوادر تفكك المجتمع الأمريكى قد بدأت تؤتى أثرها المباشر فى تسليم الولايات المتحدة القيادة الانفرادية للعالم أو وجود شريك قد يستطيع أن يكون له رأى قوى فى قيادة المسير العالمية ذلك ؛ لأنه يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية حالياً ٢٠٥٠ أقلية جنسية من سلالات وأعراق وأصول مختلفة منها الأفارقة السود والزنج والآسيويون من جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط (العرب والأتراك واليهود) والأسبان ودول البحر الكاريبى وأمريكا الجنوبية والوسطى والأرمن ، والروس واليابانيون ، والكوريون والصينيون وأصحاب الأصل الأوروبى السلاتينى والأنجلوسكونى (٤٠ مليون من أصول أيرلندية) بالإضافة إلى المواطنين الأمريكيين أصحاب

(الولايات المتحدة الأمريكية والتوازن العالمى ..)

البلد الأصليين (الهنود الحمر) وكذلك الذين ينتمون إلى أصل مكسيكى يعيشون الآن في (لوس أنجيلوس) أكثر من وجودهم في أى مدينة أخرى من العالم باستثناء مدينة (مكسيكو سيتي) ومن هنا فإن هذه الأقليات العرقية في الولايات المتحدة تمثل ٥٠٪ من مجموع المجتمع الأمريكى وهذه الأقليات تهدد هذا المجتمع في تحديد هويته الأمر الذى يؤدي مستقبلا إلى حدوث نوع من التفتت والنفاق السياسى وهذا يهدد بانحيار المجتمع الأمريكى كما حدث للمجتمع السوفيتى الذى تحلل إلى أكثر من أربعة عشر دولة وهذا الكيان السياسى المكون من إحدى وخمسين ولاية لن يدوم طويلاً .

ولقد كتب المؤلف الأمريكى (آرثر سلاستنجر) في كتاب له بعنوان (تفكك أمريكا) وهو تخوف موجود لدى الأمريكيين وهذه الدراسة تتناقض مع الدعوة التى تدعو إلى انصهار هذه الأقليات (١٣٠ مليون نسمة) في بوتقة المجتمع الأمريكى وإذابتها ليكون المجتمع الأمريكى يجمع الأمريكيين لاسيما أن أغلب الأمريكيين هم من المهاجرين الذين عانوا كثيراً بمجرد وصولهم إلى الأرض الجديدة فقد عانوا ألم العنصرية والتمزق الأسرى والغربة ، ذلك لأن هذه الأقليات تبحث عن الهوية والجذور ومن هنا سيكون التفسخ وانحيار المجتمع الأمريكى كما انحار المجتمع والاتحاد السوفيتى شيئاً متوقعاً بل محسباً كذلك فإن عملية هضم هذه الأقليات في الولايات المتحدة تكاد تتوقف لاعتبارات أكثر تتعلق بمشكلة التمييز العنصرى وموجات الهجرة الجديدة المشروعة وغير المشروعة مع تباطؤ في التنمية وزيادة في المطالب وهذه المشكلة لا تظهر للكثيرين بجلاء وهو أن جزءاً كبيراً من هوية المجتمع الأمريكى كانت راجعة إلى قدرة هذا المجتمع على استيعاب وهضم عناصر بشرية من أصول مختلفة وكانت هذه العملية المجددة للشباب والمنشطة تجعل من الولايات المتحدة وعاء صهر ومزج من طراز فريد ولكن للأسف انتهت هذه العملية وظهر التناقض بين الأقليات .

وكذلك فإن المشاهد لحركة السياسة الأمريكية الحالية يدرك أن الولايات المتحدة الأمريكية تبدو مرتبكة مقيدة في مساحة حركتها ، عصبية في تصرفاتها ، كأنها غير واثقة من الأرضية التى تقف عليها مما زاد في تخبط القرار السياسى الأمريكى بعد أن فقد بؤرة التركيز التى أعطته هدفاً محدوداً بعد انحيار الاتحاد السوفيتى ذلك ؛ لأن اختفاء العدو الشيوعى أحدث خللاً في التوازن العالمى ، كذلك فإن الولايات المتحدة مستنزفة في مسئوليات الفترة التى قادت

فيها النظام العالمى السابق فقد كانت الطرف الأكبر فى حريين عالميتين الأولى (١٩١٤-١٩١٩م) والثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ثم أنها كانت الوحيد الذى وقع عليه العبء الأكبر فى الحرب الباردة مما كلفها الكثير وأيضاً فإن الولايات المتحدة هى الآن أكبر دولة مدينة فى العالم فحجم دينها الداخلى والخارجى يتصاعد بسرعة خارقة من ٨٥٠ مليون دولار فى أوائل الثمانينات من هذا القرن ١٩٨٠ إلى ٤ تريليون فى ١٩٩٢م وأن فوائد الديون سوف تزيد عن حجم الناتج الإجمالى للولايات المتحدة .

كذلك فإنه بسبب الحروب الساخنة والباردة فإن الإنتاج العسكرى الأمريكى أصبح يمثل مساحة تزيد عما هو ضرورى للبلاد وزيادة عن الإنتاج العسكرى على مساحة خريطة الإنتاج الأمريكى الأخرى مما أثر على البنية التحتية أو عمليات الإحلال والتجديد مما ترتب عليه مشاكل اقتصادية واجتماعية يعانى منها الشعب الأمريكى ومنها مجال الخدمات الصحية والتعليم والضمان الاجتماعى والسياسى ، وقد أدى إنهاء الحروب إلى وجود هذا الكم الهائل من السلاح الذى بدأت تريد به أمريكا افتعال العديد من الحروب الإقليمية فى قارات العالم المختلفة ومن هنا فقد أصبح هذا السلاح عبئاً على الأسواق الخارجية فى مناخ دولى جديد كما أن المستثمرين التقليديين تعد ثرواتهم إثر الحروب (حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران ثمانية أعوام ، وحرب الخليج الثانية واحتلال العراق للكويت واستنزاف قدرات دول الخليج المالية) ومن ثم فلم يعد فى أيدي العرب الكثير من الأموال يدفعونها لشراء السلاح الأمريكى .

ولقد أدت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الولايات المتحدة إلى انخفاض مستوى دخل الفرد فى السنوات العشرة الأخيرة من ٢٨ ألف دولار سنوياً إلى ٢١ ألف دولار والمواطن اليابانى ما بين ٤٠ ألف دولار إلى ٥٠ ألف دولار سنوياً .

ومن هنا فإن هذه العوامل والأسباب التى عرضنا لبعض منها وليس جميعها فإن الولايات المتحدة وهى تعبر إلى القرن الحادى والعشرين تدخل هذا القرن وهى غير واثقة من قدراتها على إدارة دفة الأمور فى العالم ، لاسيما أن روسيا الاتحادية تحاول أن تلملم نفسها وتكون عاملاً ضاعطاً فى بدايات القرن الحادى والعشرين ، كذلك اليابان معجزة النصف الأخير من القرن العشرين تدخل القرن الحادى والعشرين برؤية يابانية بأن يكون هذا القرن قرن آسيا إن لم يكن

الولايات المتحدة الأمريكية والتوازن العالمى ..

قرن اليابان ، يضاف إلى ذلك قوة الصين الصاعدة القوية المدركة لحركة التاريخ والتقدم والحلم بأن تكون قوة كبرى أولى وليس ثانية أو ثالثة لاسيما أن حجم الناتج السنوى قد يصل إلى ١٢٪ واليابان ١٣٪ إلى الحد الذى يساوى إن لم يكن يزيد عن حجم الناتج القومى الأمريكى ، كذا هناك قوى أخرى فى آسيا (دول الأسبان السبع ومن ثم العشر النمر) وكذلك الهند وهذه الأسباب فإن الولايات المتحدة تحاول ، أن تعوق إمكانية أى لقاء أو تعاون استراتيجى بين الصين واليابان وتعمل على بذر بذور الشقاق وعدم التقارب وهذه بالفعل هى الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق العربى ، (نجاح مؤتمر القمة الحادى والعشرين الذى عقد فى القاهرة فى الفترة ما بين ٢١ - ٢٣ يونيو ١٩٩٦ م) وضم وفود إحدى وعشرين دولة وما تمخض عنه من قرارات قوية بإذن الله ستكون فاعلة وفعالة بل مؤثرة إلى المدى البعيد .

كل هذا سوف يعجل بإزالة إسرائيل مهما كانت الضغوط العنيفة والقوية والقاسية التى تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية على الدول العربية لكى تقبل بسلام أمر واقع مع إسرائيل تظن أنه يكفل أمن الشرق الأوسط ويؤكد سيطرة أمريكية على العالم العربى بجميع موارده وإمكاناته وطاقاته ومن هنا فإننا سوف نشاهد إن طال العمر كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية وهى نفس القوة التى سادت القرن العشرين ووصلت فى العقد الأخير (١٩٩٠ - ٢٠٠٠) إلى أعلى القمم وقيادة دفة العالم الجديد لن تكون هكذا فى القرن الحادى والعشرين .

ونقول : إنه إذا كان يوم ٩ نوفمبر ١٩٨٩ م يوم سقوط حائط برلين غير الشرعى الذى كان يفصل ألمانيا الشرقية عن الغربية سوف يدخل التاريخ باعتباره اليوم الذى بدأ فيه تدفق واندفاع هدير الطوفان الناشئ عن ذوبان جليد الحرب الباردة وقد جرف هذا الطوفان أمامه حطامًا وركامًا كثيرًا من الماضى (١٩٤٥ - ١٩٨٩ م) ، كذلك فإن الفاصل الذى يفصل بين القدس الشرقية العربية الإسلامية والقدس الغربية التى سلبتها إسرائيل من أهلها الشرعيين سوف يسقط هذا الجدار بزوال إسرائيل سواء اعترف بنيامين نتانياهو رئيس وزراء إسرائيل الجديد (١٩٩٦ - ٢٠٠٠ م) بحق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم الفلسطينية وعاصمتهم القدس أم لم يعترف فإن حركة التاريخ لن تدور عكس طبيعة الأحداث ومجريات الأيام .

ولقد أعلن العقيد معمر القذافي رئيس الجمهورية العربية الليبية في المؤتمر الصحفي الذي عقده عقب انتهاء مؤتمر القمة الحادى والعشرين الذى عقد فى القاهرة فى الفترة ما بين ٥-٧ صفر ١٤١٧هـ الموافق ٢١-٢٣ يونيو ١٩٩٦م فى نهاية المؤتمر حيث أعلن قائلا : إن كوبا قد اعتمدت فى كل شىء على الاتحاد السوفيتى سنوات طويلة ومن ثم بعد ذلك فقد أصبحت كوبا فى العراق بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ، ثم لن يدوم طويلا حتى تختفى الولايات المتحدة ويصبح الإسرائيليون فى العراق أيضا وأكد الزعيم معمر القذافي أن جنوب أفريقيا وحل مشكلتها هى الحل الأمثل للمشكلة الفلسطينية بمعنى ضرورة تطبيق نظام تعايش سلمى بين العرب واليهود فى ظل الدولة الفلسطينية العلمانية التى تجمع العرب مسلمين ومسيحيين ويهود فى دولة فلسطين وليس إسرائيل .

كذلك فإن مشكلات التفسخ الأسرى والفردية المطلقة ونقص التماسك الاجتماعى هى ظواهر منتشرة فى كل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا . لكن تعرض الولايات المتحدة للأخطار يكون أكثر إزاء المشكلة العنصرية ذلك ؛ لأن أمريكا منذ نقلت الأفارقة داخل سفن العبيد فإنها كانت قد بدأت دون أن تعى ذلك ومن هنا فإن ذلك يجعل العنصرية من أصعب المشكلات لأمريكا نفسها ، وكذلك فإن الولايات المتحدة سوف تنهار وحدة ولاياتها الإحدى والخمسين كما انهار الاتحاد السوفيتى بدوله الأربعة عشرة على يد الصهيونى العريق (الكسندر باكو فليف) الذى كان أقوى القادة وهو أستاذ جورباتشوف ويلتسين فهو قائد تفكك الاتحاد السوفيتى والداعى لحل الحزب الشيوعى عام ١٩٩١م كما قال هو فى سيرته الذاتية ومن هنا فانهار الولايات المتحدة أمر ليس ببعيد .

* * *

العالم العربي والتحديات المستقبلية

الفصل السادس

أضع هذا الفصل في هذه الدراسة أمام الرؤساء العرب وصانعي القرار في العالم العربي ونحن على أبواب قرن جديد هو القرن الحادى والعشرين إذ أن ذلك القرن يقتضى من القادة العرب أن يمارسوا جهداً مضاعفاً ومتطوراً في تعاملهم فيما بينهم وبين شعوبهم ومع القوى العالمية وذلك لبناء جسور جديدة منطلقين من إدراك الوضع الشاذ في العالم العربي بقيام الكيان الإسرائيلي على حساب الحق العربي الفلسطيني ؛ وذلك لأن إسرائيل قامت في المنطقة العربية لكي تبقى لا لكي تُزال لمجرد حرب أو عدة حروب ولكن إسرائيل تبقى لمرحلة قد تطول أو تقصر لكنها في النهاية لا محالة زائلة من الوجود مهما طال بها الزمن فهي لن تبقى قرناً من الزمن بعد أن مضى عليها نصف قرن (١٩٤٨ - ١٩٩٦ م) بل لن تدوم قرنين ، أو ثلاثة قرون وبأقصى حد خمسة قرون ثم تزول نهائياً بل أبدياً ولكن يكن في الاعتبار أن الذين أعطوا إسرائيل وعد بلفور عام ١٩١٧ م هم الذين سهلوا لها باب الهجرة إلى فلسطين وأعلنوا انسحابهم من فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٧ م وسلموا فلسطين لها وأعلنت قيام إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ م فالإنجليز أعطوا الوعد وسهلوا الهجرة وأقاموا الدولة وفرنسا أمدت إسرائيل بالمفاعل الذرى في صحراء النقب في ديمونة والذى أنتج ٢٠٠ أو ٣٠٠ رأس نووى وفرنسا ،

وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية هم الذين أمدوا إسرائيل بكل أنواع السلاح والمال والغذاء ومن هنا يجب أن يكون معلومًا أن إسرائيل باقية بقاء قوة وكيان هذه الدول (الغرب وأمريكا) أقول ذلك ليس من باب التسليم بالأمر الواقع أو الاعتراف بالقوة ولكن تقديرًا للمسئولية فإن إسرائيل هي الولاية رقم ٥١ في مجموع الولايات المتحدة الأمريكية ولن يتم إزالة إسرائيل وإعادة الحق العربي لأصحابه الشرعيين إلا من خلال إعادة التوازن العالمى وظهور قوة عالمية آسيوية قادرة على كبح جماح الولايات المتحدة الأمريكية ومن يسير في ركبها من دول الغرب الأوروبى ، ومن هنا فلا بد أن نقول : إن الرئيس السادات عندما أعلن إثر حرب ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ / ٦ أكتوبر ١٩٧٣م أنه ليس بقادر على الدخول في قتال مباشر مع أمريكا لا سيما بعد تصوير الطائرات الأمريكية لمنطقة الثغرة في الدفرسوار مما ساعد إسرائيل على الهجوم على الضفة الشرقية للقناة مساء ١٤ أكتوبر ١٩٧٣م ومن هنا فالسادات لا يلام على قيامه بحركة السلام ؛ لأن السلام هنا سلام حكومات وليس سلام شعوب والحاكم ربما يرى ما لا يراه الشعب من رؤية سياسية قد تحقق مصالح مرحلية تساعد على تحقيق ما لم يتحقق بالحرب ومن هنا فإن الرئيس السادات عندما ذهب إلى القدس من أجل صالح السلام فإن ذلك لم يكن إلا تكتيكًا مرحليًا ؛ لأن ما لم يستطع العرب الحصول عليه بالحرب فلا بد أن يكون الحصول عليه بالسلم والسلام ومن هنا فإن رحلة الرئيس السادات إلى القدس التي قال عنها الرئيس كارتر : إنها تمثل هبوط أول إنسان أمريكي على سطح القمر . فقد ذهب إلى القدس وصلى في المسجد الأقصى صلاة العيد ، قال لليهود في عقر دارهم داخل الكنيسيت الإسرائيلي (البرلمان) وكان معظم أعضاؤه من الصقور المتشددین ومنهم جولدماير رئيس وزراء إسرائيل السابقة ومناحم بيجين رئيس الوزراء الذي عقد السادات معه اتفاقية السلام في ٢٦ مارس ١٩٧٩م . وإسحق شامير رئيس الوزراء السابق وكان زعيم حزب الليكود ، وموسى ديان وزير الدفاع في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م وحرب ٥ يونيو ١٩٦٧م وكذلك عيزرا وايزمان رئيس دولة إسرائيل الحالى . وأريل شارون قائد الثغرة في الدفرسوار والعبور إلى شرق القناة في حرب ١٩٧٣م وغيرهم الكثير من زعماء إسرائيل قال لهم في قوة وتحذ وبكل صراحة « إن عليكم أن تستوعبوا جيدًا درس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئًا ، لأن أرضنا لا تقبل المساومة .. إن التراب الوطنى والقومى يعتبر لدينا في منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام ولا يملك أى منا أن يتنازل عن

شبر واحد منه ، إن الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ م أمر بديهى لا يقبل الجدل ولا رجاء فيه . ولن يستقيم أو يبنى سلام مع احتلال أرض الغير .

ومن هنا فلا بد أن يكون دائماً لدى الرأى العام العربى والقادة العرب ورجال صنع القرار أن ما ينطبق على مصر ينطبق على عرب فلسطين فإنه لن يستقيم سلام مع احتلال أرض الغير وهل فلسطين ليست إلا أرض الغير، إن حيفا ويافا وعكا وأشدود وعسقلان وأم الرشراش واللد والرملة وغيرها من المدن وكذلك صحراء النقب وغيرها من الأماكن ما هى إلا أرض عربية فلسطينية محتلة يقتضى الأمر من الجانب العربى الفلسطينى تحريرها بأية وسيلة أو طريقة وأن دولة فلسطين من النهر إلى البحر أى من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط ومن هنا فإن السلام لن يكون إلا مرحلة وقتية يعبرها العرب الممر الضيق فى ظل الظروف الدولية السائدة إلى حيث يمكن فى فترات زمنية قادمة تحقيق ما كان يسعى إليه العرب سلمياً وليس حرباً .

إن المعاهدات و الموائيق والاتفاقيات والتبادل الدبلوماسى والعلاقات الاقتصادية والثقافية ليست نصوصاً مقدسة لا تمس ولا تتغير ، بل إن الأيام كفيلة بتغيير كل شىء ومن هنا فإن دول سوريا ولبنان وغيرها من الدول العربية فى اتفاقيات سلام مرحلى مع إسرائيل لن يكون إلا فى ظل حالة العجز والتردى العربى التى يعيشها العالم العربى هذه الأيام وأنه لا طريق أمام العرب إلا لإجادة فن الحوار والسلام وإن لم يكن بين كل الأطراف العربية ؛ لأنه كما تدرك إسرائيل فإن بعض الدول العربية لن توقع سلاماً مع إسرائيل مهما كانت الضغوط الأمريكية أو الغربية .

وهكذا فإن العالم العربى يجب أن يدرك أن ما يجرى على الساحة حالياً ليس إلا مرحلة لا سيما أن إسرائيل تدرك أن العرب لن يسلموا بوجودها أبد الدهر ومن ذلك قول مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق فى حديث جرى داخل إحدى القاعات المغلقة فى القدس (إننى أريد سلاماً ولكن أريده سلاماً حقيقياً !!) هكذا يدرك رئيس وزراء إسرائيل الذى وقع السادات معه اتفاقية كامب ديفيد أن السلام لن يكون حقيقياً ؛ لأنهم يدركون أنهم مغتصبون للديار والأراضى وقال بيجين : إن إنهاء حالة الحرب بمعنى دقيق ينهى العمليات العسكرية ليس سلاماً ؛ لأن القتال يمكن أن يندلع فى أى وقت ، وقال إننا عندما وقعنا الهدنة

عام ١٩٤٩ م مع العرب كنا نتصور أنها بمثابة إنهاء حالة الحرب وأنها تمهيد للسلام ولكن ذلك لم يحدث ، وهكذا فإنه بعد ثلاثين عامًا ١٩٧٩ م لم يحدث إلا توقيع اتفاق مع مصر (كامب ديفيد) وفي عام ١٩٩٣ م أى بعد ما يقرب من ربع قرن تم توقيع الصلح مع الفلسطينيين والأردن ولكن رغم مضى ما يقرب من خمسين عامًا لا زال السلام بعيدًا عن سوريا ولبنان وبقية الدول العربية ولكن السلام الشامل لن يتحقق في الشرق العربى في أى حال من الأحوال حتى مع نهاية القرن العشرين ؛ لأن الطبيعة العربية تدرك أن الحق لا يضيع لا سيما أن الجانب الفلسطينى (حماس والجهاد) ترى أنه لا سلام مع إسرائيل إلا بقيام دولة عربية فلسطينية ديمقراطية تضم العرب المسلمين والمسيحيين واليهود في نطاق هذه الدولة اليهودية الإسرائيلية ما هى إلا دولة عنصرية دينية وأن النهج الديمقراطي العالمى لا يتيح قيام دولة مغتصبة للحق العربى وتقوم على أساس دينى .

هذا ما يجب أن يدركه العرب في المرحلة القادمة في ظل المتغيرات الدولية التى سوف تتغير فيها الأطر والأساليب والنظم الحاكمة في العالم ، إن حركة التاريخ سوف تشهد في العالم العربى تغيرات بالغة الأهمية ؛ لأن الزمن كفيل بتصحيح الأخطاء التى وقع فيها بعض الحكام عندما لم يدركوا مغزى الحركة التاريخية لصالح الحقوق المشروعة ولصالح الشعوب العربية ونقول : إن العالم العربى الذى يشكل سكانه (مائتين وسبعون مليون نسمة) يقف خلفه عالمًا إسلاميًا يمثل (مليار ومائتين وخمسين مليون نسمة) سوف يدركون في المرحلة المستقبلية أن عليهم أن يتحركوا في إطار الكيان العربى الواحد وليس عدة كيانات تزيد عن اثنين وعشرين كيانًا عربيًا ، وأكثر من ثلاثة وخمسين كيانًا إسلاميًا ، لأن المتغيرات سوف تكون سريعة وحاسمة تقتضى أن يكون العرب قادرين على تحمل مسؤولياتهم التاريخية قبل عودة فلسطين إلى أصحابها ؛ لأنهم سوف يكونوا الرأس المتحرك في خوض غمار التحرك السلمى أو العسكرى من أجل عودة بقايا الأرض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ م .

وعلى هذا فإن العرب في المرحلة القادمة مطالبون أولاً بالنظر إلى جامعة الدول العربية ؛ لأن الميثاق الذى وضع عام ١٩٤٥ م لم يعد يلبى مطالب العرب الحقيقية مع نهاية القرن العشرين والدلوف بسرعة إلى القرن الحادى والعشرين أمام الهدف الأكبر وهو إصلاح أخطاء الماضى التى مكنت إسرائيل من أن تحقق لها كيان غير مشروع على أرض فلسطين ومن هنا

(العالم العربي والتحديات المستقبلية)

فلا بد أن يكون اسم (الجامعة العربية) بدلاً من (جامعة الدول العربية) ؛ لأن الاسم الأول لا يحدد اسم الدول ومن ثم فإن قبول الاتحاد بين الدول يكون شيئاً مشروعاً حيث أن الميثاق الحالي ينص على المحافظة على الكيان الدولي لدول الجامعة واحترامها وعدم المساس بها وهذا البند يحول دون الوحدة كذلك فلا بد من تدعيم أواصر التعاون الاقتصادي في شكل إظهار السوق العربية المشتركة مثلاً لوقف نشاط ما يطلق عليه اسم الشرق أوسطية الذي تريد أن تكون منه إسرائيل عضواً فعالاً بل فاعلاً . ما به كذلك تدعيم التعاون القومي الاقتصادي والمالي والعمل على حذو ما قامت به السوق الأوروبية المشتركة التي ظهرت إلى حيز التنفيذ في أشكال سياسية واقتصادية ومالية وعلمية وفنية وثقافية مختلفة لا يتسع المجال هنا للحديث عنها بالتفصيل ولكن يكفي للدلالة على تحرك العالم الأوربي ، وتوقف العالم العربي . أوربا وإصدار عملة نقدية واحدة وكذلك برلمان أوربي منذ عدة سنوات ، قارن بين العالم العربي الذي يواجهه تحديات بالغة الخطورة في المرحلة القادمة .

لقد سبق أن كتبت مقالاً منذ عام ١٩٨٩ - ١٩٩٦ م (سبع سنوات) في مجلة البلاغ الكويتية بعنوان (هل يتوحد العالم العربي قبل نهاية القرن العشرين) قلت فيه بالحرف الواحد : « إنه إذا انتهى القرن العشرين وها هو يعلن الرحيل قريباً جداً دون أن تظهر في العالم العربي أربعة كيانات كبرى كمقدمة للوحدة العربية فإن العرب لن يكون لهم كيان أو وجود فعلي في ظل السرعة الهائلة في المعلومات ووسائل الاتصال ووسائل العلم الحديثة المتطورة يوماً بعد يوم » . ولقد ناديت بأن تكون هذه الهياكل الوحدوية في شكل وحدة تضم مصر وليبيا والسودان يضاف إليهم الصومال وجيبوتي .

ووحدة تضم تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ، ووحدة تضم العراق وسوريا وفلسطين ولبنان والأردن ، ووحدة تضم الجزيرة العربية السعودية واليمن وعمان وقطر والإمارات والبحرين والكويت . هذا هو الشكل الطبيعي الذي يجب أن تقوم عليه وحدة مرحلية تمهيداً لوحدة أشمل ، وذلك لأن الاتحادات الثلاثة العربية التي ظهرت على سطح الأحداث السياسية منذ بضعة سنوات لم تحدد الهدف المنشود وهي الاتحاد العربي الذي كان يضم قبل إعلان حله كل من (مصر والعراق والأردن واليمن) واتحاد مجلس التعاون الخليجي الذي يضم دول الخليج الست (السعودية ، الكويت ، الإمارات ، البحرين ، قطر ، عمان) كذلك مجلس

التعاون المغاربي الذي يضم (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا) . أى أن كل هذه الاتحادات لم تعد كافية لكى تلبى مطالب الشعوب العربية بل إنها ولدت ميتة ولم يعد لها مفعول إن الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب يههما بالدرجة الأولى أن يبقى العالم العربى بوضعه الحالى ضعيفاً ممزقاً متخاصماً متحارباً متنافراً بل متناحراً ؛ لأنها تقف حالياً دون محاولة المصالحة العربية وتعارض أى تقارب عربى مثلما حدث عام ١٩٩٤ عندما عقد اجتماع ضم الرئيس محمد حسنى مبارك والرئيس السورى حافظ الأسد والملك فهد بن عبد العزيز وصل إلى حد احتجاج إسرائيل على هذا الاجتماع وذلك فى مدينة الإسكندرية .

إن العالم العربى لابد أن يمتلك إرادته بنفسه ويستطيع أن يوجه سياسته بنفسه ، فليس ما يحدث على الساحة العربية حالياً إلا مرارة فى حلق الشعوب العربية فالحصار الاقتصادى حول العراق منذ خمس سنوات ؛ وكذلك ليبيا والتمزق السياسى فى الصومال وحالة التردى فى العلاقات الأخوية العربية لا تبشر بالخير لا سيما أن إسرائيل والولايات المتحدة يسعيان إلى زيادة اشتعال النار بين الأقطار العربية فى محاولة لكى تثبت أمريكا أقدامها بقوة وفاعلية وإسرائيل تحقق طموحاتها دون أدنى معارضة .

إن تكثيف الوجود العسكرى فى دول الخليج وعقد اتفاقيات عسكرية مع بعض دوله (الكويت ، قطر ، الإمارات) لا تخدم التقارب العربى على المدى القريب وذلك بحجة أخطار عراقية تهدد هذه الكيانات وكذلك أخطار إيرانية عسكرية بعد قيام إيران باحتلال جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى التابعة للإمارات العربية وكذلك خلق متاعب تواجه قطر فى صراعها مع البحرين من أجل الجزر الصغيرة (أم الذيل) التى تطالب قطر بأحقيتها فى هذه الجزر ، وكذلك فتح باب جديد أمام اليمن الذى لم يفرغ من صراعه مع السعودية على مشكلة الحدود (جيزان ونجران) وكذلك توحيد اليمن الجنوبية حتى يتم الإيعاز إلى إريتريا الدولة الصغيرة التى حصلت على استقلالها عام ١٩٩٢ م لتقوم باحتلال جزيرة حنيش الكبرى فى مدخل البحر الأحمر فى مضيق باب المندب .

إن المشاكل العربية كبيرة جداً ولا يتسع المجال للحديث عنها هنا بالتفصيل وكلها تهدف إلى إلهاء العالم العربى عن التقارب فيما بينه وخلق المشاكل التى لم تكن موجودة فى السابق (حلايب وشلاتين وأبو زماد) ونزاع السودان مع مصر بشأن هذه الأراضى المصرية ،

العالم العربي والتحديات المستقبلية

خلق متاعب لليبيا في إقليم أوزو الذى تم تسليمه إلى تشاد ، الصراع الصحراوى بين جبهة الصحراء والمغرب . وغيرها مثل مشكلة جنوب السودان التى تدور رحى حربها منذ أكثر من خمسة عشر عامًا . كل هذه المشاكل لا بد من وجود حلول فورية لها .

إن العرب مطالبون وهم يستقبلون القرن القادم والتحدى الإسرائيلى الذى يتخذ السلام مرحلياً لتحقيق أهدافه الكبرى فى السيطرة الاقتصادية لاسيما بعد تراجع صراع الأيدلوجيا كعامل محرك للسياسة لتصعيد مكانتها وعامل الاقتصاد فى عصر أصبح فيه التفوق الاقتصادى هو مقياس القوة والمكانة قبل التفوق العسكرى (العالم العربى حالياً مثقل بالديون) بعد أن كان يمتلك أكبر ثروة فى تاريخ البشرية (٤٠ تريليون دولار) ومن هنا فلا يمكن أن يكون للعالم العربى وجود على الساحة العالمية إلا من خلال قوة سياسية واحدة تدعمها قوة اقتصادية ذلك ؛ لأن الفترة الزمنية القادمة (ربع قرن) من تاريخ العالم سوف تكون فترة بناء عالم جديد يختلف عن القرن العشرين لأنه سوف تظهر فيه ملامح لاتكون إلا لمن يمتلك المقومات التى تسمح له بأن يكون له مكان فى هذا العالم الجديد (العرب ٢٧٠ مليون نسمة بما يملكون ثروة نفطية احتياطية ضخمة) قوة بشرية وقدرات عالمية وتكنولوجية لو أتيح لها التكامل لأصبح ذلك يشكل كياناً قادراً على إثبات ذاته وتحقيق أهدافه فى ظل القوة العربية ، وليس فى ظل المظلة الخارجية سواء أكانت إسرائيلية ، أو أمريكية ، ذلك لأن من يمتلك هذه المقومات هو القادر على أن يأخذ مكانه فى هذا المجال .

لا بد من تملك مفتاح الدخول فى عصر لا يسمح إلا بالقوى القادر علمياً واقتصادياً ؛ لأن الوجود لا يكون من خلال دول منفردة (إلى متى يظل العرب اثنين وعشرين دولة) وإنما من خلال تكتلات تتكامل اقتصادياً (السوق العربية المشتركة) وتكون بينها روابط وصلات ثقافية « وحدة اللغة والدين » والجنس والسلالة ، الحضارة العربية الإسلامية (وتلتقى حول سمات مشتركة تمكنها من أن تتعاون مع بعضها البعض من أجل تحقيق الهدف الأسمى فى الوجود والمحافظة على الثوابت التاريخية فى ظل من يحاول أن يهيمن على المنطقة) لقد قال « شيمون بيريز » (رئيس الوزراء السابق) فى لقاء مع قادة كوريا الجنوبية إن إسرائيل تمتلك الأدمغة (العقول) والعرب المال والأيدى العاملة وهنا يكون تكامل السوق الشرق الأوسطية .

فهل يسمح قادة العرب بتحقيق حلم شيمون بيريز ؟ إن العالم العربى وهو يواجه مصادر التهديد الاقتصادى والعسكرى (قنابل ذرية مع إسرائيل ٢٠٠ رأس أو ٣٠٠ رأس) ومطالبة الولايات المتحدة فى ظل اتفاقية التحالف العسكرى مع إسرائيل بالسماح لها بإمتلاك قنابل ذرية ، ماذا على العرب أن يفعلوا ؟! إن أمانة الحكم ومسئولية القيادة وحكم التاريخ وما سوف تكون عليه الأجيال القادمة يقتضى أن يكون هناك (تعاوناً فعالاً بين قادة هذه الأمة الإثنيين والعشرين دولة « حرام بإقادة » الشعوب تدرك مدى خطر إسرائيل فى المرحلة القادمة ولا بد من مواجهة هذا الخطر بل كسره وإبادته لأنه لا وجود لعالم عربى واحد فى ظل كيان إسرائيل قوى إن إسرائيل يجب أن تكون فى ظل كيان عربى دولة بلاسيادة . شعب يعيش فى ظل دولة عربية فلسطينية من النهر إلى البحر ، إن محاولة ربط الماضى العربى والعودة إلى القيم العربية الأصيلة مع ربط الأصالة بالمعاصرة والأخذ بكل ما يمكن الأخذ به من أساليب علمية متطورة هو السبيل إلى مواجهة التحدى^(١) . إن العامل الدينى الإسلامى المتحضر البعيد عن الإرهاب والتطرف لابد أن يكون عنوان الهاوية العربية فى ظل التحديات الإسرائيلية الأمريكية فى القرن القادم إن العالم العربى يجب أن يعيد حساباته الحالية للانطلاق إلى المرحلة القادمة ولا بد أن تكون له صياغاته الاستراتيجية المتكاملة ولا بد من استجماع العناصر التى تشكل الكيان العربى وأن تكون هذه الاستراتيجية تتمشى مع متطلبات العصر القادم لأن لكل عصر شعاره أو المفهوم الأساسى الذى يحكم حركته ولا يستطيع أحد أن يتحرك فى اتجاه معاكس لحركة التاريخ فإن التاريخ حلقات وفترات وإذا كانت الفترة الحالية (١٩٤٨ - ١٩٧٩ م) وهى أضعف فترات التاريخ العربى فلا بد من علاج الأسباب وإيجاد وسائل العلاج فى ظل عالم عربى واحد وليس العديد من الدول إن التسلح والتطور العسكرى والأخذ بكل الأساليب التى تمكن العالم العربى بأن يكون متوازناً مع إسرائيل لابد أن يوضع فى الحسبان لأن السلام لا يعنى الاسترخاء العسكرى .

إن سياسة توازن القوى بعيداً عن الدول الإسلامية التى تشكل خطراً على إسرائيل سياسة خاطئة والقول أن تكون عربية صرفة لأن العرب هم الذين وقع عليهم عبء الحروب الخمس السابقة (١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧ - ٧٠ - ١٩٧١ « الاستنزاف » ١٩٧٣ م) أم أن العرب (١) انظر عبد الفتاح مقلد الغنيمى - الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين - مكتبة مدولى ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

(العالم العربي والتحديات المستقبلية)

يريدون أن يكون مصيرهم السقوط كما سقط الدب الروسى أو أن يكون سقوطها مدوياً لإنهم لازالوا يشكلون كيانات تعيش فى ظل التخلف العلمى والأمية القراءة والكتابة و الأمية الصحية والكمبيوتر وأبحاث الفضاء والصواريخ والذرة وعلم الهندسة الوراثية ومراكز الاستشعار من البعد وغزو الفضاء ، والأقمار الصناعية والوصول إلى المجالات التى لا بد أن تكون إسرائيل قد حققت نفس النجاحات بها ومن هنا كان شيمون بيريز (يجلس فى اجتماع مؤتمر صانعى السلام مارس ١٩٩٦ بشرم الشيخ) كأنه الأسد أو النمر المتحضر .

إن العالم العربى بجميع نظمه السياسية المختلفة سواء النظام الوراثى الملكى أو الإماراتى (الأمير) أو السلطنة أو النظام العسكرى أو الجمهورى ، لابد أن يأخذ بالتطور الديمقراطى الذى يضع مشاركة الشعوب فى إدارة دفة الحكم بما تقتضيه ضرورة ومتطلبات العصر بالشورى وأهل رأى وليس بالقرار الفردى (العراق وحرب الكويت) ولا بد من إعطاء مساحة واسعة من الديمقراطية الحقيقية التى تسمح للهيئات التشريعية أو القضائية أن تعترض على الحاكم وتقول له بالحرف الواحد (كلا بل تولى أنت ومع السلامة) لأن العصر الجديد لابد أن يكون انتصار للديمقراطية ووزير خارجية إسرائيل (يهود يارك) يصرح بأن إسرائيل فيلاً محاطة بالأحراش وهل هذه الأحراش فى تصوره الخطأء إلا نخبة العرب فلا بد أن يسمح النظام العربى بشكل واسع للديمقراطية والمعارضة البناء والفعالية التى تدرك مصلحة الشعوب وليس مصلحة الوصول للحكم بأن تمارس دورها (إن القرن القادم لا مكان فيه للاستبداد السياسى أو التخلف العلمى أو الكيان الصغير) ؛ لأن مواجهة إسرائيل التى فشل العرب فى إنهاء وجودها عسكرياً ويريدون أن تكون نهايتها سلمياً كما سقط الاتحاد السوفيتى لابد أن يكون لذلك حساباته الدقيقة والعلمية والموضوعية التى تحقق الهدف المنشود .

إن سقوط الأنظمة الشمولية فى الاتحاد السوفيتى وشرق أوروبا كان انهار لبناء ضخم لاثمليه أعمدة إنه سقوط لمارد عملاق لاثمليه أسس قوية من الديمقراطية ومن ثم فإن النظم العربية بكافة أشكالها لابد أن تسمح بمزيد من الديمقراطية ، أقول تسمح لأن الشعوب العربية لازالت نسبة الأمية بها بشكل عام وليس قطر دون آخر تزيد عن ٦٥٪ ومن هنا فإن الديمقراطية يجب أن تكون عطاء من الحاكم بدلاً من أن تكون هبة من الشعب فى حالة الشعوب المتقدمة المتعلمة المتحضرة المتطورة .

إن شعار الديمقراطية هو الذى سوف يدفع العرب فى طريق مواكبة العصر والقدرة على التحدى وإضعاف الكيان الإسرائيلى مهما ملك من قوة عسكرية واقتصادية لكن فتح النوافذ هو الطريق إلى السيطرة على إسرائيل وكيفية تحقيق الهدف الأكبر هو إقامة دولة عربية فلسطينية على كل التراب الفلسطينى سلماً أو حرباً إنه لابد أن يتوج العرب رأسهم بشعار الديمقراطية (لأسيما فى دول الخليج) إن سقوط حائط برلين وانهار الكتلة الشرقية فى أوروبا والاتحاد السوفيتى كان انتصار للديمقراطية . فهل تكون الديمقراطية العربية انتصاراً نهائياً بل ساحقاً على إسرائيل .

إن العالم العربى فى ظل التطور الديمقراطى الحقيقى وليس الشكلى لابد أن يربط خططه المستقبلية بالعصر الجديد (التحدى الإسرائيلى) ولابد أن يحكم قدراته وتطلعاته بحكم حركة التاريخ والتطور الإنسانى وإلا فإن هذه الأنظمة لن تكون إلا مجرد جيوب سوف تنتهى فى فترة زمنية معينة ، إن الاتساع الديمقراطى هو الضمان لبقاء الأنظمة وشرعيتها وقبول شعوبها بها مهما كانت وراثية أو جمهورية .

لست أريد أن أقول أن تقوقع هذه الأنظمة فى مجالها الحالى وما تتصوره خاطئاً لن يمكنها من إيقاف حركة التاريخ ؛ لأن الشعوب العربية تتطور وتتعلم وتتغير وتشاهد بعد أن أصبح العالم قرية واحدة ووسائل الاتصالات لن تكون إلا مبشرة لعصر الديمقراطية العربية التى لأريد أن أخوض بالتفصيل فى دراسة نظم الحكم العربية الحالية وما هو عليه حكامها من رؤساء وأمراء وملوك ، لأن ذلك ليس هو مجال للبحث ولكن غمزة بسيطة هو السماح بقدر أوسع فى شكل الأنظمة الحاكمة وإفساح المجال للعناصر الشابة القادرة المتعلمة أكاديمياً على تحمل المسئولية التاريخية ؛ لأن الذين أفسحوا المجال لمنظمة التحرير الفلسطينية لى تجمدها رأس وقدم فى غزة والضفة الغربية وجعل إسرائيل تقبل بوجود المنظمة هم الشباب الفلسطينى المتعلم ، أطفال الحجارة وليس قنابل شيمون بيريز الذرية .

إن العالم العربى لابد أن يقيم حساباته على ما يخدم المصالح الحيوية والأمن القومى لمجيع وليس لمصر أو سوريا أو ليبيا أو السعودية فقط ؛ لأن الأمن القومى اليمنى (جزيرة حنيش الكبرى) تمسك برقبة الأمن العربى مجتمعة ، أى الأمن القومى العربى لابد أن يشكل ، ظل حسابات القوة الآسيوية القادمة وليس فى ظل انفراد الولايات المتحدة أو غرب أوروبا

العالم العربي والتحديات المستقبلية

(أوروبا الموحدة) وأن الأنظمة العربية الديمقراطية العصرية الحديثة لابد أن تجيد أداء أدوارها في مواجهة إسرائيل في شكل استقرار عربي متعاون متوحد (إقليم عربي) وليس إقليم قطري لأن لعبة الصراع مع إسرائيل رغم أنها لازالت تقوم أساساً وستظل لفترة قادمة صراعاً عسكرياً وإن كانت إسرائيل تحاول أن تلبسه الثوب الاقتصادي متخفية وراء القنابل الذرية ولا بد من إدراك قواعد اللعبة التي تريد إسرائيل أن تلعبها في الشرق العربي أو الشرق الإسلامي (تركيا - إيران - باكستان - دول وسط آسيا السوفيتية سابقاً)، إن الأنظمة الحاكمة في العالم العربي إذا لم تأخذ بالديمقراطية على نطاق واسع فإنه سيحكم عليها في المرحلة القادمة وفي ظل القرن القادم والنظام العالمي الجديد (آسيا القيادية) سوف يصاب بفقدان الشرعية والاستمرار والقدرة على البقاء في ظل ثورة (المعلومات والإلكترونيات والفضاء)؛ ذلك لأن الديمقراطية قد أصبحت مرتبطة بالاستقرار وذلك لأن الحكومات العربية الديمقراطية هي بالتحديد القادرة على البقاء والاستقرار في المنطقة العربية وأن هذا من المبادئ الأساسية الذي سوف تتحرك فيه الدول العربية الديمقراطية هي الأساس وليس الهولة أو الإسراع في التعامل مع إسرائيل وطلب الحماية من أمريكا وإقامة العلاقات مع إسرائيل والدعوات العلنية لرئيس وزراء إسرائيل بزيارة قطر وعمان. إن قوة السلاح الأمريكي أو الإسرائيلي لن تضمن مهما كانت بقاء الحكومات دون التحول إلى النهج الديمقراطي الحقيقي وليس الشكلى أو الصورى أو الرمزي أو غيره من الظواهر الخارجية.

إن وجود نظم غير ديمقراطية في المنطقة العربية في المرحلة القادمة سوف يساعد على بقاء إسرائيل فترة زمنية أطول وسوف يجعلها قادرة على التحكم في رقاب الحاكم قبل رقاب الشعوب (لاحظ فرض الحصار على قطاع غزة بالضفة الغربية) بعد تفجيرات حماس في تل أبيب والقدس وعسقلان، إن العدو الإسرائيلي ذكى جداً وماكر ومخادع وكيف استطاع في ظل احتلال هذه المناطق (غزة والضفة) ١٩٦٧ - ١٩٩٣ م أن يجعلها معتمدة عليه نهائياً في كل شىء (كيف كانت تعيش الضفة وغزة قبل احتلال ١٩٦٧ م إن السوق الشرق أوسطية صورة معبرة للحصار الاقتصادي على فلسطين) الهيمنة الاقتصادية الإسرائيلية مستقبلاً كاهيمنة على الضفة أو غزة، إن التصور العربي للأحداث المستقبلية يجب أن يضع في حسابه رصد خط عام للمسار الإسرائيلي في كل حركة مع العالم العربى منفرداً بدوله الصغيرة ولا سيما دول الخليج مصدر الثروة المالية والطاقة النفطية.

إن شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل (١٩٩٦) يريد أن يكون الشرق الأوسط (أسف الشرق العربى أو الشرق الإسلامى) ؛ لأننى أكره لفظ الشرق الأوسط ؛ لأنه يربط إسرائيل بالكيان العربى أو الإسلامى ، كما رآه فى كتابه (الشرق الأوسط) خريطة جغرافية جديدة للمنطقة يأكل فيها شعب إسرائيل العسل والمن والسلوى (هكذا قال بيل كليتون فى خطابه أثناء توقيع ياسر عرفات وإسحاق رابين هذه الكلمات فى واشنطن) وأن تكون كل الإمكانات العربية مسخرة للخدمة وإرادة الشعب الإسرائيلى (تنبهوا وتيقظوا يا حكام العرب وأين أنتم) (الشعوب هى الضحية) وأن تكون المنطقة العربية أكبر سوق لإسرائيل تصدر إليها سلعا وتعيد إليها تصدير ما استوردته لتبقى لها دائرة الاحتكار (فكر وطريقة يهودية منذ القدم لاحظ وجود وزير سياحة يهودى فى تشكيل حكومة المغرب ووزير يهودى فى الوزارة التركية) إنها تريد أن تكون لها الكلمة العليا على مقدرات وثروات الشعب العربى البشرية والأيدى العاملة الرخيصة فى مصر والسودان ودول المغرب ، وطبيعية (البترول والمعادن وغيرها من مصادر المياه وتكون هى رابطة أو مركز أو حلقة الاتصال مع الاتحاد الأوروبى ودول شرق آسيا ودول النافتا (الولايات المتحدة والمكسيك وكندا) .

إن شيمون بيريز بكل صلافة وغرور وكبرياء وعنجهية يطالب الدول العربية المنتجة للبترول أن تساهم بنسبة ١٪ من دخلها للتطوير الإقليمى وهذا فى رأيه لن يكون له تأثير على سعر النفط ولكنه سيساعد على خلاص تلك الدول من التهديدات التى تشكل خطراً على الاستقرار ، أى يريد كحسبة بسيطة أن يأخذ من دول البترول (أربعة وستون مليار وثمانمائة مليون دولار سنوياً) أموال عربية ولهذا تسرع إسرائيل فى عملية تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية ، فهل يدرك حكام الخليج هذه اللعبة (شيمون بيريز سيزور قريباً عمان وقطر) قام فعلاً بالزيارة وذلك للعمل على إلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل فى أسرع وقت ممكن ، (التقاء رئيس وزراء إسرائيل مع وفد رجال الأعمال المصريين ومطالباتهم أن تصل البضائع والسلع الإسرائيلية إلى دول الخليج عن طريق المستوردين المصريين) أفيقوا يا عرب عامة .

إن تضارب وتعارض المصالح العربية سوف تعطى الفرصة لإسرائيل لكى تأخذ كل ماترجوه لأن اختلاف الرؤية الموضوعية العلمية لدى حكام العرب سوف يساعد إسرائيل على تحقيق الهدف ، إن ما ينبغى أن تكون عليه السياسة العربية (٢٢ سياسة) لابد أن يدرك أخطار

المستقبل والاستفادة من أخطاء الماضي (الولايات المتحدة الأمريكية تدفع نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي في محادثات جدة بالسعودية عام ١٩٩٠م) للتشدد مع نائب رئيس الوزراء العراقي في المباحثات ويتم فض الاجتماع الذي كانت ترعاه السعودية ، وتدفع صدام حسين للاعتداء على الكويت « سفيرة الولايات المتحدة تعطى الضوء الأخضر لصدام » وهكذا يقع العرب في أفدح مأزق تاريخي (عدوان عربي على دولة عربية) .

إن هناك علامات مضيئة أو قطع من الأحجار التي يمكن العالم العربي أن يرجع بها السور العربي المنهار لكي يعيد بناء العالم العربي من جديد وفي ثوب جديد وعلاقات جديدة ، إن العالم العربي لا مكان له في ظل الكيانات الحالية أو السياسات الحالية أو الخطط الحالية فلا بد من اجتياز عنق الزجاجة والوصول إلى المصالحة العربية رغم موقف الكويت وموقف الولايات المتحدة وموقف إسرائيل من جمع الشمل العربي ، أيها الحكام ما أقسى حكم التاريخ فأنتم ذاهبون راحلون ، لكن الشعوب باقية فالحكم على البطل صلاح الدين الأيوبي ليس الحكم على أخيه العادل بن نجم الدين أيوب ، فصلاح الدين يعيد القدس من الصليبيين في أكتوبر ١١٨٧م وأخيه العادل يسلمها لفريدريك إمبراطور ألمانيا في عام ١١٢٩م وهذا هو حكم التاريخ ، يا من تجلسون على كراسي الحكم إن الوضع السياسي والاقتصادي الذي يعيش فيه العالم العربي في تلك الحقبة من نهاية القرن العشرين لا يبشر بخير غير أن الجميع ينزلق إلى هاوية وإن لم نستدرك المواقف ونكون قادرين على تحمل المسؤولية تجاه إسرائيل سلماً ودون حرب لن نحقق قيام دولتها من النيل إلى الفرات بل ستكون دولتها من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي (إسرائيل الكبرى) في القرن الحادي والعشرين .

ولكن دعنا نتحدث بصراحة وهو هل القوى المعادية (إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية) وهي تعارض مصالحه العرب بعضهم على بعض لبث الفرقة وتملى إراداتها على بعض حكام العالم الذين ليس أمامهم إلى الطاعة والولاء ترك هؤلاء يتخذون خطوات فعالة نحو الوحدة أم أن الأمور تسير في الاتجاه العكسي أي نرى العالم العربي الذي يتكون من اثنين وعشرين دولة قد صار أكثر من أربعين دولة ، لاسيما وأنا نشهد حالاً العراق وقد تم ترك الجزء الشمالي منطقة الأكراد تحت الحماية الدولية والجزء الجنوبي الشيعي تحت الحكم الذاتي وكذلك ما يدور في جنوب السودان ومحاولة فصله عن الشمال وكذلك ما يجري على الساحة الجزائرية

الفصل السادس

من عنف وإحياء النعرة البربرية إلا مغازية ولكن بالنظرة الموضوعية ندرك أن كل هذه المخططات في حالة اليقظة العربية لا يمكن أن تحقق أهدافها رغم كتابات بعض العرب بالحاح عن الأقليات في العالم العربى ولكن الوحدة سوف تجد طريقها الفعلى اقتصاديًا أو سياسيًا أو عسكريًا لاسيما الوحدة الثقافية قائمة في ظل التقدم التكنولوجى الهائل الذى يحتاج العالم في ظل ثورة المعلومات ولاشك أن العالم العربى يدرك ضرورة ضمان بقائه في ظل وحدة تحميه إن العرب في ظل حماية أنفسهم من مصادر التهديد وعدم التفتت إلى مجموعات صغيرة فلا بد من الوحدة بعيدًا عن التشرذم أو التبعثر ذلك لأن الدولة الإقليمية العربية الصغيرة لا يمكن لها كيائها الصغير القدرة على مواجهة التحديات بمفردها والقدرة على الوقوف في مواجهة مصادر التهديد مثلما تكون في شكل وحدة متكاملة وأنه لا بد من إدراك الدور المستقل الذى لا بد أن تلعبه القوى العربية كقوة إقليمية تواجه تحديات المرحلة المقبلة في ظل النظام الدولى الجديد بما تفرزه من أشكال جديدة من مصادر التهديد التى وضعت لنفسها هدف زعزعة السلام والاستقرار الإقليمى العربى في ظل إمتلاك السلاح الذرى (إسرائيل) بإعتبار أنها لا تستطيع أن تعيش إلا في ظل مناخ زعزعة المنطقة وخلق الخلافات والتحكم في المقادير .

إن للمرحلة المستقبلية القادمة لا بد أن يجد العرب فيها فرصتهم في حركة متحدة لرحلة المستقبل لاسيما أنها تملك خاصية المبادرة بل أنها لا بد أن تتطور وتنمو بقدراتها المتاحة والذاتية بما يعيد تشكيل الأوضاع الإقليمية في المنطقة التى تنتمى إليها بالصورة التى تضع كتلتها العربية الإقليمية في المكانة التى تستحقها إقليميًا وعالميًا ولكن العرب وهم يواجهون قوة الغد العالمية لا بد عليهم أن يكونوا ضمن منظومة إقليمية قوية فعالة وليس عليهم الجلوس في مقاعد المتفرجين .

إن إسرائيل تخطط بعلم وذكاء وتكنولوجيا متطورة لكى تكون لها مركز الصدارة على مسرح الأحداث في الشرق العربى أو الإسلامى وتريد من العرب أن يكونوا متفرجين على الأحداث التى تجري ولكن مصر بقوة الإرادة والمحور وقطب الدائرة لا بد أن تكون قادرة على مواجهة التحدى إن الجولة القادمة إذا لم يستطع أن يكسبها العرب تحركاً نشطاً سياسياً واقتصادياً فإن ذلك لن يكون في صالحهم لاسيما أن التحرك الإسرائيلى في اتجاه آسيا وأفريقيا

نشطًا جدًا إذ نجد أنه بعد توقيع اتفاقية الحكم الذاتي في واشنطن في سبتمبر ١٩٩٣ م يتحرك رئيس وزرائها الأسبق إسحق رابين من واشنطن مباشرة لزيارة المغرب ثم إلى إندونيسيا أكبر بلد إسلامي ثم رحلة إلى اليابان والصين ونيجيريا وذلك لدفع أسس التعاون الجديد بينها وبين إسرائيل بعد معاهدات السلام مع العرب ، إن إسرائيل تتحرك بانتهازية لا مثيل لها لمواجهة التحركات العربية البطيئة . ولكن داخليًا فإنه في ظل الصراع العربي الإسرائيلي كانت تفرض حالة تاريخية من الصراع والصدام والتوتر في المنطقة العربية على مدى نحو نصف قرن وفي ظل حالة الحرب قامت نظم وترسخت مبادئ وشاعت شعارات وسادت منظومة سياسية فكرية وعسكرية واقتصادية فرضت علينا في العالم العربي قواعد صارمة مبررها الوحيد هو الحرب المقدسة ضد الكيان الإسرائيلي الصهيوني وفي ظل ذلك اكتسبت النظم العربية الحاكمة شرعيتها الأساسية وقبلت الشعوب منها الحكم الاستبدادي والدكتاتورية السافرة والفساد السياسى وكبت الآراء المعارضة ومصادرة الحقوق وقهر الحريات وسلب الأموال وتهريب الثروات باسم الهدف المقدس (فلسطين) وحشد كل القوى لتحرير فلسطين ولا يكون ذلك لا بالديمقراطية الكاملة الصحيحة غير المذوقة شكلاً ذلك ؛ لأن هدف العدو هو تفتت المنطقة العربية بديلاً عن مشروع الوحدة العربية الذى لابد أن يسعى إليه العرب سعيًا قويًا علميًا بعد أن كان شعارًا في الستينات من هذا القرن ذلك ؛ لأن التفتت يعنى تقسيم الأمة العربية إلى أمم وشعوب وتقسيم الدول العربية إلى دويلات صغيرة وفق أسس عرقية ودينية وطائفية وأنه في ظل هذه التداعيات التى يخطط لها أعداء الوطن العربى لشل حركته حتى لا يستطيع أن يتحرك فى الاتجاه الصحيح باعتبار أن العمل العربى الجماعى هو السبيل الوحيد للخروج من المآزق الذى تحاول القوى المعادية وضعها فيه ذلك ؛ لأن العالم يتحرك ولن تتوقف حركته المتسارعة نحو التكتل والتقدم وإقامة الكيانات الكبرى ولفظ الكيانات الهشة الصغيرة الاستبدادية التى تمزقها الفرقة لتلقى بها فى زوايا النسيان ومن ثم فلا بد أن حركة الوطن العربى المصابة بالجمود أن تتحرك بسرعة ، ذلك العالم كله يسير بنشاط كبير نحو الوحدة والتكتل ومن ثم فإنه يجب على كل دولة من دول العالم العربى لابد أن تقرر فيها كل دولة وضعها المستقبلى مع بداية القرن الحادى والعشرين .

الفصل السادس

ومن هنا لابد أن يكون العرب قد حققوا بعض النجاح في أن يصيغوا رؤية سياسية قومية واضحة نابذة من أصول عربية لكى تقودنا إلى الطريق الصحيح ومن هنا فإن الاقتراب من القضايا العربية المستقبلية لا يمكن دراستها بأسلوب القفز فوق المشكلات المعقدة بل العمل على حلها ثم تجاوزها خطوة بعد خطوة وصولاً إلى تحقيق الأمن الشامل للوطن العربى ؛ لأن فى ذلك الضمان الوحيد لاستقرار الوجود القومى لهذا الوطن ، لذا فإن عدم الاتفاق بين الدول العربية حتى الآن على وجود حد أدنى من التفاهم القومى بين الدول العربية لكى يمثل خطأً استراتيجياً ليعكس مخاطر جسيمة قد تقضى على آمال الشعوب العربية ومتطلعاتها القطرية والقومية على المدى البعيد والمدى المتوسط .

لذا فنحن نطالب فى هذه الدراسة بالعمل على عدم إضاعة مزيد من الوقت وعلينا أن نتذكر دائماً أننا فى الماضى القريب قدمنا تجربة رائدة فى التعاون والتضامن القومى وذلك إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ م . حيث تحول العرب إلى قوة عالمية فاعلة ومؤثرة . إن هناك بلا أدنى شك مأزقاً تاريخياً تعيش فيه كل الدول العربية ، وإن كان بدرجات مختلفة إلا أن النتائج فى النهاية تؤثر على أمن الأمة العربية ومستقبلها فى ظل التطبيع العربى الذى لابد أن يواجه بعمل عربى جماعى ؛ ذلك لأن إسرائيل فى ظل الوضع العالمى الذى يسعى إلى التكتل (تكتل إقليمى أوروبى ، وتكتل إقليمى أمريكى) وغيرها من التكتلات الأخرى ومن هنا فإن إسرائيل وجدت نفسها مضطرة لأن تجد لها مكاناً مستديماً كإقليم وهو الشرق العربى ، والشرق الإسلامى ، آسف الشرق الأوسط . ومن هنا هرولت إسرائيل فى طلب السلام بعد أن فقدت علاقاتها العضوية ، وقطعت شرايين بقائها وحياتها مع القوى التى أنشأتها فى البداية وهو التكتل الغربى المسيحى الذى انقسم على نفسه ومن هنا فإن إسرائيل لا تبحث عن سلام ، ولكنها تبحث عن تكتل تكون لها فيه البقاء الدائم إن الكيان الذى هو إسرائيل والذى انفصل عن التكتل الذى أنشأه فإنه لا يستطيع أن يستمر كياناً بمفرده فى المنطقة العربية ولذا سعى إلى السلام وإلى إقامة نظام أو تكتل إقليمى بالاستقرار بين دوله .

فهل تستطيع إسرائيل الانصهار فى هذا النظام أم سوف توضع أمامها العراقيل ، المستقبل كفى بتفسير ذلك إن المرحلة القادمة لابد أن تطرح فكراً عربياً بأنه لا مشكلة مع اليهود الذين يريدون السلام ولكن المشكلة مع المشروع الذى ينفى الوطن العربى الإسلامى الثابت فى فكر

العالم العربي والتحديات المستقبلية

الأمة العربية وهو أن فلسطين عربية وأن الصراع القديم قد تم حسمه من خلال الفكر العربى الإسلامى الداعى إلى الحفاظ على هوية الشخصية العربية والأراضى العربية ، إن مراحل التاريخ الماضية استدعت من العرب الوحدة والتكامل والتقارب لأجل تحقيق الهدف فى الحفاظ على الكيان ومن هنا فإن السلام إذا كان يحقق للعرب عودة كل التراب الفلسطينى من النهر إلى البحر على المدى الطويل فلا بد من أن يكون سلاماً دون استرخاء عسكرى بل إن السلام لا بد أن تدعمه القوة العسكرية المتطورة المتقدمة القادرة على الردع والدفاع والصد والحفاظ على الكرامة العربية فى ظل تحديات حرب النجوم والحرب الإلكترونية وثورة المعلومات والكمبيوتر .

فهل يدرك العرب أخطار المستقبل ومواجهة التحدى الإسرائيلى سلماً وحرباً ؛ لأن السلام مع إسرائيل ليس الاسترخاء والتقارب بل العمل بقوة لبناء المستقبل .

* * *

إسرائيل والانفجار من الداخل

الفصل السابع

إنه يجب أن يكون معلومًا لدى القارئ الكريم أن شعب إسرائيل الذي يعيش على الأرض المحتلة للشعب الفلسطيني لا يمت بأدنى صلة للجنس السامي وأن ٩٥٪ من سكانها الحاليين ينتمون للجنس الشنكازي الغربي ، وأن اليهود اليوم على مستوى العالم وليس إسرائيل إنما هم أقارب الأوروبيين والأمريكيين بل هم في الأعم والأغلب بعض وجزء منهم وشريحة لحمًا ودمًا وإن اختلف الدين ، ومن هنا فإن اليهود في أوروبا وأمريكا ليسوا كما يدعون غرباء أو أجانب دخلاء يعيشون في المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت وإنما هم من صميم جنس الشعب الذين يعيشون معهم وأنهم أصحاب البيت شكلاً وسلالة لا يفرقهم عنهم سوى الدين هذا أوربي مسيحي وذاك أوربي يهودي وليس لهم أدنى صلة بالسامية أما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء أو دخلاء بلا جذور فذلك في فلسطين والأرض العربية حيث لا يمكن لوجودهم إلا أن يكون استعمارًا واغتصابًا بالقهر والابتزاز وغير هذه الأقوال ، فإن ذلك لويًا لحقائق التاريخ والأنثروبولوجيا والأركيولوجيا وغيرها من أنواع الدراسات التي تثبت أنهم عضو غريب عن الوطن العربي الإسلامي وفلسطين كما أنه يكن معلومًا لدى القارئ الكريم أن اليهود الذين يعيشون اليوم ١٩٩٦ م على أرض فلسطين هم يتشكلون من اثنين

وخمسين جنسية أى أنهم قادمون من اثنين وخمسين دولة فى آسيا وأوروبا وأمريكا وأفريقيا بل ومن استراليا أيضاً وانطلاقاً من هذا فإنه يسقط أى ادعاء سياسى باطل بأن أرض فلسطين هى أرض الميعاد لهم . وأن التاريخ والأنثروبولوجيا تبعد أى أساس جنسى فهم قد يزعمونه فى هذا الصدد ، فإن اليهود ليسوا جنساً أو شعباً أو أية قومية بل هم طائفة دينية شأنها شأن كل الطوائف الدينية يتألفون من شعوب وقوميات وأمم مختلفة وليس لهم أدنى صلة أو رابطة عرقية أو سلالية أو تاريخية بفلسطين إنما هم غزو أجنبى غريب أراد بالقوة أن يسيطر على بقعة من العالم العربى فى ظل ضعف الصف العربى ومساندة القوة الأجنبية الغربية والشرقية له لكى يتمكن من الأرض والديار ويطرده أهلها .

والذى ينظر إلى سكان إسرائيل طبقاً لإحصائيات نهاية عام ١٩٩٣ م يدرك حقيقة ما نقوله ؛ ذلك لأن تعداد إسرائيل فى ذلك العام يبلغ أربعة ملايين وثلاثمائة وخمس وثلاثين ألف وثلاثمائة نسمة (٣٠٠, ٣٣٥, ٤) وذلك غير العرب المقيمين بها والذين يصل تعدادهم إلى ما يقرب من مليون مواطن . وتوزيع هذه الأعداد كما جاء فى سجلاتهم هم كالتى :

- ١٧, ٠٠٪ من سكان إسرائيل الحالى من أصل آسيوى .
- ٢٣, ٨٠٪ يهود مواليد إسرائيل (الصابرا) ويعودون إلى أصول آسيوية وأوربية .
- ١٦, ٣٠٪ يهود سوفيت .
- ٣٩, ٩٠٪ يهود من أصل أمريكى وأوربى .
- ١٩, ٣٠٪ يهود من أصل أفريقى (الفلاشا وغيرهم) .
- ٢٨, ٠٠٪ يهود من الدول العربية منهم :
- ٩, ٨٠٪ يهود عرب آسيويين .
- ١٧, ٧٠٪ يهود من أصل عربى أفريقى (دول شمال أفريقيا) .

هكذا تقول إحصائيات اليهود أنفسهم ، لكن إحصائيات الأمم المتحدة عام ١٩٩٤ م تذكر أن سكان إسرائيل يبلغ تعدادهم ٦٧٢, ٥ خمسة ملايين وستمائة واثنين وسبعون ألف نسمة بما فيهم مليون عربى إسرائيلى مسيحى ، ومسلم ؛ لأنهم عاشوا فى إسرائيل بعد احتلال ١٩٤٨ م ومن هنا منحوا الجنسية اليهودية الإسرائيلية . ولقد استطاعت الصهيونية أن تخدع العالم بقولها أنها تريد غزو وطنها السابق لكى يقيموا كياناً يهودياً لكن مكونات هذا الشعب كما جاء فى إحصائياتهم تتشكل من الشعوب البولندية والرومانية والروسية والأوكرانية واللثوانية والفالسسية بل من أجناس الهنود الحمر . إن شعب إسرائيل به عناصر يهودية سلالته تعود إلى

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

الهنود الحمر وأن كل الشعوب هذه تنحدر من قبائل الخزر Khazar التي كانت تسكن بالقرب من بحر قزوين وجبال الأورال وفي منطقة شمال غرب آسيا وهم سلالة شعب وثني كانت تعيش مع القبائل المغولية والشراكسة قبل القرن الأول الميلادي وقد اضطرت هذا الشعب الذي اعتنق ملكه (بولان Bulan) الديانة اليهودية ومن ثم تبعته رعيته ثم تقهقرت هذه الشعوب سالكة الطريق شمال بحر قزوين وهي تحمل الديانة اليهودية إلى شرق أوروبا وغربها .

هذه الشعوب وربما كان هؤلاء الغزاة اليهود قد جلبوا معهم إلى شرق أوروبا من وطنهم الآسيوي طابع الحرب التي كانت تتميز بها شعوب القبائل المغولية فلأنهم سرعان ما سيطروا على شرق أوروبا حتى أنه لم يكذب يأتى القرن السابع الميلادي حتى كانوا قد احتلوا منطقة تقع بين جبال الأورال شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً وقد استقر الخزر في هذه المنطقة ثم أصبح الدين اليهودي ديناً رسمياً لشعب الخزر وهكذا صارت مملكة الخزر الوثنية يهودية مع نهاية القرن التاسع الميلادي ومن ثم قام المبشرون والتجار من هذا الشعب وأسرى الحرب والمبشرون من اليهود إلى نقل هذا الدين إلى شعوب مختلفة من العالم مع حركة التجارة التي حدتها اليهود وصار اليهود ينتمون إلى كل الأجناس المعروفة وفي كل جنس كانت توجد أقلية يهودية اعتنقت اليهودية ؛ لذا كان تكوين إسرائيل الحالي من اثنين وخمسين جنسية .

وهكذا فإن غالبية اليهود من الوجهة العلمية في عالم الأجناس شعب غير سامي ينتمي إلى السلالة التركية المغولية التي كانت تسكن أواسط آسيا ولا يوجد أدنى صلة بين هؤلاء الخزر وبين القبائل السامية التي كانت تعيش في فلسطين تحت اسم « العبرانيين » أحفاد يعقوب ابن إبراهيم عم إسحاق أو يوسف بن يعقوب أو قوم موسى عليه السلام الذين عاشوا في الأرض المقدسة وليس لهم أدنى صلة بالممالك اليهودية التي كانت قديماً في الأراضي العربية وكذلك حدثت عدة تغييرات سياسية استدعت توزيع شعب الخزر الذي تزايدت أعداده إلى العديد من الدول فكان أن انضم إلى روسيا وغالسيا وليتوانيا وبولندا ورومانيا والنمسا والمجر وكان هذا الشعب يعيش في تلك المناطق قبل أن تعرف هذه البلاد التقسيم السياسي وتسمى دول شرق أوروبا بوضعها الحالي وقبل أن تهاجر هذه الشعوب إلى فلسطين وأن حركة إقامة دولة في فلسطين تسمى دولة إسرائيل هي المحاولة الحديثة التي جاءت وجمعت شتات الخزر المبعثرين في أنحاء العالم ومن جنسيات مختلفة في دول شرق وغرب أوروبا وإسكانهم في فلسطين ، ومن هنا تسقط كل دعوى قرابة دم بين العرب واليهود ذلك ؛ لأن أحفاد إسحق

أبو اليهود قد ذابوا في دماء غريبة ووصل الذوبان إلى حد الإحلال حتى أننا نواجه في فلسطين حاليًا قوم غرباء لا علاقة لهم بإسحق أو يعقوب أو موسى أو أحفاده بل شعوبًا ليس لها صلة بهذه الأسماء القديمة .

والخلاصة الموضوعية العلمية الأكاديمية التاريخية الأنثروبولوجية الأركيولوجية هي أن يهود إسرائيل وبقية يهود العالم مختلطون اختلاطًا يبعدهم عن أي أصول إسرائيلية قديمة وأن يهود اليوم ليسوا من بنى إسرائيل وأن الحاليين شيء وأولئك شيء آخر أنثروبولوجيًا ولا رابطة بين الطرفين إلا في الدين فقط .

ويذكر الدكتور العلامة « جمال حمدان » في كتابه (اليهود أنثروبولوجيًا) والذي طبع عام ١٩٦٧م ثم أعيد طبعه ١٩٩٦م قد توصل إلى أن ٩٥٪ من اليهود الذين يعيشون اليوم ليسوا من يهود بنى إسرائيل التواره إنما هم أجانب مختلفون وأنهم فعلاً أوروبيون من سلالة السلاف والأكريون وهذا يصدق على يهود الأشكناز في أوروبا وعلى امتدادهم الأمريكي الذي زاد في اختلاطه في البوتقة الأمريكية أكثر منه على أية مجموعة أخرى حتى اليهود مع ملاحظة أن يهود الأشكناز هم هم السواد الأعظم من يهود العالم . ومن هنا فإن الحقيقة الثابتة والمؤكد أن يهود إسرائيل اليوم ليسوا على أدنى قرابة أو صلة أو رابطة من أي الروابط سوى الدين فقط هو الذي يجمعهم وأن خطأ غير مشروع أن يتحدث أي من كتاب اليهود أو مؤرخيهم أو الأوروبيين أو الأمريكيين عن جنس يسمى اليهود كما أنه من الخطأ الحديث عن جنس يسمى الأمريكيين والاثنيان يتمون إلى أصول مختلفة ومختلطة من شتى بقاع الأرض . ذلك لأن اليهود كانوا يتزوجون من غير اليهوديات من سكان البلاد التي أقاموا بها وأن المجتمعات اليهودية أصبحت تشبه السكان المحليين في كثير من الخصائص وبهذه الطريقة أصبح يهود أفريقيا وشرق أوروبا وأسبانيا والبرتغال وغيرها من الأقطار الأخرى مختلفين بوضوح عن بعضهم البعض لا سيما أن العنصر الحديث به من الأدلة والأحداث الثانية التي تؤكد الزواج والتحول فمع الهجرة إلى بلاد العالم الجديد (أمريكا) تحول كثير من الهنود الحمر والزنج في أمريكا الوسطى والجنوبية إلى الديانة اليهودية وصاروا يهودًا ولا علاقة لهم جنسًا ودما باليهود أصلاً ومع ظهور العلمانية في أوروبا توسعت العلاقات غير الشرعية وزادت بصورة كبيرة حركة تحول اليهود إلى المسيحية وفي روسيا أيضًا تحول كثيرًا من اليهود إلى المسيحية ولقد كانت النازية في العصر الحديث قد أثبتت أن الكثير من الألمان المسيحيين تجرّى في عروقهم دماء يهودية ومن هنا ذاب اليهود في الديانة المسيحية .

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

وهكذا صارت اليهودية تجمع شتات الأجناس ، فهناك اليهود السود (الفلاشا) في الحبشة وجنوب الصحراء الكبرى واليهود الملونين في الهند ، بل اليهود الصفر في التركستان والصين واليهود الشقر في أوروبا من كل الأنواع والألوان يوجد اليهود البيض والسمر والسود والعيون المغولية في يهود أواسط آسيا والسفارديم والأشكنازيم واليهود الشرقيين وهكذا يتكون المجتمع اليهودي في المجموعات الرئيسية الثلاث (الأشكناز والسفارديم والشرقيين) فالأشكناز يشملون يهود غرب ووسط أوروبا بالإضافة إلى خلاياهم الجديدة التي انشطرت في العالم الجديد بقاراته (أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية) ثم جنوب أفريقيا وأستراليا ويشمل اليهود السفارديم يهود البلقان والشرق الأدنى ، أما اليهود الشرقيين فهم يهود العالم العربي ثم القوقاز وإيران والتركستان الروسية وكذلك الهند والصين .

إن الحديث عن شتات اليهود وتكويناتهم السلالية والجنسية والعرقية قد يبعدنا عن رأس الموضوع وهو إسرائيل والانفجار من الداخل ولكن أردنا بهذا العرض في الصفحات السابقة أن نعطي القارئ الكريم فكرة عن شتات اليهود والأجناس المختلفة التي يتكون منها شعب إسرائيل اليوم وما هي المتناقضات التي تعيش فيها هذه الجموع وما هي الأسباب والعوامل والتفاعلات التي ستؤدي إلى انفجار إسرائيل من الداخل وبعوامل داخلية بحثة دون النظر إلى العوامل الخارجية لا سيما أن هذا الخليط رغم مرور نصف قرن على إنشاء دولة إسرائيل لا زال يعيش صراعات وانقسامات سوف تؤدي به إلى تمزيق دولته لا سيما أنه يرتفع شعار في كل إسرائيل هو أن إسرائيل هي دولة الأشكناز فقط ومن هذا الشعار الذي يجعل الأقلية ٩, ٣٩٪ الأوروبية الأمريكية تتحكم في الأغلبية ، وإن كان اليهود الروس يحاولون أن يلعبوا دورًا ليكون لهم كيان في توجيه السياسة الإسرائيلية . لا سيما أن إسرائيل تتحرك كغزوة مقدسة تفرض نفسها من طرف واحد كأنها حرب دينية تبعث بذلك شبهة صليبيات جديدة في العالم العربي والإسلامي بل أن الصهيونيات أسوأ من صليبيات جديدة فما كانت الصليبيات في العصور الوسطى إلا استعمارًا استقلالياً تخفى وراء الصليب إن الصهيونيات التي تتخفى وراء النجمة السداسية بحث عن الذات على حساب الشعب الفلسطيني ، استهدفت اقتلاع وتصفية الشعب الأصلي تصفية جديدة تعمل على تهويد الأرض وتغيير طبيعتها ومعالجتها إلى الأبد ، وتجعل من داود صاحب النجمة السداسية جالوت الجبار وهكذا صار يطلق عليها جالوت .

لكن نستدرك القول : أن الانفجار في الداخل سوف يأتي في ظل اتفاقيات السلام ؛ ذلك لأن الإحساس بالخطر السابق قد دفع إسرائيل للدخول في أربع أو خمس حروب مع

العرب وكانت هذه الحروب تجمع الشعب الاسرائيلي الذى جاء من شتات الأرض لكى يدافع عن الكيان المغتصب باعتبار أنه ضمان الأمن لهم فى ظل العيشة الذليلة فى كنف الدول المختلفة ، لكن عندما لا يكون هناك صراع خارجى فإن الصراع سوف يتجه للداخل لا سيما أن الشعوب المختلفة غير متجانسة سلوكياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو فكرياً بل القيمة هى التى تجمع الجميع لأن الاختلاف سوف يشتد عندما لا تكون هناك محاولات للغزو العسكرى على أية من الجبهات وما حدث من قيام « ايجال عامير » الشاب اليهودى الشرقى الذى من جيل الصابرا الذين ولدوا فى إسرائيل ، باغتيال إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل دليل حيوى وقوى على بداية تفسخ المجتمع الإسرائيلى وحدوث انشقاق بين الاتجاهات الفكرية المختلفة ذلك لأنه رأى أن السلام سيكون هو العقاب الحقيقى لإسحق رابين ولقد ذكر قاتل رابين (ايجال عامير) أن قتل رئيس الوزراء السابق كان ضرورياً لوقف ما يعتبره سياسة سلمية إسرائيلية تنطوى على كارثة محققة سوف تؤدى بطريق غير مباشر إلى تدمير إسرائيل .

كذلك فإن الصراع بين « بنيامين ناتنياهو » زعيم حزب الليكود يرى فى التعصب ضد حزب العمال صورة سوف تؤدى إلى توسيع فجوة الخلاف لا سيما أن حزب الليكود كان يدعو إلى التطرف والعمل على قتل رابين ونجاح حزب الليكود بزعامة ناتنياهو وسياسة التطرف التى يتبعها سوف تكون لها عواقب وخيمة على بقاء إسرائيل طويلاً .

إنها صورة سوف تتكرر فى ظل السلام بل إن هذه الأجناس التى ترى أنها محرومة من أن تنال حقوقها مثل الأشكنازى الغربيين الذين يتصدرون قيادة إسرائيل دون غيرهم من الأجناس ستزيد من الحقد والكراهية لهذه القيادة لا سيما أنها تنظر إلى بقية الشعب الإسرائيلى وخاصة القادمين من أفريقيا كشعوب من الدرجة الثالثة .

إن إسرائيل دولة الأشكناز فقط فهم الأعلون وأصحاب السيادة والقيادة ليس مهماً أن يكون غيرهم مواطنين من الدرجة الثانية والثالثة ، إن المهم ألا يكون غير الأشكناز فى الدرجة الأولى المحجوزة للأشكناز وحدهم ولقد كان من الممكن أن تكون إسرائيل درجة أولى شكناز والثانية للشرقيين لكن كان من الممكن أن ينضم الأثيوبيون (الفلاشا) إلى صفوف الدرجة الثانية التى تشكل يهود الشرق عامة لكنهم وجدوا أنفسهم فى قاع المجتمع ولا كيان لهم ؛ لأن يهود الشرق ينظرون إلى يهود الفلاشا القادمين من أثيوبيا نظرة الأشكناز إليهم بينما ينظر إلى العرب الذين يحملون جنسية إسرائيلية على أنهم نفايات وقذرات المجتمع الإسرائيلى ، هم الخدم والأرقاء فى نظر السادة .

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

لقد ظهرت الطبيعة الأشكنازية لإسرائيل تتأكد من جديد بعد أن ظهرت بوادر السلام وأنه لم يعد المجال العسكري يشكل الأهمية الأولى لإسرائيل، ولقد كان قدوم اليهود السوفيت ويهود أثيوبيا وهى آخر هجرتين لإسرائيل حيث بدأ اليهود الروس يحتلون مكانتهم كصدارة المجتمع الإسرائيلى ، لأنهم أورييون بحصولهم على ٧ مقاعد فى الكنسييت فى الانتخابات الأخيرة ١٩٩٦ بينما الفلاشا فهم فى الدرك الأسفل من المجتمع .

وهكذا بين الصعود والهبوط تزداد الفوارق الاجتماعية فى إسرائيل وتبدو المشكلة الطائفية « لاحظ ٥٢ جنسية يعيشون حالياً فى إسرائيل وتصور كيف سيكون الصراع القادم والتمزق وانهييار المجتمع الإسرائيلى » لا سيما أن اليهود الفلاشا الأثيوبيون سوف يقفون ضد بقية الطوائف ويهود الشرق والعرب الإسرائيلين سوف تزداد عداوتهم وتتصاعد ضد الصعود الممكن لليهود الروس واتساع قاعدة الأشكناز (٩, ٣٩ + ٣, ١٦ روس = ٥٦, ٢ ٪ من مجموع سكان إسرائيل يهود شكناز أورييون وأمريكيون ويهود سوفيت) وأنه فى تنظيمه جنسية وتشكيله من بقاع الأرض بهذه الصورة تبدو الصورة المستقبلية للمجتمع الإسرائيلى أنه يتجه إلى معالم غير واضحة وأنه سوف يسير ليجد نفسه فى مفترق طرق حاد . فالدين اليهودى لن يكون رابطة قومية متينة لا سيما أن إسرائيل قد قامت على أساس الأمة اليهودية ترفع شعار الدين والتوراة والأرض الموعودة والعودة إلى الديار القديمة .

والذى ينظر إلى صراع الجنسيات والقوميات اليهودية بهذه الصورة ويرى أبعاد هذه المشكلة وبروزها بهذا المستوى الشديد المتناقض يجد أن المجتمع أو التجمع لشتات اليهود غير قادر على معالجة مشاكله الداخلية وعدم القدرة على التصالح مع نفسه رغم خطوات التصالح مع الدول العربية والفلسطينيين ، ولكن الذى يتفحص هذه الهجرات والتشكيلات اليهودية التى مضى على أقدمها فى إسرائيل أقل من نصف المواليد الجدد وغيرهم من شتات الأرض يدرك تمام الإدراك مسألة المواطنة الإسرائيلية المتجانسة مازالت غير ثابتة فى العلاقات بين طوائف وجماعات التجمع اليهودى فى إسرائيل وأن الوضع فى عمقه يشير إلى أن الأمور تأخذ بعداً مغايراً عما كان عليه الوضع فى السابق عندما كانت إسرائيل تتعرض لخطر الحرب لا سيما حرب يوم الغفران السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م .

ورغم سنوات هذه الدولة القصير فإن الكاتب الإسرائيلى (دان كيسلو) يعلق على انفجار اليهود الأثيوبيين كمقدمة للانفجار والانهيار الأكبر للدولة الإسرائيلية على المدى

المتوسط أو البعيد » إن ما حدث سوف يحدث أقوى منه في المستقبل » إن الثقافة ليست فولكلور فقط بل أيضًا وبالأساسي التوافق والتكيف مع المستوى الحضارى والتكنولوجى وثمة ثقافات مختلفة ومتصارعة ومتباينة بل متضادة » لأنه حين تأتى مجموعة كبيرة من الأشخاص من واقع ثقافى على مستوى الظلام الأفريقى إلى واقع ثقافى بمستوى أوربى فذلك يؤدى إلى صدمة ثقافية وإحباط وربما انفجار واضطرابات » ويصف (دان كيسلو) أنه من الممكن أن تحول دون الصدام والصراع والتحارب بين الفئات الثقافية المختلفة فى المجتمع الإسرائيلى والتي تتكون من (اثنين وخمسين ثقافة) إذا منحنا كل طائفة من هذه الطوائف الإمكانيات لكي تتطور فى بيئتها الطبيعية (لاحظ جتيو يهودى داخل إسرائيل اثنين وخمسين جتيو) تشكل منها الدولة اليهودية لا سيما أن توجد فوارق جسيمة وجنسية ولا يوجد أدنى تماسك بيولوجى بين هذه العناصر .

إنه رغم مرور ما يقرب من نصف قرن فإن الاختلاط أو تخطيط اليهود فى فلسطين لم يتأكد النجاح ولا زالت العزلة والتباعد والتناقض صورة عامة عن مكونات هذا الشعب ؛ لأنهم لازالوا يعيشون حياة العزلة فى الجيتو التى كانوا يعيشون بها فى أوطانهم قبل جلبهم إلى إسرائيل ولا زال العداء بين الطوائف صورة سائدة دائمة وتوجد عوامل مضادة للاختلاط والزواج إذ كيف يتزوج يهودى فلاشا من يهودية من أصل أوربى أو أمريكى .

إن الثقافات المختلفة إذا أخذنا بفكرة (صمايل هانتجتون) فى مقاله الذى نشر فى مجلة الشئون الخارجية التى تصدرها جامعة هارفارد وبعبارة (صراع الحضارات) فإن الصراع الحضارى والثقافى بين هذه الطوائف والقوميات المختلف فى إسرائيل سوف تظهر على السطح لا محالة وسوف تعيش دورة من الانهيار والتمزق مهما تكن اللغة عبرية لكن اختلاف الثقافات والفوارق الاجتماعية والسلالية والجنسية وغيرها من العوامل الأخرى سوف تقدم نهاية إسرائيل ليس على المدى الطويل الذى ربما سيكون خمسة قرون (٥٠٠ عام) لكن ربما تكون نتائج هذه الخلافات خلال (القرن الحادى والعشرين) وربما بعد ذلك بقليل ، إن إسرائيل تعيش فى أزمة عميقة فى عدم القدرة على حل المشاكل الاجتماعية التى تترتب على الأجناس المختلفة ذات الطباع والعادات والتقاليد والثقافات المختلفة ليس اليهودى اليمنى كاليهودى الأمريكى إنه ليس خافيًا على أحد إن المجتمع الإسرائيلى تسوده حالة الفوارق العنصرية والتمييز بين الأجناس فيما يواجهه يهود الفلاشا من اضطهاد وعنصرية يواجهه بدرجات مختلفة يهود مغاربة ويمنيون وعراقيون ومصريون وغيرهم من الأجناس الشرقية هجرتهم اليهودية الصهيونية إلى

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

فلسطين ومطلوب من المؤسسات العربية أن تمضى في متابعة أحوالهم انطلاقاً من كونهم جزء ينتمى لحضارتنا العربية الإسلامية وأن نعرض حالتهم ونعرف العالم بما يتعرضون له من تفرقة عنصرية يمارسها الأشكناز اليهود الغربيون على اليهود الشرقيين السفارديم وصولاً إلى أن يطرح الحل الفلسطيني لبناء دولة فلسطينية ديمقراطية للمساواة اليهودية الشرقية التي حاولت أوساط الحضارة الغربية الأوروبية الأمريكية أن تعاملهم معاملة غير إنسانية ، إن شعار دولة عربية فلسطينية يعيش فيها المسلمون والنصارى واليهود كأخوة في المساواة بين أبناء الشعب العربى الفلسطينى .

إن الهجرة إلى إسرائيل لم تعد تجذب اليهود من الأقطار المختلفة فلهجرة في طريقها إلى أن تتوقف بل إن الهجرة تتم حالياً من إسرائيل إلى أوروبا وأمريكا . إن الذى يتذكر أو يطالع حركة الأحداث خلال الأسبوع الثالث من يناير ١٩٩٦ عندما قام « عزرا وايزمان » . رئيس الكيان الإسرائيلى بزيارة ألمانيا . فإنه دعى يهود ألمانيا إلى الهجرة من وطنهم ألمانيا إلى إسرائيل وأبدى أسفه من بقائهم في بلد حدث فيه مذبائح (الهولوكسيات) أثناء الحكم النازى لألمانيا . وقد سارع رئيس تنظم اليهود الألمان بالرد عليه مبيناً له ، « إن أبناء اليهود يعيشون في وطنهم ألمانيا ولا يوجد ما يعكر صفوهم مما يدعوهم إلى الهجرة إلى إسرائيل » وهذا دليل قوى على نقص الهجرة إلى إسرائيل وعدم رغبة يهود الخارج في الذهاب إلى إسرائيل .

أنه لم يكن قول رئيس أبناء الجالية اليهودية في ألمانيا هو الذى قال ذلك فقط بل نجد رئيسه اتحاد الجاليات اليهودية الإيطالية التى طالبت في نهاية يناير ١٩٩٦ م ، أمام اجتماع المؤتمر اليهودى العالمى بضرورة إلغاء قانون العودة إلى إسرائيل لليهود الشتات وقالت (تليث فعليا زيفى) إن فكرة إسرائيل المحاصرة (فيلاً وسط أحراش) وضرورة قيام اليهود الموجودين في أنحاء العالم بمساعدتها وهى فكرة قديمة يجب أن تنتهى ، وهذا دليل آخر على عدم اقتناع يهود العالم بقيام دولة إسرائيل وأن الهجرة إليها ليست واجب يهودى ؛ لأن قيامها لم يكن ضرورياً . وهكذا سوف يتم تفريغ إسرائيل من الداخل لكى تنهار الدولة اليهودية قبل أن تمضى على قيامها قرن أو بضع قرن (لاحظ ١٩٤٨ - ١٩٩٦ م) .

لقد طالبت العديد من الجاليات اليهودية في العديد من أقطار العالم بعدم النظر إلى التاريخ اليهودى القديم كسند لعودة اليهود وضرورة إعادة النظر في الروابط بين إسرائيل وجاليات الشتات اليهودى حيث أن إسرائيل لم تعد تحتاج إلى أموال هذه الجاليات (لاحظ

أقوال يهود يطالبون بقطع العون عن إسرائيل أليس ذلك مقدمة للانهييار الداخلى مهما كان التطور العلمى والتكنولوجى فإن المساعدات المالية الخارجية الحالية اليهودية ضرورة لتقدم وتطور الاقتصادى الاسرائيلى وازدهاره.

بل طالبت بعض الجاليات بإصدار قانون يحرم الهجرة إلى إسرائيل لاسيما أن المساحة الجغرافية الصغيرة لإسرائيل لايمكنها أن تستوعب الملايين الثمانية من اليهود الموجودين في شتات العالم لذا يجب إلغاء قانون العودة و الهجرة إلى إسرائيل نهائياً . إن ألمانيا وإيطاليا (يهود البلدين) يرفضان الفكرة الصهيونية واغتصاب وطن فلسطين العربى ويعارضان فكرة تهجير اليهود في العالم من أوطانهم إلى فلسطين المحتلة بحجة أن لهم ثقافتهم وتقاليدهم وقيمهم التى تختلف عن اليهود الآخرين وأنهم يشكلون قومية خاصة بهم وأنهم لا يستطيعون أن يمارسوا دينهم اليهودى إلا في إسرائيل إن تلك الأقوال تدل دلالة قاطعة على أن الانهييار من الداخل وجفاف منابع الهجرة كفيل بوقف الدم الجديد وكذلك الأموال التى يتبرع بها اليهود في ألمانيا وإيطاليا ، إن كل ذلك نذير سوء يشير بالنهاية الحتمية لدولة إسرائيل .

بل إنه مما يحى الأمل لدى الشعوب العربية في القدرة على المواجهة والتحمل لبضع سنوات أنه في الوقت الذى كانت تستعد فيه طائرة شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل والوفد الكبير الذى كان يرافقه في الهبوط في مطار مسقط (عُمان) ثم منها إلى الدوحة عاصمة قطر فإنه كانت هناك ثورة عربية تشتعل في خمسين قرية (٥٠ قرية) وتشمل أنحاء إسرائيل بمناسبة مرور عشر سنوات على يوم الأرض (١٩٨٦ - ١٩٩٦ م) فإن ذلك يعطى مؤشر قوى على أن عرب فلسطين (إسرائيل) لن يكونوا لقمة سهلة الهضم ، وأن الصغير لا بد أن يكبر وأن الأيام قادرة على تحديد المصير .

إضافة إلى ذلك حصار يهود الفلاشا الأثيوبيين لمقر رئيس مجلس الوزراء الإسرائيلى في القدس المحتلة يوم ٢٨ / ١ / ١٩٩٦ م احتجاجاً على سياسة التمييز العنصرى لبنوك الدم للقيام بإعدام الدم الأثيوبى خشية تلوئه بأمراض منها مرض نقص المناعة (الإيدز) وقد قامت الشرطة الإسرائيلية باعتقال أعداد كبيرة منهم وكان قادة يهود الفلاشا قد اتهموا السلطات الإسرائيلية بالعنصرية والتمييز بين الطوائف الإسرائيلية وأنها بذلك تعمق جذور الصراع والتنافس مع بقية الطوائف لا سيما أن الحكومة الإسرائيلية تميز بين الفلاشا وأقربانهم اليهود في كل شىء من السكن للمدرسة ومن الجيش والشرطة إلى العمل وحتى الصحة (فوارق وتمايز

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

بين الطبقات والطوائف اليهودية (ففى الجيش ينادونهم كوش وهى كلمة عبرية تعنى الأسود وأن هناك الكثير من الجنود اليهود الفلاشا قد انتحروا بين عامى ١٩٨٤ - ١٩٩٤م وهو أعلى انتحار بين مختلف المجموعات الإسرائيلية .

ومنذ بداية وصول الفلاشا إلى إسرائيل فقد تعرض هؤلاء للإهانة بعد إصرار الحاخامية الإسرائيلية على التحقق من يهوديتهم كما أن الفلاشا يشكون من تعامل جيرانهم معهم بروح عنصرية فوقية متعالية وأنهم لم يقبلوا فى المجتمع الإسرائيلي كيهود لهم حقوق كاملة ثم تعرضوا لمشاكل عديدة ومنها السكن لأنهم ؛ أجبروا منذ جلبتهم إسرائيل على العيش لعدة سنوات طوال فى مقطورات أشبه بالمعازل وأغلب شبابهم يتم توجيههم إلى الحرف القذرة وأعمال يدوية بينما المهاجرون من الأقطار الأوروبية أو الروسية يتم توجيههم للدراسة بالمعاهد والجامعات وأنهم لم يستطيعوا رغم مضى أكثر من عشر سنوات على جلبهم إلى إسرائيل ١٩٨٤ فى القدرة على التعامل مع غيرهم أو إندماجهم بسبب لون بشرتهم السوداء ؛ لأنهم يعاملونهم ليس كمعاملة يهود مع يهود إنما يهود مع أعداء .

ولقد ظهرت بوادر الانقسام بشدة عام ١٩٩١م عندما احتج الأثيوبيون الفلاشا على سياسة التمييز العنصرى ضدهم ورفض السلطات الإسرائيلية اليهودية لرجال الدين الفلاشا بالعمل فى المعابد اليهودية كحاخامات وكذلك فإن الشرطة استخدمت القوة ضد يهود الفلاشا عند ثورتهم ضد مجلس الوزراء فى قضية إعدام دماء الأثيوبيين قبل إيداعها فى بنوك الدم وأن الشرطة لم تتعامل معهم كيهود بل كأعداء ، وذلك دليل على ظلم وقع عليهم والتمييز ضد عشرين ألف يهودى أثيوبى فما زالت الإشارة السائدة عنهم فى إسرائيل أنهم سكان وليسوا مواطنين وأنهم طائفة ومجموعة وليسوا إسرائيليين وهكذا يتبين لنا الحال الطبيعى والاجتماعى فى البنية الإسرائيلية التى تتشكل منها إسرائيل على حساب الأرض العربية الفلسطينية فإن التمييز والتباين والتنابد فى النظرة الفوقية للطبقات الأفريقية والشرقية سوف تباعد فى الشرخ النفسى بين الفئات التى يتكون منها المجتمع الإسرائيلى غير المتجانس وأنه فى ظل السلام وعدم الإحساس بالخطر الخارجى فإن الصراع سيكون داخليًا لاسيما أن طبقة إسرائيلية جديدة قد بدأت تدخل فى هيكل المجتمع الإسرائيلى وذلك بعد تفكك الاتحاد السوفيتى وانهاره عام ١٩٨٩م مما سمح للأعداد الهائلة من اليهود الروس (الحزر) وغير الساميين بالهجرة الواسعة إلى إسرائيل وهم الذين بدأوا يتبوأون مكانة عالية فى المجتمع الإسرائيلى فى سرعة خاطفة وذلك فى فترة وجيزة جدًا لاتتجاوز ثلاث سنوات رغم أن بعضًا منهم قد أخذ طريقه

الفصل السابع

إلى الهجرة خارج إسرائيل إلى الولايات المتحدة وغرب أوروبا ؛ لأنه لم يجد عملاً مناسباً له في إسرائيل ونظراً للدور الروسى البالغ ، فهناك سؤال يطرح : هل أصبحت إسرائيل روسية ؟ (يشكل اليهود الروس ١٦,٢ ٪ من مجموع السكان) ولقد بدأت اللغة الروسية تسمع في شوارع العاصمة تل أبيب وغيرها من المدن الكبرى لاسيما أن بروز ثلاث أرباع المليون الروس يتحدثون اللغة الروسية يضمن تنافر المجتمع الإسرائيلي ولايساعد على التقارب بل دعوة إلى الصراع والتطاحن الذى يؤدي في النهاية إلى الانفجار داخل المجتمع الإسرائيلي الذى يؤدي إلى الانهيار النهائى .

ويعبر أحد كبار الكتاب الإسرائيليين عن الدور الروسى قائلاً : « قيل قديماً : إن إسرائيل تعتبر الولاية الأمريكية الحادية والخمسين (أو الثانية والخمسين) وبعد الهجرة الروسية الواسعة يصح أكثر أن نقول : إن إسرائيل أصبحت قطعة مصغرة من روسيا وأن ذلك لن يكون في صالح المجتمع الإسرائيلى ولا في صالح البنية التى يتشكل منها هذا الكيان غير المتجانس أو المترابط .

بل أكثر من ذلك فإن الجاليات الروسية تشكل قوة ضاغطة على عملية الانتخابات التى تمارسها المافيا الروسية التى تصرف ملايين الدولارات لمساعدة أنصار حزب الليكود على حساب حزب العمل لدخول الكنيست وتمثيل مصالح المافيا الروسية داخله وسنداً لقواتها ٧ مقاعد للروس في الكنيست التى تساعد أعمالهم على الازدهار في الصناعة والتجارة وغيرها من الأنشطة الأخرى ، وإنه مع الصعود الروسى داخل إسرائيل لن تكون مفاجأة أن نرى في الشوارع الإسرائيلية صدامات وتوترات معهم . فالشرطة الإسرائيلية تعتبر عمليات المافيا الروسية بمثابة تهديد استراتيجى للدولة لاسيما أنه تشير تقديرات الشرطة الإسرائيلية إلى أنه تم تهريب نحو أربعين مليار دولار عبر الحدود الروسية خلال السنوات الأربع الأخيرة وأن ١٠ ٪ من هذه الأموال ادخلت إلى إسرائيل (أربعة مليارات) واستخدمتها المافيا الروسية في مشاريع داخل إسرائيل .

إن الانتخابات الإسرائيلية في مايو ١٩٩٦ م سوف تكون مناسبة لإيضاح الأوزان الطائفية داخل إسرائيل إلى جانب أوزان القوى السياسية إذ توجد تقديرات باحتمال فوز (الروس) بنحو ٦ مقاعد بالكنيست فيما يبدو أنه ليس أمام الأثيوبيين الفلاشا سوى الفشل خاصة أنهم يفتقدون داخلهم كطائفة وكقيادة أنهم ليسوا يهوداً ، وهكذا فإن هذه الأمور والتعقيدات الجنسية والطائفية والصراعات بين هذه الطوائف ووجود لغات تصارع اللغة

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

العبرية وعدم وحدة الكلمة تجاه القضايا الكبرى لاسيما أن حادثة مقتل إسحاق رابين على يد يهودى الصابرة إيجال عامير تشكل مقدمة لأحداث دموية ستحدث بين الإسرائيليين مستقبلاً .

وهكذا عرضنا لجوانب الصراع والتصادم بين الطوائف اليهودية التى تتشكل من اثنين وخمسين جنسية وتشكل عناصر من قارات العالم أجمع مما يوشك أن يكون بداية النهاية لدولة إسرائيل لكنه لا يمكن للسلام إلا أن يفرض ويبرز هذه المتناقضات التى تعجل بوضع نهاية لإسرائيل .

لكن يبقى جانب آخر مهم هو العرب داخل إسرائيل ، سكان إسرائيل قبل ١٩٤٨ م والذين فضلوا البقاء فى أماكنهم وقراهم بعد قيام دولة إسرائيل على حساب الحق الفلسطينى فى ١٥ مايو ١٩٤٨ والذين كان تعدادهم عام ١٩٤٨ ربع مليون نسمة (صاروا عام ١٩٩٥) مليون مواطن عربى إسرائيلى لاشك أنه سوف تحمل الأيام القادمة وجود وزن سياسى لهم وقوة مستقبلية ١٢ عضو عربى إسرائيلى فى الكنيست (انتخابات مايو ١٩٩٦) لاسيما أن جو السلام سوف يساعد على بروز دورهم والقدرة على التحرك لاسيما أنه حالياً لا يوجد إلا حزين رسميين عربيين أحدهم الحزب العربى الديمقراطى الذى يترأسه عبد الوهاب الدرواشة عضو الكنيست الإسرائيلى ويشكل العرب عدد ١٢ عضو فى داخل الكنيست لكن ذلك لا يمثل القوة الحقيقية للوجود العربى بسبب تناحرهم وعدم توحيدهم فى الهدف والحركة رغم أن توحيدهم على قائمة انتخابية واحدة يرشحهم كقوة سياسية ثالثة فى السياسة الإسرائيلية بعد حزبى العمل والليكود .

ولكن لا بد أن يأتى اليوم الذى يتيقظ فيه هؤلاء العرب الإسرائيليين عندما يدركون مدى الهدف القوى فى إقامة دولة فلسطينية علمانية تجمع اليهود والمسلمين والمسيحيين فى ظل كيان فلسطينى عربى وليس إسرائيلى العنصرية وهنا تكون هذه الجموع العربية قد ازداد تعدادها لاسيما أن نسبة الإنجاب تشكل نسبة عالية جداً بالنسبة لمواليد العرب رغم انخفاض الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية فى القرى العربية (ثورة خمسين قرية مارس ١٩٩٦) وفرض اللغة العبرية كلغة رسمية فى المدارس إلا أن قوة العرب لا بد أن تأخذ فى التصاعد وليس الهبوط لأن المجال السياسى سوف يتسع لاسيما أن القوى الفلسطينية بدأت تنزل لترشيح نفسها داخل إسرائيل نفسها والعمل على توحيد الجانب العربى للعمل على نيل الحقوق الضائعة ولا بد أن

تأتى اللحظة التاريخية التى تعيد للعرب قوتهم كأصحاب حق مسلوب ولاسيما أن اليهود الشرقيين يبدون تعاطف مع عرب إسرائيل لاسيما أن اليهود الشرقيين لم يكن لهم خيار سابقاً سوى اللىكود أو العمل لكن فى ظل السلام ستكون لعبة السياسة الانتخابية تشكل بعداً جديداً للعرب ؛ لأن ثلاثة مقاعد (١٢ مقعداً حالياً) لن تكون الهدف الذى يسعى إليه التكتل العربى الذى يسعى لإحراز العديد من المقاعد داخل الكنيسيت ؛ لأن الأصوات العربية فى إسرائيل سوف تلعب دوراً مؤثراً مهما كانت محدوديتها وفى الماضى كانت معظم الأصوات العربية تذهب إلى حزب العمل ، ولكن هناك علامات استفهام حول هذا التوجه العربى إذا استمر شيمون بيريز فى سياسة هدم المنازل وإرهاب الفلسطينيين تعاطف عربى لابد أن يأتى اليوم الذى يمارس فيه الدور الفعلى وسيكون عامل هدم للدولة الإسرائيلية التى اغتصبت أرض أجدادهم ، ومع أن عرب إسرائيل (قوة الغد القادمة الفعالة والفاعلة) فى أغلبهم لن يصوتوا لصالح حزب اللىكود بزعامة (بينيامين نتانيا هو) مباشرة ، لاسيما أن قادة حزب العمل ألغوا جولاتهم الانتخابية فى القوى العربية (المحرومة من كل الخدمات) التى تعيش على حالها كما كانت قبل ١٩٤٨ م . وذلك بعدما وقع من أحداث فى إحدى مباريات كرة القدم فى ملعب قرب (الطبية) العربية وهتف خلالها (يحيا يحيى عياش ، والموت لليهود ، ردًا على ماحدث فى قرية كريات شيمونة) اليهودية فى شمال إسرائيل حيث هتف المشاهدون الموت للعرب وهكذا سوف يكون لعرب إسرائيل دورهم الفعال فى المرحلة القادمة وسوف يكون دورهم على سطح الأحداث المستقبلية عامل هدم إضافة إلى المتناقضات بين الأجناس التى تتكون منها إسرائيل فالغد سيكون الانهيار من الداخل ونهاية لإسرائيل .

وأنه إزاء البعد السياسى الذى تحدثنا عنه كعامل سوف يؤثر سلباً فى الحركة الاندماجية بين الطوائف اليهودية مما يضع مؤثرات أو علامات فى طريق الانهيار فإن البعد الاقتصادى والمشاكل الاقتصادية سيكون لها تأثير أكثر خطورة على إسرائيل لاسيما إذا كان الاقتصاد الإسرائيلى فى بداية قيامها قد شهد نوعاً من الازدهار وذلك بعد سلبها وإحتلالها ٧٨٪ من الأراضى الفلسطينية عام ١٩٤٨ م ومصادرة كل ماتركه العرب خلفهم من بيوت ومزارع ومصانع ومحلات تجارية وأنه رغم استيعابها فى الاقتصاد الإسرائيلى ثم مصادرة المزيد من الأراضى والملكيات فى الضفة الغربية وغزة والجولان بعد حرب ١٩٦٧ م واستغلال مصادر النفط المصرية فى سيناء وما انهار عليها من معونات أمريكية وصلت إلى ٥٨ مليار دولار وتعويضات ألمانية وصلت إلى أكثر من ٥٠ مليار مارك ألمانى غير التسهيلات الائتمانية

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

لاستيعاب المهاجرين اليهود وهو ما جعلها تتطور في خلال هذه الفترة ، لكن مع بداية الثمانينات توقف نموها الاقتصادي ولم يستطع معدل نموها أن يتطور .

ومن ثم فقد تكاثرت مشاكل إسرائيل الاقتصادية في خلال السنوات (١٩٩٢ - ١٩٩٥) بسبب زيادة الإنفاق العسكري وبناء قوة عسكرية حيث تجرى إسرائيل بتنفيذ برنامج خطتها (جوما) في إطار مشاركتها الولايات المتحدة في برنامج حرب النجوم واتفاقيات التعاون الاستراتيجي بين البلدين وارتباط برنامج إسرائيل لإطلاق أقمار الصناعية في الفضاء وأقمار التجسس الإسرائيلية وذلك لبناء ترسانة وقوة عسكرية ضخمة حديثة العتاد وبسبب زيادة بناء المستوطنات ، إضافة إلى ارتفاع معدلات البطالة وتدنى الحركة التعاونية من « الكابوتيتات » معنى هذا أنه بالرغم من المعونات المالية الضخمة التي تحصل عليها إسرائيل من الخارج فإن مشاكلها المتراكمة لا يمكن أن تجد لها حل إلا من خلال شرق أوسط جديد أو من خلال سوق شرق أوسطية مشتركة لكي تستطيع أن تتغلب على مشاكلها وكسر الطوق العربي وإلغاء المقاطعة العربية ، لكن العرب سوف يكونوا متيقظين لمواجهة هذه الأفكار لاسيما أن إسرائيل ستكون أخطر منافس للعرب بعد السلام في الشرق العربي ، وذلك هو التحدي الأكبر وأن مواجهة العرب الحضارية لإسرائيل على مختلف مساحات التحدي هي في قوة مقاومتهم وتكاملهم في أي عمل مشترك . لأن ذلك أصبح واجباً بل فرضاً أن نعمل على إزاحة كل ما يهدد مستقبل الشعب العربي ؛ لأن التعاون والتكاتف واليقظة هي الطريق لسد الثغرات التي تحاول أن تدخل منها إسرائيل ، ولابد من استغلال العوامل التي تساعد على التفكك والانحيار الإسرائيلي فإن ذلك لا يمكن إلا من خلال سوق عربية مشتركة سداً مانعاً أمام السوق الشرق الأوسطية تجاه إسرائيل .

أنه مما ساعد على انفجار إسرائيل من الداخل أن اليهود ليسوا قومية ولا هم شعب أو أمة بل مجرد طائفة دينية تتألف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس ومن ناحية أخرى فلا علاقة لهم جنسياً أو أنثروبولوجياً بفلسطين وهم أجانب غرباء عنها دخلاء إن يهود إسرائيل حاليًا صلة لهم بيهود التوراة الذين اختفوا كالشبح ومن هنا يسقط كل ادعاء بأرض فلسطين ذلك ؛ لأن الأنثروبولوجيا تبدد أي أساس جنسي أو حق تاريخي لهم في فلسطين كما يزعمون . وأن يهود اليوم ليسوا من بنى إسرائيل وأن هؤلاء شيء ويهود التوراة شيء آخر أنثروبولوجياً ولا رابطة بين يهود القرن العشرين والحادي والعشرين ويهود التوراة إلا في الدين اليهودي فقط .

وأن يهود فلسطين اليوم (١٩٩٦) أورييون سلاف أو أورييون أكثر منهم سامين وأنه ليس هناك أدنى صلة جسمية أو جنسية بين يهود اليوم ويهود التوراة بل إن يهود التوراة والشتات الأصلاء قد ذابوا وانصهروا وضاعوا في محيط المهجر كقطرة في بحر وأن يهود العالم اليوم في سوادهم الأعظم هو أجنب متجولون أكثر منهم يهود متجولين ولقد قام عالم بريطاني أنثربولوجي هو (جيمس فنتتون) ببحث أثبت فيه أن ٩٥٪ من يهود إسرائيل ليسوا من بنى إسرائيل التوراة وأنهم أجنب اعتنقوا اليهودية عقيدة لهم . وأن اليهود في فلسطين عبارة عن مجموعة عشوائية gnb-bag توحد بينها رابطة الدين بلا تماسك بيولوجي أو جنسي أو جيني أو سلالى وذلك بناء على رأى (لومبروزو) Lombroso بقوله : إن اليهود جنسياً آريون أكثر منهم ساميين أو يفسر آخر أنهم أورييون يهوداً أكثر منهم يهوداً بأوروبا أو غيرها فإن كل سكان إسرائيل الحاليين يختلفون عن بعضهم البعض في النمط الجسمي .

لذا فإن إسرائيل لا بد أن تنفجر داخلياً ويكون لها نهاية ذلك ؛ لأن الفكرة الجذرية في خلق واغتصاب إسرائيل لأرض فلسطين لم يكن في النهاية إلا فكرة (الجيتو) ، ذلك لأن الجيتو دولة أو هي دولة الجيتو ولكن كما ذاب الجيتو من الخارج لن يمضى وقت طويل حتى يذوب ويزول جيتو إسرائيل إلى الأبد ويتأكد ذلك لا محالة مستقبلاً ولن يجدى صراخ الصهيونية في الانفجار داخلياً عندما يتأكد انحراف شعارات الصهيونية التى سلبت فلسطين من أهلها ، ولن يكون موقف الولايات المتحدة وأوروبا الغربية إلا موقف المتفرج عندما تتغير موازين القوى العالمية ولن تفلح دعاوى الصهيونية التى تحاول أن تجعل من اليهودية العالمية شعباً وقومية وأمة بل جنساً مستقلاً وليس مجرد طائفة دينية تجمع من شتات الشعوب والقوميات والأمم والأجناس إنما لا تزيف التاريخ فقط بل أنها تقاوم حركة التاريخ وتطوره وأنها تسعى إلى تجميد التطور الإنسانى وإعادة حركة التاريخ للوراء وراء هرطقات وأفكار بالية لن يكون لها وجود في مفهوم القرن الحادى والعشرين حيث سيسعى العرب للحصول على حقوقهم الضائعة في فلسطين بأى شكل من الأشكال .

ويشير سفر (خرافياىل) أن يهود فلسطين التوراة تخلطوا في عقر دارهم مع جيرانهم من الفلسطينيين والثابت أن التحول والاختلاط كانا من المظاهر المتفشية قبل العصر المسيحى مباشرة وفي قرونه الأولى وهذا بالدقة ما حدث مراراً وتكراراً ؛ لأن اليهود قاموا بكثير من التبشير عبر قرون طويلة بين الأجناس بدليل تهود كثير من الهنود الحمر والزنج في أمريكا الوسطى والجنوبية واتخذوا اليهودية ديناً لهم ولا علاقة لهم جنسياً ودموياً باليهود أصلاً والأدلة التاريخية

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

تشير إلى أدنى حق لليهود في فلسطين وقد تشعبت اليهودية بين شعوب العالم المختلفة سواء من الوثنية أو المسيحية وهذه حالات معروفة تاريخيًا كحالة الخزر حول بحر قزوين والفلاشة في الحبشة واليهود التاميل في الهند وغيرهم من اليهود الكثيرين الذين هم أصلاً من داخل هذه الشعوب وليسوا من يهود التوراة الذين انقضوا نهائياً ولم يبق منهم حالياً إلا قرابة مائة أو مائتين فرد يعيشون في قرية من قرى نابلس ويعرفون بالسومرين ولا يوجد مجتمع يهودي في أى دولة من دول العالم أفلت من الاختلاط الجيولوجي مع غيره من الشعوب التي عاش فيها منذ المراحل الأولى لنشأة اليهودية والشتات .

ويذكر جولييان هكسلي Julian Huxley وهادون Haddon وكارسونداز في كتابهم نحن الأوروبيين We Europeans قولهم : إن اليهود لا يمكن أن يصنفوا لا كأمة ولا حتى كوحدة أنثروبولوجية بل بالأحرى هم مجموعة دينية تنتمي إلى الجنس الأرمني (أرمينيا) فإنهم بالتأكيد يحملون كثيراً من الصفات الأرمنية وتقاربهم مع الخزر وأنهم من أصول متنوعة ولا توجد بينهم وحدة طبيعية ونفسية وحضارية وما هم بوحدة جنسية ولا وطنية ولا لغوية وأنهم ليسوا إلا مجموعة معزولة حضارية Group Culural Isolate . وأن القول بوحدة جنسية بين اليهود ككل لا محل له من حقيقة أو علم على الإطلاق ، وأن الوحدة البشرية خرافة من خرافات اليهود كما يقول (رابلي Ripley) فثمة اليهود السود (الفلاشة في الحبشة) وجنوب الصحراء الكبرى ويهود الهند الملونين والصفري في التركستان وأواسط آسيا واليهود الشقري في أوروبا وأن بين هؤلاء الأجناس تفاوت كبير في الدم وأن كل هذه الأجناس ليس بينها أدنى صلة عرقية أو سلالية أو جنسية مع اليهود السامريين الذين لا يزيد عددهم عن مائتين فرد والذين هم أصلاً لهم حق في سكنى فلسطين حالياً .

وليس هناك ثمة فارق بين اليهود والمسيحيين في روسيا وبولندا وكذلك بين يهود التركستان وذلك دليل على الاختلاط الجنسي وامتزاج الدماء . وأن يهود التوراة الساميين القدامى سكان فلسطين كانوا طوال الرءوس ولا يوجد بين يهود اليوم طوال الرءوس وهذا يؤكد اختلاط الدم اليهودي بعناصر متعددة في شتى أنحاء العالم وينفى حق السكنى في فلسطين لأنهم ليسوا من يهود التوراة وأنهم تهجنوا صنعياً لا وراثية بيولوجية ، وأمامنا ظاهرة معاصرة تعيش في إسرائيل حالياً وهي ظاهرة يهود الفلاشا Falasha والذين كانوا يعيشون في شمال الحبشة قبل استجلابهم إلى فلسطين وهؤلاء ليسوا إلا عناصر متزوجة Negroid ويتكلمون لغة الأجادو الكوشية القديمة وكذلك بعض اليهود الأفريقيين الدجاتون Daggatuns في جنوب

(الفصل السابع)

الصحراء الكبرى وكذلك يهود التاميل في إقليم (كوتشين) جنوب غرب الهند وكذلك اليهود السود في أمريكا اللاتينية والجنوبية وهم من الخلاسين الذين جلبوا من أفريقيا واعتنقوا اليهودية عند اختلاطهم بيهود مهاجرين ، ومن المعروف عن اليهودي أنه قصير القامة إن لم يكن كالقزم أحياناً (إسحق شامير) كممثل لليهودي .

ونقول كذلك : إن هناك اتفاق تام بين علماء الأنثروبولوجيا على أن يهود عصر التوراة في فلسطين كانوا مجموعة سامية انقرضت منذ عصور طويلة ولا يوجد أدنى علاقة بين يهود التوراة ويهود اليوم وأن المعاصرين اليوم هم نتاج تحول غريب بالاختلاط والانصهار والتزاوج بشتى عناصر متعددة مختلفة لأصولها وأنهم اختلطوا مع كل عناصر العالم وأن ما يجمعهم فقط هو الدين اليهودي (قصة الطفل الكويتي الذي تبنته أسرة يهودية في إنجلترا) صحيفة التايمز اللندنية (٤ / ٦ / ١٩٩٥ م) نموذج على ما يقوم به اليهود من الدعوة لليهودية والرغبة في زيادة أعدادهم في العصر الحديث بعد أن نجحوا في إقامة دولة لهم على حساب الحق الفلسطيني .

ومن هنا نؤكد ونكرر أكثر من مرة أن الأيام القادمة سوف تثبت أن إسرائيل لن تكون إلا مجرد مرحلة زمنية بل رحلة في عمر الزمان لن يطول لها المقام بل مرحلة شتات تجمعى في فلسطين شأن الشتات التاريخي وأن وجود إسرائيل في الشرق العربي والإسلامي لن يكون إلا جملة اعتراضية في تاريخ هذه المنطقة بل ومضة عابرة ونقطة سوداء في تاريخ فلسطين ولكن بطول الزمان حتى يكون الخروج الأكبر والجديد من فلسطين ذلك ؛ لأن إسرائيل ظلت حتى اليوم لاتتحمل خسارة معركة واحدة ؛ لأن معنى هذا زوال إسرائيل الدولة وبحوها من خريطة المنطقة بل وخريطة العالم وظل العرب كما هم يتحملون خسارة الحروب السابقة (١٩٤٨-١٩٥٦-١٩٦٧م) ليقفوا على أرجلهم بعد كل هزيمة (العمق التاريخي والصلابة والقدرة العربية على تحمل الصعاب) ليواصلوا القتال من جديد حتى أنهم أفقدوا إسرائيل حلمها العريض في قيام إسرائيل الكبرى باستخدام القوة وأوصلوها إلى النقطة الحرجة التي انتقلت فيها من استراتيجية الهجوم التوسعي إلى استراتيجية الدفاع الوقائي أى أجبروها على أن تتراجع عن استراتيجية اختراق الحدود للتوسع (١١-٢٧ أبريل ١٩٩٦م) والهجوم على لبنان لمحاربة (حزب الله) والاضطرار للعودة من حيث قدموا ، ومن ثم اضطرت إلى البقاء داخل الحدود حفاظاً على الوجود ومن ثم فإن الصراع العربي الإسرائيلي سوف ينتقل إلى عوامل القدرة ، والقدرة هي مجموع قوى الدولة من رأس مال ومساحة أرضية وقوة بشرية وإنتاج وتصدير ونفط وغاز ومياه وسوق عربية مشتركة وقوة عسكرية ، وإسرائيل لاتملك كل هذه

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

العناصر ومن ثم فإنه في حالة عدم توحيد العرب فإن إسرائيل سوف تحاول الحصول على المصادر الأخرى التي تنتقدها ؛ لأنها لا تملك إلا القوة العسكرية ورغم إحرازها الكثير من التقدم في العديد من المجالات المختلفة فإن ذلك لا يمكن له بدون التعاون الاقتصادي والسوق الشرق أوسطية والعلاقات ، وفي حالة نجاح العرب في حصارها فلن يكون أمامها أية قوة وتكون عاجزة عن فرض الوجود والبقاء أبد الدهر الذي هو في أيدي العرب ومن ثم تكون إسرائيل إلى زوال في ظل توحيد العرب .

إن كل هذه العوامل سوف تساعد على زوال إسرائيل وانفجارها داخليًا إن لم يكن خارجيًا وكل هذا يعتمد في المقام الأول على الدور الذي يستطيع العرب أن يلعبوه في مواجهة التحدي ولقد كانت دعوة مؤتمر دمشق الذي عقد بين الرئيس حسنى مبارك وحافظ الأسد والأمير عبد الله عبد العزيز ولي عهد المملكة السعودية وما نجم عن عقد مؤتمر قمة عربى يعقد في القاهرة في الفترة بين ٢١-٢٣ يونيو ١٩٩٦ تحضره عشرين دولة عربية لتقرير خطة المواجهة للمرحلة القادمة مع مواجهة (لآت) بنيامين نتانيا هو رئيس وزراء إسرائيل الجديد والقدرة على وحدة الصف العربى تحركًا لمرحلة قادمة يستطيع فيها العرب أن يحققوا أهدافهم فى استرداد الحق السليب فى فلسطين ذلك لأن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين تتعارض مع مبادئ الدين الموسوى .

إنه رغم الخط الذى تنتهجه الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عامة من توجس خيفة من نهضة العرب بقيادة مصر ومن ثم فليس النفط والموارد الطبيعية وإسرائيل وحدهما اللذان يحددان مسار السياسة الغربية الأوروبية الأمريكية إزاء العرب ومصر ولكن هناك هواجس التاريخ والعمق الحضارى والحس بالدور العربى والجغرافيا والاستراتيجية التى تجعل أمريكا والغرب يتوجس خيفة مرة أخرى من القومية العربية (مؤتمر القمة العربى بالقاهرة ٢١-٢٣ يونيو ١٩٩٦ م) بل الأخرى الخوف من الإسلام والعروبة ولذا تبدو العوامل الأربع العروبة والإسلام وإسرائيل والنفط بمثابة حوائط عازلة نسبيًا بين الغرب والولايات المتحدة والعرب ومصر .

ومن هنا وقفت الولايات المتحدة منذ منتصف الأربعينيات من هذا القرن موقف مناهض للأمانى العربية القومية على طول الخط منحازة إلى جانب إسرائيل والصهيونية ولكن

الفصل السابع

كل هذا لن يكون في نهاية الأمر إلا مرحلة من مراحل التاريخ التي تعود فيها الأمور إلى مسارها الطبيعي ؛ لأن وجود إسرائيل في المنطقة العربية الإسلامية ضد مسار التاريخ الطبيعي ولأن وجودها على عكس حركة التاريخ الطبيعي والتاريخ يتحرك للأمام ولن يكون وجود إسرائيل الا ضد طبيعة الأشياء وهو الاغتصاب الذي لا محالة إلى زوال .

ولقد سبق أن قال هنرى كيسنجر اليهودى العقيدة الألمانى الأصل ووزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق قولته المشهورة (إن كل الحروب تبدأ من حالة سلام) وهذا القول يناسب جدًا الوضع القائم في الشرق الأوسط الذى شهد تاريخه حالات لا تحصى من تمزيق معاهدات صداقة وسلام كانت مبرمة بين الدول بعضها البعض ولم تمنع من نشوب حرب .

إننا إذا كنا نعيش جيل (الصابرا) المولود في إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ - ١٩٩٦ م بعد أن قرب الجيل القديم الذى أقام إسرائيل أن يترك مقاليد الأمور للجيل الجديد (بنيامين نتانياهو) رئيس وزراء إسرائيل الحالى وزعيم حزب الليكود (٤٧ سنة) والادعاءات الباطلة باسم شعب الله المختار والشعب اليهودى الواحد فإن كل ذلك يطله التاريخ والأحداث الحالية؛ ذلك لأنه لا يوجد على الأرض أمة تنحدر جميع أفرادها من أصل واحد ويتحدون في الدم بل أنه من المستحيل وجود أمة شبه خالصة أو نقية الدم بسبب كثرة الهجرة والاختلاط وتداخل الأجناس في مختلف أدوار التاريخ فما بالناس يهود شتات كل العالم ، ومن هنا فإنه يمكن القول بكل تأكيد أن وحدة الجنس في إسرائيل ليست إلا قولاً باطلاً لا سند جنسى أو أنثروبولوجى أو جنسى أو جينى بل هو وهم من الأوهام الكبرى المضللة التى لا تستند إلى أية أدلة أو براهين علمية وعلى هذا الأساس يمكن أن نرفض يهودية وحدة الجنس اليهودى كأساس من أسس بناء أو مقومات الدولة اليهودية . إنما وحدة الدين هى التى تشكل الدولة ، لأن الأخذ بفكرة الجنس السامى الواحد نوع من الخيال الذى لا يقف مع الوقائع التاريخية والحقائق العلمية .

وأن فكرة الدين اليهودى في إقامة إسرائيل إسراف مبالغ فيه ؛ لأن الوحدة الدينية لم تعد دعامة أساسية في بناء الدولة لأن العقيدة في هذا العصر الحديث أصبحت شيئاً شخصياً يتعلق بمصير الإنسان فكل فرد أن يعتنق ما يشاء من الأديان السماوية وإسرائيل هى الدولة الوحيدة على الأرض التى تتكون من مواطنين يدينون جميعاً بدين واحد (يوجد حوالى مليون عربى

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

إسرائيل قبل ١٩٤٨ يدينون بالإسلام والمسيحية) ذلك لأن الدين شيء بعيد عن أن يكون بمفرده أساساً لتكوين دولة في العصر الحديث .

لكن كيفية المواجهة المستقبلية مع إسرائيل في مرحلة التحديات والقرن الحادي والعشرين وفي ذلك يقول الدكتور فوزي حماد رئيس مؤسسة الطاقة الذرية السابق إن الصراع العربي الإسرائيلي قد حسم حين لم يوجد رد فعل عربي على إنشاء مفاعل ديمونة عام ١٩٥٦م وما يحدث الآن هو تداعيات لهزيمة وقعت وهي هزيمة تكنولوجية وأن مراحل بناء القوة الإسرائيلية هي قوة علمية تكنولوجية من الأساس والأمن القوى الإسرائيلي هو أن التقدم العلمي والتكنولوجي هما مصدر قوة إسرائيل وفي خلال الأربع أعوام الماضية ومنذ مؤتمر مدريد (١٩٩٢-١٩٩٦م) فإن إسرائيل نقلت نشاطها العلمي إلى كل المجتمع الإسرائيلي حيث تم بناء قاعدة تكنولوجية رفيعة المستوى فارتفعت صادرات إسرائيل من ٤,٥ مليار دولار إلى ٩ مليار دولار ، إن إسرائيل تتدعم باستمرار ، لقد وصل إلى إسرائيل ما يزيد عن سبعمائة ألف روسي يهودي من بينهم مابين خمسة إلى سبعة آلاف عالم روسي حاصلين على الدكتوراة منهم أربعين عالم ذرة على مستوى رفيع من الخبرة ، لذا فإن المواجهة مستقبلاً مع إسرائيل لن تكون إلا بالاهتمام بالمراكز العلمية والبحثية وقدرة العرب جميعاً على بناء قاعدة علمية تكنولوجية متطورة ومتقدمة وذلك لقدرة الأمة العربية والإسلامية على مواجهة التحدي الخطير ؛ لأننا تواجه قوة إقليمية مهيمنة على المنطقة حالياً فهل يكون العرب قادرين على مواجهة التحدي وتحقيق الهدف الأسمى في أن تكون فلسطين من البحر الأبيض المتوسط إلى نهر الأردن ، إن بقاء إسرائيل إهانة بالغة للأمة العربية .

إن العنصرية تهدد المجتمع الإسرائيلي بالزوال بسبب التفرقة والانقسام بين يهود إسرائيل الشرقيين السفارديم واليهود الغربيين الأشكناز ، فيقول مواطن يهودي شرقي لإذاعة لندن مساء السبت ٢٢/٦/١٩٩٦م أنا ولدت في إسرائيل عام ١٩٥٢م وألاحظ أن الفوارق كبيرة بين اليهود الشرقيين والأوروبيين والعنصرية ظاهرة جدّاً ، الأوروبيون يشكلون القوة والإدارة وقيادة الجيش والحكم والشرقيون يعاملون كيهود من الدرجة الثالثة والشرقية أكثر الفرق اليهودية استياء ، اليهود الروس سبعمائة ألف نسمة استطاع تنظيمهم أن يفوز بسبع مقاعد في انتخابات إسرائيل الأخيرة ، بينما الشرقيون اليهود عاملهم حزب العمل بطريقة عنصرية .

ويقول يهودى شرقى يدعى (يرون ازراهى) أنه فى الانتخابات الأخيرة صوت ٧٠٪ من اليهود الشرقيين لصالح نتانياهو كذلك صوت ٩٠٪ من اليهود المتدينين لصالح نتانياهو . وكل ذلك سوف يساعد على المدى البعيد بتفكك المجتمع الإسرائيلى لاسيما أن كل هذه العناصر ستكون سالبة فى غير صالح المجتمع الإسرائيلى ، كذلك فإن إسرائيل لم تعد لها مزاياها التى كانت تعتمد عليها أمريكا فى مقاومة الشيوعية التى لم تعد لها وجود بعد انهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١ م ، واتخاذ دولة النهج الديمقراطى للسير إلى الغرب ، كذلك لم تعد تحمى آبار البترول العربية بعد انتشار القوات الأمريكية فى هذه الأقطار ، كما أن السلام الشامل فى المنطقة تجعل اليهود فى شتى أنحاء العالم لا يحسون بالخطر على إسرائيل وهذا يفقد الصلة القومية بين الطوائف اليهودية فى شتى أنحاء العالم ، وإسرائيل التى ستفقد العون المادى والمعنوى والهجرة إلى إسرائيل حيث أن إسرائيل لم تعد البلد المثالى لليهود لذلك فمن المتوقع أن يهجروا الكثيرون إلى أمريكا وأوروبا وكل هذه الأمور سوف تساعد على انهيار إسرائيل من الداخل .

إسرائيل والانفجار من الخارج (هل تكون حرب عربية إسرائيلية أخرى)

الفصل الثامن

إسرائيل تسعى حاليًا لكي تمتد جسورها إلى دول الشرق العربي وإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية باعتبار أنها عضو شرعي معترف به من الدول العربية المجاورة وغير المجاورة لاسيما الانطلاق الإسرائيلي الواسع إلى دول العالم الإسلامي بعد توقيع اتفاق واشنطن بين العرب الفلسطينيين وبين إسرائيل عام ١٩٩٣م لكي تضع لبنات وجودها في المجتمع العربي الإسلامي ناسية دور الحركة التاريخية التي تعيد الحق لأصحابه الشرعيين رغم الفكرة الاستيطانية ، وهنا نعالج درسين من دروس الماضي انتقالات إلى مرحلة مستقبلية ؛ ذلك لأن أخطاء الماضي ساعدت على قيام إسرائيل وهو ما يتداركه العرب وأخوانهم المسلمون .

إن العرب في صراعهم السابق مع إسرائيل (١٩٤٨ - ١٩٧٣م) لم يأخذوا البعد الإسلامي منطلقًا لإعادة الحق لأصحابه الشرعيين لكن البعد كان عربيًا قوميًا وذلك أفقد الصراع بعدًا يزيد في قوتها ذلك ؛ لأن فلسطين جزء من صميم أرض الرسالة في الإسلام ؛ ذلك لأن مهد الإسلام يمتد كمحور طولي من الحجاز وفلسطين وكل من هذين القطبين الشمالي والجنوبي هو بحق عاصمة الإسلام دينيًا (مكة المكرمة والقدس) إن مكانة فلسطين في العالم تتلخص ببساطة وبها فيه الكفاية من أنها منطقة النواة وقدس الأقداس فيه أرضًا ودينا (الإسراء

(الفصل الثامن)

والمعراج) ومن هنا فإن الصهيونية هي استعمار ديني طائفي فكان لابد أن تواجه بوزاع ديني وفكر إسلامي ديني ، وإن كان الفكر الديني في الصراع لم يستطع العرب استخدامه وإن كانت الفكرة الدينية في القضية الفلسطينية أخذت بعدًا جديدًا بعد الثورة الإسلامية الإيرانية (١٩٧٩م) وتدخلها المباشر في الحرب الدائرة في جنوب لبنان ومساندة حزب الله اللبناني بالمال والسلاح والتدريب والتأييد حتى هذه اللحظة .

والمعروف إن الدول الإسلامية تحركت عام ١٩٣١م لمساندة عرب فلسطين في الحفاظ على عربيتهم وعدم تمكن إسرائيل لبناء دولتها لاسيما بعد أن قام وفد فلسطيني بجولة استمرت سبعة أشهر طاف خلالها بالعراق وإيران وأفغانستان وبلوختستان والهند واجتمع بزعماء المسلمين ، لكن الحكومة البريطانية عرقلت هذه المساعي وكانت تقف وراء عدم جعل القضية الفلسطينية قضية إسلامية وحصرها في نطاق العرب للعمل على تمكين قيام إسرائيل .

ونقول بكل وضوح تصحيحًا لأخطاء الماضي : إنه إذا كانت الجهود الفلسطينية والعربية والإسلامية التي حاولت أن تتجمع في بداية الثلاثينات من هذا القرن ووضعت أفكارها حيز التنفيذ وقيام حركات إسلامية عربية لاستطاعت هذه الأفكار على الأقل عرقلة المشروع الصهيوني لإنشاء إسرائيل ، ولتغير وجه التاريخ في فلسطين ربما لفترات أطول ، ولكان القرار العربي الإسلامي قادرًا على اتخاذ الموقف الإيجابي القادر على مواجهة مخطط تهويد فلسطين ، ولنا في ذلك عبرة منذ أحداث عام ١٩٧٥م عندما ظهرت فكرة تنظيم مسيرة إسلامية إلى مدينة القدس لاسيما بعد عقد مؤتمر بشأن القدس في المغرب في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي حيث طرح تصور تنظيم مسيرة إسلامية تجمع ما بين اثنين مليون مسلم أو أكثر ليعبروا نهر الأردن في مسيرة شعبية يواكبها في الوقت نفسه إعلان عشرة أو أكثر من رؤساء الدول الإسلامية عزمهم على دخول القدس برًا أو جواً في يوم محدد تخطر به الأمم المتحدة ، ويتم ذلك بتنسيق كامل مع الأردن ومصر والمغرب والسعودية وباكستان وإيران ، وأن توضع خطة العمل والتجمع والتحرك قبل إقامته .

وفي ذلك لقد رحب بعض رؤساء الدول الإسلامية بهذه الفكرة ترحيب يدعو إلى الطمأنينة بقوة العزيمة الإسلامية والإيمان بالحق العربي الإسلامي في فلسطين ويكفي الإشارة إلى أن (الزعيم علي بوتو رئيس وزراء باكستان في ذلك الوقت ووالد بنظير بوتو رئيس وزراء

(إسرائيل والانفجار من الفار)

باكستان الحالية) قد صرح بأن باكستان يمكنها أن تقدم في سبيل الوصول إلى القدس ثلاثة ملايين متطوع ومليون شهيد إذا اقتضى الأمر .

ولقد حال دون إتمام هذه المسيرة عدم الإجماع العربى والإسلامى بشأنها وهكذا كانت التدخلات البريطانية في أوائل الثلاثينات (١٩٣١م) عاملاً قوياً في عدم اتخاذ البعد الإسلامى منطلقاً لمواجهة المخطط الصهيونى لابتلاع فلسطين وكذلك كان التدخل الأمريكى عام ١٩٧٦م بعدم القدرة على تحريك المسيرة الإسلامية نحو القدس وهكذا تمكنت الصهيونية من تنفيذ أحلامها في سلب فلسطين ، هذا خطأ قاتل لم ينجح فيه العرب والمسلمون في عرقلة المشروع الصهيونى .

وجاء الخطأ الثانى أنه عندما دخلت الجيوش العربية متفرقة إلى فلسطين عام ١٩٤٨م دون حدوث أدنى تعاون أو خطة قتال مدروسة أو متعاونة مما أتاح لليهود أن يحرزوا انتصارات وأن يحققوا هدفهم في إقامة إسرائيل وتم توقيع الهدنة عام ١٩٤٩ ، وبعد ذلك قام الملك عبد الله ابن الحسين ملك شرق الأردن بضم الضفة الغربية الفلسطينية للأردن وإعلان المملكة الأردنية الهاشمية وكذلك قامت مصر في عهد الحكم الملكى بوضع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية كان ذلك خطأ تاريخياً قاتلاً لم ينتبه العرب إليه حتى الآن ؛ ذلك لأنه كان الواجب العربى يحتم أن تقام دولة فلسطين في تلك المناطق منذ عام ١٩٤٩م وليس حكم ذاتى عام ١٩٩٣م (تصور كم عاماً أضاعها الحكام العرب على عرب فلسطين ، أربعة وأربعين عامًا) كانت الأمور فيها قد تغيرت وكانت لابد أن القوى العربية قادرة على إيصال الضفة الغربية مع غزة بشريط أرضى يمكن قيام دولة فلسطين على الأرض التى كانت تحت السيادة الأردنية والمصرية ، ولكن عامل الوصاية على الشعب الفلسطينى آخر القضية لهذه الأعوام الطويلة ولو أنه تمكن الشعب الفلسطينى من إدارة شئونه بنفسه لتغير وجه التاريخ في هذه المنطقة على الإطلاق وكان ما يسعى الفلسطينيون الحصول عليه عام ١٩٩٦م قد تحقق عام ١٩٤٩م .

أفضل هنا في هذا التحليل الذى ربما يكون خاطئاً أو خيالياً من وجهة نظر العديد الذين يرون أن إسرائيل أمراً واقعاً وأن إسرائيل وجدت لتبقى أبد الدهر وأن اتفاقيات السلام تجعلها عضواً معترفاً به في العالم العربى والإسلامى . لكن قيام منظمة التحرير الفلسطينية بعقد صلح

الفصل الثامن

« أسلو » في النرويج ثم التوقيع على اتفاقية السلام في واشنطن عام ١٩٩٣م وكذلك قيام سلطة الحكم الذاتى في غزة وأريحا أولاً ثم بعض أجزاء من الضفة الغربية في ظل ظروف تحكم إسرائيلية قاسية جداً إلا أن ذلك يشكل بادرة أمل في المدى البعيد ذلك ؛ لأن حلم الفلسطينيين ليسوا من الذين يشكلون نظام الإدارة الحالية . لكن فكرة المستقبل في أن دولة فلسطين الديمقراطية لا بد أن تمتد من النهر إلى البحر لكن هذا الشعار لا يرفع حالياً إن سلطة الحكم الذاتى في بعض أجزاء فلسطين لا زالت وليدة والوليد لا بد أن يحتاج إلى رعاية وحماية وتحصين وإعطاء جرعات دوائية لحمايته وأنه عندما يشب عن الطوق ويصل إلى مرحلة الرشد فإن ذلك سوف يكون منطلقاً جديداً للدولة أدركت أنها وصلت إلى مرحلة الشباب والقوة ؛ لأن الشباب قوة وأنه لن يمضى بعيداً على قيام الدولة الفلسطينية التى ستكون عاصمتها القدس الشريفة وإلا يجد الإنسان نفسه أمام حقائق لا يمكن إغفالها إن شرطة الحكم الذاتى الفلسطينى منزوعة السلاح وأنها دولة بلا جيش ولا وزارة خارجية ولا تنظيم دبلوماسى يعطيها حق الدولة المستقلة الكاملة .

ونحن أنفسنا هنا نعود إلى ابن خلدون في مقدمة الفصل الرابع عشر بعنوان (في أن الدولة لها أعمار طبيعية كالأشخاص) ونقول في ذلك : إن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال ، والجيل يتكون من أربعين عاماً ، الذى هو إنهاء النمو والنشوء إلى غايته ، وأنه بالنسبة لبني إسرائيل في حكمة التبة في صحراء سيناء ، والمقصود بالأربعين عاماً فيه فناء الجيل إحياء ونشأة جيل آخر ، وهكذا فإنه في خلال ثلاثة أجيال يكون هزم الدولة (الهزم - الكبر) (الشيخوخة) ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع ، ولهذا يجرى على ألسنة الناس أن عمر الدولة مائة سنة ، ومن هنا فإن السلطة الوطنية الفلسطينية التى تسعى حالياً في ظل ظروف سياسة وتحكم إسرائيل في مقدرات هذه السلطة لا بد أن تجد متنفساً بعد مرحلة تاريخية قادمة لاسيما أن الشعب الفلسطينى الذى عانى كثيراً في ظل الاحتلال والتشرد والإبادة والمعاملة غير الإنسانية سوف يجد نفسه في وقت من الأوقات في صورة قوية وهو الشعب الصابر المصابير الذكى المتعلم الذى أفزع دول العالم بأطفال الحجارة والانتفاضة وتسليم إسرائيل بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية فإنه لقادر كل القدرة مهما تكن الضمانات والمواثيق الدولية التى وضعها ياسر عرفات فإن عرفات لن يدوم والخط السياسى ليس خطأ

(إسرائيل والانفجار من الذم)

ثابتاً فالدول تتغير سياستها برؤية الحكام ولا سيما أنه في المدى القريب (ربع أو نصف قرن) سوف يكون البعد الفلسطيني في إدارة دولته قد حقق تقدماً كبيراً ولا شك أن الموازين الدولية سوف تتغير لغير صالح الولايات المتحدة وغرب أوروبا السند الأوحى للكيان الإسرائيلي .

إن التوازن بين آسيا والغرب سوف يجعل الحركة الفلسطينية المستقبلية قادرة على أن تجد فكرة إقامة فلسطين الديمقراطية العلمانية طريقها إلى التنفيذ وأنه ببساطة وموضوعية فإن الدولة الفلسطينية سوف تكون القشة التي تقصم ظهر البعير .

إن إسرائيل تسودها حالة من الفزع والخوف فلم يعد الإسرائيليون يعرفون موعد ومكان الموت القادم هل في القدس أو في تل أبيب أم في عسقلان أم في أى مكان في إسرائيل ، فإسرائيل لاتعرف ماذا تفعل حدث ذلك بعد قيام حركة التفجيرات الانتحارية التي قام بها فلسطينيو حماس في خلال أسبوع واحد أصبح الإسرائيلي يبحث عن أمانه الشخصى المقتول لقد مرت في إسرائيل ثمانية أيام من التفجيرات والجحيم الذى لم يسبق له مثيل في إسرائيل . لقد تحطمت فكرة الإسرائيليين الكاذبة بأن العرب قبلوا السلام بسبب قوة إسرائيل فجاءت موجة الانفجارات لهدم هذا الاعتقاد من أساسه فالقوة لم تأتى بالسلام والسلام القائم على القوة صورة من صور الحرب .

ولكن منطق القوة فكرة خاطئة تسود الذهن الإسرائيلي عن العرب ونعود للموراء بالذاكرة عام ١٩٧٣م ولينظر القارئ العربى إلى صورة الإسرائيليين غداة حرب العاشر من رمضان ١٩٧٣م وانظر صورة وزير خارجية إسرائيل أولاً قبل رئيسة وزراء إسرائيل ووزير دفاعها وماذا فعل « أبا إيبان » وزير خارجية إسرائيل في ذلك الوقت لقد صرخ وزير خارجية إسرائيل عام ١٩٧٣ إن إسرائيل تنتهى ولقد انتهى الاستعلاء والغرور الإسرائيلى وانتهت الاستهانة بكل ماهو عربى (أبا إيبان) وزير خارجية إسرائيل يدخل قاعة الأمم المتحدة مهزولاً وورائه رئيس وفده بالأمم المتحدة (تاكواه) وهو يصيح في رعب إسرائيل تنزف ويطلب في لهفة التدخل من جانب المنظمة الدولية .

من كان يتصور أن يحدث مثل هذا الرعب من جانب من كان يسخر بالأمس من العرب وهو يردد أن اليد الإسرائيلية قد قطعت ، ومن ثم فإننى واثق كل الثقة في المستقبل العربى والفلسطينى ، نعم مستقبلنا العربى الفلسطينى بخير ولا نقبل الانهزامية التى تحاول الأحداث

(إسرائيل إلى زوال ..) (١٣٩)

(الفصل الثامن)

أن تدفعنا إليها دفعاً مهما كانت اتفاقيات السلام ، لكن كيف تحول حلف المعتدين على مشهد من الأمم المتحدة إلى ذعر واستغاثة موجهين نداءهم إلى المنظمة الدولية ومرددين : انقذونا «إسرائيل تنزف ، إسرائيل تنزف» . ولكن سوف تأتي أيام يقال فيها : إن إسرائيل ماتت بالسكتة القلبية .

إن الأحداث كثيرة وذكرها هنا لا يدخل في نطاق الموضوع ولكنها تذكرة فإن الأحداث لا بد أن تتكرر ولن يدوم الحال فدوام الحال من المحال ولكل بداية نهاية ، فالعرب الفلسطينيون يتحركون في الاتجاه السليم على درب الاستقلال وبناء الدولة الفلسطينية ، إن الفلسطينيين ربما يحققون أهدافهم بلا حرب وبلا جنود وبلا دبابات وطائرات وصواريخ إنما حرب المتحررين حرب الأجساد الملتهبة التي تحترق الأجساد ليست كحرب الحدود والصحراء الخالية إلا من العساكر وعتادهم .

لكن ماهي صلة كل هذا برأس الموضوع : انهيار إسرائيل من الخارج ، معنى هذا أنه لا بد أن تحدث صراعات عسكرية خارج حدود دولة إسرائيل سوف ينهي وجودها من خريطة الشرق العربي أو الشرق الإسلامي . ونقول هنا : إن الدولة الفلسطينية إذا لم تستطع أن تحقق هدفها البعيد أو القريب في بناء دولة فلسطينية كاملة على التراب الفلسطيني الكامل من النهر إلى البحر ؛ فإن ذلك إن لم يتحقق عن طريق إذابة اليهود في هذا الكيان لاسيما أن الدولة الفلسطينية حالياً تشكل من ٢ مليون نسمة يضاف إليهم مليون فلسطيني إسرائيلي داخل إسرائيل يكون عددهم حالياً ٣ مليون ضد أربعة ملايين يهودي مع مراعاة نسبة المواليد والتعاطف اليهودي الشرقي وكراهية بعض اليهود لفكرة كيان يهودي صهيوني ومطالبة بعض الجاليات اليهودية بعدم تقديم المال لإسرائيل وانهاء فكرة الهجرة إلى إسرائيل كل هذه العوامل سوف تكون مساعدة على إضعاف إسرائيل مع الوقوف ضد فكرة الشرق أوسطية وقيام السوق العربية المشتركة ، كل ذلك سوف تكون عوامل مساعدة للدولة الفلسطينية كي تدخل بندية مع الكيان الإسرائيلي ، لأن الدولة الفلسطينية لن تقبل بفكرة دولة في الظل بل تكون دولة كاملة متكاملة بها كل مقومات الدولة ، عسكرياً وسياسياً وثقافياً وعلمياً وتطوراً مما يدفع إسرائيل لمحاولة إثارة المشاكل أمام الدولة الفلسطينية مما يستدعي تعاطف بعض الدول العربية أو الإسلامية مع الفلسطينيين في صراعهم مع الجارة إسرائيل لاسيما أنه ليس كل الدول العربية

(إسرائيل والانفجاء من التاريخ)

مهما كانت تطلعاتها نحو السلام على استعداد للاعتراف بإسرائيل وإسرائيل تدرك ذلك رغم المخططات الأمريكية بمحاولة تقليص أظافر هذه الدول (العراق - إيران - ليبيا) .

كذلك فإن إسرائيل التي جبلت على العدوان والاعتصاب والإرهاب والتوسع لن يحقق السلام كل طموحاتها لاسيما أنها مساحة ضيقة من الأرض ولا تملك موارد طبيعية تتيح لها الطموحات التي تريد تحقيقها في بناء دولة واسعة على حساب جيرانها العرب وكذلك قلة مصادر المياه التي سوف تجهد نفسها على المدى البعيد في أمس الحاجة إليها كل هذه العوامل سوف تدفعها مستقبلاً لشن حرب عدوانية أو وقائية على الدولة الفلسطينية عندما تشعر بقدراتها على التعامل معها من منطلق الند وليس دولة تابعة وكل هذه العوامل قد تكون من المسببات لحدوث صدام واسع في الشرق العربي أو الشرق الإسلامي كذلك فإن منطق القوة الذي تسير عليه إسرائيل وتدركه خطأ هو الطريق إلى تركيع العرب لا بد أن يأخذ بعداً مغايراً للفكر الإسرائيلي الذي يتحكم ليس في عامة الشعب بل في القيادة الإسرائيلية لاسيما أننا جميعاً شاهدين وتابعنا وسمعنا شيمون بيريز في مؤتمر صانعي السلام الذي عقد في مدينة شرم الشيخ بسياء مصر في يوم الأربعاء ٢٣ مارس ١٩٩٦ أمام كل القادة يقول بالحرف الواحد إنني أتحدث من منطلق القوة .

فهو لفكر مثل هذا يكون السلام طريقاً للتعايش معه ؛ لأن منطق القوة يتعارض مع السلام ولن تكون إلا استسلام ولكن ماذا فعلت القوة النووية والصواريخ العابرة للقارات مع الاتحاد السوفيتي ، إن الاتحاد السوفيتي سقط وانهار وتصدع دون طلقة واحدة فهل تعتبر إسرائيل بما حدث ، بل إنها لم تأخذ درساً من حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما صرخت جولدماير رئيسة وزراء إسرائيل في هذا الوقت معها وزير دفاعها «موشى ديان» للولايات المتحدة (إن إسرائيل تنهار ، إن إسرائيل في خطر) وما كان إلا أن تم شحن المعدات العسكرية من قواعد في ألمانيا فوراً إلى ميدان القتال في سيناء وأنزلت هذه المعدات في ميناء العريش المصري المحتل في هذا الوقت ، وعندما تم تحطيم دبابة إسرائيلية وجد أنها حركتها لم تزيد عن ١٠٠ كم أي أنها المسافة التي قطعتها من مكان شحنها إلى العريش ثم من العريش إلى ميدان خط القتال غرب القناة ، إن إسرائيل لاتدرك كل هذه الأحداث ومن هنا فلا بد أن تكون جولة أخرى من القتال ، ونقول : إن إسرائيل قاتلت أربع حروب أو خمس حروب وحقت انتصار على الجانب

الفصل الثامن

العربى فى معظمها لكن العرب ظلوا كما هم فى ديارهم وتابعوا حركة النضال ولكن إسرائيل ستظل تحت رحمة هزيمة واحدة وسيصبح موقفها عند ذلك باعثاً على الأسى وغير قابل للإصلاح ولن تكون إلا النهاية وقد حدث هذا فى أكتوبر ١٩٧٢ وسوف يحدث فى المدى القريب أو البعيد ولن تدوم إسرائيل فى أرض عربية مغتصبة ذلك ؛ لأن الأجيال العربية تدرك أن إسرائيل دولة مغتصبة وأن الأراضى التى تقوم عليها هى أراضى عربية منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد وأن المرور الإسرائيلى القديم فى أرض فلسطين لبضع سنوات لا يعطى لها الحق فى اغتصاب هذه الأرض ، بل إن الإسرائيليين القدامى أتباع التوراة قد تنصروا واعتنقوا العقيدة المسيحية ، أو اعتنقوا الإسلام وأن بقاياهم قد ذابت^(١) .

إن الحرب مع إسرائيل قادمة لا محالة إن أجلاً أم عاجلاً طال الزمن أو قصر ، ولكن تكون إسرائيل هى الراححة هذه المرة لأن التوازن النووى والوحدة العربية أو التكامل العربى أو التعاون العربى سوف يكون قد تحقق ولن يكون أمام إسرائيل إلا التعاون فى ظل دولة عربية فلسطينية علمانية تضم الطوائف الثلاثة فى كيان واحد (المسلمين والمسيحيين واليهود) .

إن الفكر الإسرائيلى لن يتغير فكما قال الدكتور أسامة الباز مدير مكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية فى ندوة له بجامعة القاهرة بعنوان : (النظام العالمى الجديد وعلاقات مصر الدولية) بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٩٤ م ، « إن هناك فئات فى المجتمع الإسرائيلى تنظر إلى العرب على اعتبار أنهم حشرات يجب إبادة والقضاء عليها وأن التصورات الإسرائيلية تصورات خلافية ففى إسرائيل جماعات تؤمن بفكرة الحرب الطويلة لسنوات قادمة ورغم الاختلاف فى القضايا فإن اليهود يتماثلون عندما يحسون أن إسرائيل فى خطر وأن الحكام الإسرائيليين كانوا يخيفون الشعب بأى اعتداءات محتملة وبأن الأمن الإسرائيلى فى خطر وأن العرب سوف ينقضون عليهم حتى بعد الحروب التى انتصروا فيها وهذا هو الفكر الإسرائيلى على المدى البعيد » فهل هذا الفكر يعيش فى سلام أم السلام مرحلة مؤقتة لا بد أن تتبعها حرب (إن شيمون بيريز وإسحاق رابين) طالما هددوا بالحرب الوقائية ضد سوريا عندما كانت تتوقف المفاوضات ويرفض الطرف السورى المساومة على الأرض .

(١) راجع جمال حمدان اليهود أنثربولوجيا .

(إسرائيل والانفجار من الداخل)

ومن هنا فإن الذى يتابع الأحداث يدرك أن إسرائيل سوف تنتهى خارجياً إن لم يكن داخلياً وتسوق هذه الحادثة ليدرك القارئ العربى والمسلم وكل من تصل إلى يده هذه الدراسة أن الإسرائيلى عدوانى إستفزازى .

ففى إحدى الاجتماعات الفلسطينية والإسرائيلية قبل أحداث التفجيرات الأربع جلس ضابط إسرائيلى كبير إلى جانب شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل ولاحظ أن رئيس الوزراء نفسه فى مؤتمر صانعى السلام بشرم الشيخ كان يجلس بجواره رئيس الأركان الإسرائيلى والإحساس بالفرح والخوف ، وكان يجلس أمامهما الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وقد جاء خصيصاً لياغت عرفات بسؤال محدد حيث قال الضابط الإسرائيلى لعرفات ما رأيك فى عمليتنا الأخيرة التى قتلنا بها يحيى عياش ؟ لم يضق بيريز من ضابطه فقد استمر على بروده ولكن يبدو أن عرفات قد حيره الرد لا سيما أن الفلسطينيين العاديين يقولون عن هذه العقلية : إنها حيرت الأنبياء فماذا نفعل نحن ! ولم يجد عرفات لسائله سوى رد غامض بالإنجليزية قائلاً (Welcome) وهى بالعامية الفلسطينية أهلاً وسهلاً ، ونقول هنا : إن الإسرائيلى لم يكتف بالقتل للقتيل والمشى فى جنازته إنما يريد إعجاب القتل به ! إن الذى ينظر إلى هذه الصورة التى عليها هذا الضابط الكبير ، يرى صورة عكسية لها بعد حدوث الانفجارات فقد صارت محطات الأتوبيس خاوية إلا من أعداد قليلة تتركب فى حراسة رجال الأمن بعد أن أصبحت لهم أماكن مخصصة داخل الأتوبيسات وعلى كل محطة أتوبيس يقف جنديان ويتم تفتيش الركاب ولا ركوب إلا بعد تفتيش الشرطة ، والجيش والأمن فى كل مكان . وتقوم القوات بحراسة الأماكن الحساسة وأماكن التجمعات الجماهيرية الكبيرة يبحثون عن رائحة الفلسطينى !

موقفان متناقضان : العنجهية والخوف الشديد فى سلوك الإسرائيلى قبل العمليات الانتحارية وبعد مقتل يحيى عياش وقبل حرب ١٩٧٣ وبعدها ، إن هذه الشخصية وتكوينها النفسى لا تستطيع أن تعيش فى سلام ؛ لأنه بطبيعة تكوين عناصر الخزر القديمة التى ينتمى إليها ٩٥٪ من شعب إسرائيل هى طبيعة عدوانية كالمغول فهم من جنس واحد ، لذا فإن الذين ينادون بثقافة السلام ويدخلون فى مناقشات بشأن هذه النقطة يقعون فى خطأ قاتل فإن ثقافة السلام قد تكون من جانب البسطاء السذج الذين لا يدركون مكونات النفسية

(الفصل الثامن)

الإسرائيلية وعقليتها بل أنهم في دعوتهم هذه إنما يعملون على محو ذاكرة العرب بل اغتيال هذه الذاكرة التاريخية لصالح إسرائيل وعلى هذا وبعد هذا العرض فإن الحرب قادمة لا محالة مع إسرائيل طال الزمن أو قصر ، وفي هذه الحالة فلن تكون إلا الطامة الكبرى على إسرائيل بل تكون النهاية ، الموت بالسكتة القلبية ذلك لأن كل نبات طفيلي ظهر شيطانيًا لابد أن يختفى فجأة كالأشباح ، ولن تكون نهاية إسرائيل إلا على تلك الصورة لإسرائيل زائلة لا محالة ، بعد قرن أو قرنين أو ثلاثة قرون ولكنها لن تصل أبد الدهر إلى خمسة قرون ولكن يكون اليهود إلا بقايا في دولة فلسطين ، إن المستقبل دمويًا كما كان الماضي دمويًا ولا يقول بغير ذلك إلا رجل ساذج .

والحقيقة التي لا شك فيها أن الإسلام نفسه هو العقبة الحقيقية في وجه الهيمنة الإسرائيلية فإذا نجحت إسرائيل في تغيير مناهج التعليم في بعض البلاد العربية لكى يتمشى مع رغباتها فلم تنجح في تغيير لفظ أو حرف من القرآن الكريم ولن تنجح في فرض اللغة العبرية ، فالإسلام والقرآن عقبة في بقاء إسرائيل في المنطقة وإسرائيل تحاول أن تلتف حول القضية فتحاول أن تصبغ المنطقة بالصبغة العلمانية الانحلالية وتحاول أن تلتف حول الإسلام بتمزيق الدول العربية الإسلامية وتقسيم المسلمين والعرب أنفسهم وانتزاع الجذور الأصلية التي تضرب في عمق الزمن خمسة آلاف قبل الميلاد والغزو الثقافي والفكرى تحت مسميات مثل ثقافة السلام ، وما ذلك إلا لطمس الهوية العربية الإسلامية ، إن التطبيع الذي تريد أن تكون به جزء من الأمة العربية الإسلامية هو وسيلتها للبقاء ولكن لن تسمح لها الشعوب العربية بالتطبيع إن الشعوب في مصر وسوريا والأردن وفلسطين وكل العالم العربى والإسلامى إلا فئة قليلة لا تريد تطبيعًا مع إسرائيل إن إسرائيل وراء كل المشاكل في المنطقة العربية بل والإسلامية أيضًا ، ذلك لأن السلام هو سلام حكومات ؛ لأن الحكومات في واد والشعوب في وادى آخر ولكن هل حدث استفتاء على اتفاقيات السلام مع إسرائيل بين الشعب المصرى والأردنى والفلسطينى ، إن السلام أسلوب الساسة وأن ذلك شعارًا ترفعه إسرائيل لتخفى ورائه أهدافها الحقيقية في السيطرة على المنطقة ، ولكن كل ذلك لن يغير في طريقة فهم الناس بحقيقة الصراع وما جاء في القرآن عن إسرائيل ولن تستطيع إسرائيل الدخول في قلوب الناس ، إنه رغم الترسانة الذرية

(إسرائيل والانفجار من الخارج)

والتسليح الأمريكي والمليارات التي تتدفق من المراكز الصهيونية من شتى أنحاء العالم فإسرائيل تحلم بالمستحيل فإذا هيمنت على الأرض فلن تستطيع الهيمنة على الناس ، إذا قتلت فرداً فسيولد في العالم العربي والإسلامي عشرة أفراد ، والعالم العربي ٢٧٠ مليون نسمة ، والعالم الإسلامي مليار ومائتين وخمسين مليون نسمة ، إسرائيل سوف تخسر معركتها مع الزمن ، لقد جاء ذلك في القرآن الكريم في سورة الإسراء الآيات ٤ ، ٥ ، ١٠٤ . بزوال إسرائيل وكذلك جاء في الأحاديث النبوية الشريفة « يوم ينطق الحجر فيقول : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » . إن العدو الإسرائيلي سوف ينتهى إلى دمار . إن إسرائيل قامت لتزول وأنها ستموت بالسكته القلبية وستكون نهايتها عاجلاً أم آجلاً نهاية مؤسفة .

إن الرب يقول لبنى إسرائيل في سفر أرمينا بالإصحاح الثالث والعشرين (ها أنذا) أنساكم نسياناً وأرفضكم من أمام وجهى أنتم والمرتبة التى أعطيتكم وآباءكم إياها . إلى آخر العديد من الآيات التوراتية والإنجيلية . فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلم ودفعهم ليد تاهيين حتى طردهم من أمامه . إن التاريخ والكتب السماوية تقول بزوال إسرائيل ، إن إسرائيل بالكبرياء والغطرسة تطفئ النار بالبززين وتتطلع إلى الحياة فوق جثث العرب ، إنهم يسجنون الشعب الفلسطيني كله في سجن الاحتلال والغطرسة لكن إسرائيل إلى زوال وأن التاريخ يقول بذلك .

إن « نبوختنصر » الكلدانى لم يكن من رجال فتح أوحاس أو الجهاد الفلسطينى عندما فعل فعلته في عام ٥٨٦ ق.م وأزال اليهود وحرم فلسطين عليهم كذلك لم يكن سرجون الثانى ملك آشور من حزب الله أو المنظمات الإسلامية عندما دمر إسرائيل وجعلها ولاية آشورية عام ٧٢١ ق.م ولم يكن كذلك الملك (بيتبوس) حينما أباد شعب اليهود وسبوا الباقين عام ٧٠ م وكذلك الإمبراطور هارديان عام ١٣٥ م إن الإسرائيليين لم يقرأوا التاريخ جيداً كما أنهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم ولا برسوله ﷺ فلو أنهم قرأوا القرآن الكريم وعرفوا هذه الآيات الكريمة لما كان هذا حالهم ولعاشوا في ظل فلسطين كرعايا وليسوا حكاماً إن هذه الآية الكريمة ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ هذه الآية لو وجد مسلم واحد يعيش في أقصى بقاع الأرض في بورنى مثلاً أو جزر المحيط الهندى أو ألاسكا أو في أية بقعة من بقاع الأرض

(الفصل الثامن)

وسأل عن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين لقدم إلى فلسطين وحرر هذا المكان المقدس من أيدي اليهود الذين يرفضون جعل القدس الشرقية عاصمة الدولة الفلسطينية .

كذلك نحن نتلو قول الله الكريم القائل في نفس سورة الإسراء ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجازوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ﴾ (صدق الله العظيم) .

إن هذه الآيات القرآنية تقطع بالدليل القاطع على أن إسرائيل للاحالة زائلة كذلك فإن قول رسول الله ﷺ عن شعب مصر « ستفتح لكم مصر فاتخذوا من أهلها جنداً فهم خير أجناد الأرض وهم في رباط إلى يوم القيامة » إن مصر ليس معنى اعترافها بالسلام كمنهج سلوكي في المنطقة فإن ذلك لايعنى أنها غير قادرة على تحمل المسؤولية قبل المنطقة العربية ولكنها بكل تأكيد قادرة وفاعلة ولكن للظروف الدولية أحكامها وللخريطة الجديدة التي تقوم بتشكيلها مراكز الدراسات المستقبلية في الولايات المتحدة الأمريكية نصيبها لكن مصر ستكون محور السلام ومحور الحرب ولن يكون زوال إسرائيل سلماً أو حرباً إلا بدور من مصر فهذا قدر مصر في تحمل مسؤوليتها التاريخية عبر أغوار التاريخ .

فهل تحقق نبؤة الإزالة قريباً أو بعيداً فالزمن قادم وقادر للاحالة على تصحيح الأخطاء التي لم يتداركها الذين أداروا الصراع مع إسرائيل سلماً أو حرباً فلا مفر من نهاية إسرائيل لأن إسرائيل وجدت لتزول فهي دولة بلا جذور شأنها شأن الولايات المتحدة الأمريكية عمر الأولى ١٩٤٨ - ١٩٩٦ م وعمر الثانية مائة عام قل خمسة عام منذ اكتشاف أمريكا ١٤٩٢ م - توحيد أمريكا ١٨٥٨ م

* * *

الخاتمة

نظرة سريعة وفاحصة وعلى عجلة في ثنايا هذه الدراسة يدرك القارئ بعدها أننا وضعنا بين يديه موضوعاً يربط الماضي بالحاضر بالمستقبل عن أخطر قضية تواجه العرب في تاريخهم الحديث حيث سلبت قطعة عزيزة هي عين قلب العرب تلك هي فلسطين حيث المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين وفشلت دعوة القومية العربية في مواجهة المخطط الصليبي - الصهيوني فكان على العرب أن يقبلوا بوجود هذا الجسم الغريب سلاماً من منطلق السلاح الذرى والقوى العالمية الوحيدة القادرة للعالم ولكن السلام لا يعنى النهاية فالسلام هو البداية إلى النهاية .

لكن القارئ حين يدرك في أعماق هذه الدراسة أن حتمية الصراع عسكرياً وسلمياً لم تكن تدوم فترة طويلة ذلك ؛ لأن الحق التاريخي في صالح القضية العربية منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد عندما خرجت الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى تلك الأنحاء جنوب الشام حيث أرض فلسطين ثم تنساح جنوباً عبر سيناء إلى مصر وشمالاً إلى سوريا ولقد خرجت الهجرات من الكنعانيين والفينيقيين والبابليين والأكاديين والآشوريين والكلدانيين وسبأ ومعين وحمير تسلك طريقها لتكون الفرشة العربية في فلسطين قبل أن نسمع عن هجرات تسمى العبرانيين

الفائمة

بآلاف السنين ويكونوا وحدة عربية قديمة شارك فيها أخوة العرب فراعنة مصر وشملت كل هذه المناطق حتى آسيا الصغرى ولأسيا أن القرن الثالث قبل الميلاد قد شهد الهجرة العربية الواسعة إلى فلسطين ٢٥٠٠ ق.م ثم مع حركة التاريخ القديم ظهرت أحداث سياسية واسعة ضمت مصر مع أقطار الشرق العربي ثم كانت القبيلة العربية بولستو Pulestiu حوالى عام ١١٩٢ ق.م ومن ثم أخذت فلسطين اسمها من هذا الاسم وهنا نستطيع القول أن فلسطين عربية قبل هذا التاريخ كله أخذت اسمها منذ أربعة قرون هكذا فلسطين وهنا نضع الدليل القوى على عروبة فلسطين منذ أقدم الأزمنة .

وبعد ذلك تحركنا كثيراً عبر فترات زمنية ؛ لأننا لم نقصد أن يكون بحثاً تاريخياً عبر المراحل المختلفة لكن أردنا أن يكون له بعداً سياسياً مستقبلياً ومن ثم كان حديثنا عن الفكر الصهيونى وكيف ظهر على سطح الأحداث منذ القرن السابع عشر محاولاً اغتصاب فلسطين من أهلها الشرعيين بإنشاء وطن قومى لليهود وتحرير اليهود بواسطة اليهود وقد طرحت العديد من الأفكار بشأن تحديد وطن أو أوطان غير فلسطين لكن كان التصميم على اغتصاب فلسطين ، فكانت محادثات سايكسو بيكو ثم وعد بلفور ١٩١٧ م وكيف استغل اليهود تسامح العرب الذين في فلسطين وفتحت فلسطين للهجرة اليهودية أمام اليهود في ظل حكم الانتداب البريطانى لآسيا أن عدد اليهود كان بسيطاً جداً لا يزيد عن ستة آلاف يهودى عام ١٩١٤ م لكن الهجرة من مختلف بلاد العالم جعل الغلبة لليهود لآسيا في ظل تحالف أمريكا وبريطانيا وكل أوروبا على العرب فكان قيام إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ م .

ثم كيف وقعت إسرائيل في مأزق تاريخى لآسيا جاء احتلالها لشعب له تاريخ حضارى وثقافى عميق لم يدرك الصهيونيون والصليبيون عمق النضال والقدرة على الرد والتصادم عبر التاريخ ومن هنا فإن الذين أعطوا وعد بلفور وساعدوا على الهجرة بالجملة وأمدوها بالسلاح والعتاد والتقنية العلمية وقعوا في خطأ كبير ؛ لأن العرب ليسوا هنود حمر أو زنوج كالأقزام أو البوشمن أو البانتو ولكنهم شعب صانع حضارة وأنهم لن يقبلوا مهما كانت التحديات العالمية بأن تسلب أراضيهم ويأتى من يقيم عليها دولة من منطلق القوة والسيادة . إن الجذور العربية وقوة البعد الحضارى مهما كانت حالات الاستسلام القادرة على تصحيح وصمة العار الإسرائيلية ومهما تكن إسرائيل من قوة علمية واقتصادية وتكنولوجية وامتلاك للسلاح النووى

النهاية

فإن ذلك مهما فعلت الولايات المتحدة والاتفاقيات الأمنية وضمان أمن السلاح وتفوقها على العرب ، فإن ذلك لن يحول عن امتلاك أى من الدول العربية أو الإسلامية للسلاح الذرى لاسيما أن هناك خمسون دولة مرشحة لامتلاك هذا السلاح في خلال عشرون عامًا ، ولابد أن تكون أى من هذه الدول عربية أو إسلامية وهنا سوف يكون التوازن مع إسرائيل ويستطيع العرب أن يحققوا مطالبهم ولا تستبد إسرائيل بالرأى وفرض الرأى بأن التوازن النووى سوف يكون مقدمة لاقتلاع هذا الداء الخبيث من الجسم العربى .

ولكن يكون هذا السلاح ضامناً لبقاء إسرائيل ، ثم تأتى بعد ذلك على الدور الأمريكى الذى يقود العالم منفرداً بعد عام ١٩٨٩ م سقوط الكيان السوفيتى والكتلة الاشتراكية وتمزق هذا الكيان وفرض الإرادة الأمريكية على الشعوب الصغيرة وفرض قضية السلام على الشعوب العربية من منطلق إعادة صياغة المنطقة العربية من جديد فإن ذلك لن يدوم ففوة شرق آسيا الاقتصادية (اليابان - الصين - دول النمر - الهند) قادمة لا محالة وسوف تحقق التوازن فى مدى ربع قرن (٢٥ عامًا) ووقتها سوف نجد أمريكا نفسها وقد ظهرت قوة تنافسها وتحاول أخذ زمام المبادرة منها ولاسيما أن أمريكا تعاني من مشاكل داخلية كثيرة ؛ لأنها شعب خليط من من شتى الأجناس ويعانى كساداً اقتصادياً ومشكلة الديون والأقليات والزنج وغيرها من المشاكل التى تجعلها لا تستطيع أن تولى العناية الكاملة للولاية الإحدى والخمسين (إسرائيل) إن إسرائيل مهما كانت تربطها علاقات مع أمريكا وغرب أوروبا فإن ذلك سوف يكون على المدى البعيد فى طريقه إلى التراجع ؛ لأن مصالح أمريكا لأن تكون فى قوة إسرائيل وسوف لا يكون الشرق الأوسط بعد نضوب البترول ومصادر الطاقة يشكل محور اهتمام للغرب ولاسيما أمريكا وسوف يكون ذلك عامل مساعد للحركة العربية الموحدة التى سوف يكون القرن الحادى والعشرين قرناً يشهد متغيرات جوهرية فى البنية العربية التحتية ، حيث التعليم والصحة والثقافة والديمقراطية وتقارب إن لم يكن توحد العالم العربى فى أى شكل من أشكال الوحدة ؛ لأنه لاسيما بعد أن ظهرت كيانات قوية (الوحدة الأوربية) التافتا (أمريكا - كندا - المكسيك - الأسيان فى شرق آسيا) فلا بد أن تكون السوق العربية المشتركة وليس السوق الشرق أوسطية أو الوحدة الكونفدرالية العربية أو قيام أربعة كيانات عربية فى الوطن العربى لأن توحد ٢٧٠ مليون أو ٢٠٠ مليون يشكلون قوى تضعف من الوجود الإسرائيلى مهما كانت العلاقات فإن التعامل العربى قادر على مواجهة التحدى ومن ثم فإن إسرائيل المكونة من

الخاتمة

جنسيات كثيرة وطوائف غريبة وفكرة خاطئة سوف تجدد نفسها في حالة حرجة لاسيا أن إسرائيل تجمع غريب التكوين من شتات الأرض يجمعه الإحساس بالخطر في ظهور قوات عربية على الحدود ولكن في حالة السلام فإن الصراع سوف يكون داخلياً بين الفئات (السفارديم ، الأشكيناز ، واليهود الفلاشا ٩٥٪ من يهود إسرائيل) عناصر خزرية من وسط آسيا ثم تفرقوا في شرق أوروبا ولا يشكلون أدنى صلة بيهود التوراة الذين ذابوا في المجتمعات واعتنقوا المسيحية والإسلام ولم يعد لهم أدنى كيان في تشكيلة الخريطة السكانية الإسرائيلية ، وكذلك وجود مليون عربي إسرائيلي يعيشون حالياً داخل إسرائيل فإنهم سوف يزداد عددهم وتنمو قوتهم (ثورة خمسين قرية عربية في إسرائيل ضد الاحتلال الإسرائيلي بمناسبة يوم الأرض ١٩٨٦م) بعد مرور عشرة أعوام (راديو لندن مساء ٣٠/٣/١٩٩٦) دليل قوى على الدور العربي في إسرائيل الذي سوف يكون له دور فعال في المدى البعيد لاسيا أن هناك ثلاث أحزاب عربية ولها اثنا عشر عضو في الكنيست كل ذلك سوف يكون عامل هدم في بناء إسرائيل داخلياً .

إن الانبهار الخارجي سوف يكون عندما تتعارض المصالح الفلسطينية الإسرائيلية في العديد من الأمور لاسيا مصادر المياه والحدود والمستوطنات فإن ذلك يشكل خطر لا بد أن يحدث من صراع في حرب قادمة ؛ لأن ١٩٧٣م لن تكون آخر الحروب ؛ لأن الكيانات الإقليمية لا بد أن تحدث بينها صراعات وهنا يكون للعالم العربي المحيط بالدولة الفلسطينية دور في إدارة دفة الصراع لأن خسائر إسرائيل لمرحلة واحدة سوف تكون نهايتها الأبدية .

وعلى هذا فإن كيان إسرائيل إلى زوال . لاسيا أنى تعلمت وأنا صغير في قرىتي الغنايم الواقعة في حوض الجبل في صعيد مصر الجواني أن نقطة الدم لا تزالها الأيام والسنين وأنها غير قابلة للعفن والعطن ، فكيف لا تتحرك الدماء في عروق الأجيال القادمة على الطريق ليغسلوا وصمة عار قيام إسرائيل في القرن العشرين (١٩٤٨) لاسيا أن أبناء العروبة في القرون القادمة لن يكونوا مثل جيلنا هذا فلن ولن تدوم إسرائيل مائة عام بل مائتي عام بل خمسمائة عام وهكذا تزول إسرائيل من خريطة العالم العربي والعالم كله مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا ما جاء وعد الآخرة جئنا بكم لقيفا ﴾ [سورة الإسراء آية ١٠٤] . أى جمعناكم في أرض إسرائيل من بقاع الأرض لتسكنوا هذه الأرض ويكون جمعكم هو النهاية .

* * *

كتب صدرت للمؤلف

- ١ - الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى والاتحاد السوفيتى سابقاً . دار الأمين، ١٩٩٦م .
- ٢ - الإسلام والثقافة العربية في أوروبا . عالم الكتب، ١٩٧٩م .
- ٣ - معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامى والأوربى . عالم الكتب، ١٩٩٦م .
- ٤ - الإسلام والعروبة في السودان . مكتبة العربى، ١٩٨٥م .
- ٥ - حركة المد الإسلامى في غرب أفريقيا . مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٦م .
- ٦ - الإسلام والمسلمون في جزر البحر المتوسط . مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٦م .
- ٧ - دور مصر الحضارى في القارة الأفريقية . دار الموقف العربى، ١٩٩٣م .
- ٨ - جمال حمدان في ذاكرة التاريخ . دار الإشعاع، ١٩٩٣م .
- ٩ - عروبة مصر قبل الإسلام . القاهرة، ١٩٩٣م .
- ١٠ - كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون . القاهرة ١٩٩٣م .
- ١١ - موسوعة تاريخ المغرب العربى . ستة أجزاء . بيروت . مديولى، ١٩٩٤م .
- ١٢ - الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين . مديولى ١٩٩٥م .
- ١٣ - الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا . مكتبة مديولى، ١٩٩٦م .
- ١٤ - الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا . مديولى ١٩٩٦م .

وقد تُرجم بعض من هذه الكتب إلى اللغة اليابانية والإنجليزية .

له أكثر من ألف مقال في العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية والإسلامية في مختلف أقطار العالم الإسلامى :

السعودية - الكويت - الإمارات العربية - اليمن - المغرب - الهند .

كتب في : الأهرام - الندوة - أخبار العالم الإسلامى - المدينة المنورة - مجلة رابطة العالم الإسلامى -
مجلة التضامن الإسلامى - مجلة الفيصل - مجلة الدعوة - مجلة العرب - مجلة
الوعى الإسلامى - مجلة البلاغ (الكويت) - مجلة قافلة الزيت - مجلة منار الإسلام -
مجلة الضياء - مجلة الإرشاد - مجلة دعوة الحق (المغرب) - مجلة الرائد (الهند) .



إسرائيل إلى زوال

هذه الدراسة ليست قصةً خياليةً أو روايةً بوليسيةً أو أضغاث أحلام ، بل هي دراسة تاريخية سياسية تضرب في أعماق الزمن البعيد قبل الميلاد لتؤكد عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد ، وكيف كان الاغتصاب الصهيوني الإسرائيلي لأرض أولى القبلتين وثالث الحرمين نكبةً حلت بالعالم العربي في عصره الحديث بعد أن فشل الاستعمار في العصور الوسطى (الحروب الصليبية) والعصر الحديث في السيطرة على دار العروبة والإسلام ، فكان زرع إسرائيل تقسيمًا وسيطرةً على العالم العربي .

لكن ذلك لن يكون نهايةً للتاريخ ، فالصراع مستمر ، والزمن قادم ، والعرب باقون ، ولن تكون الأيام إلا شاهدًا على زوال إسرائيل ، ولقد عالج الباحث المدقق الدكتور عبد الفتاح مقلد هذه الدراسة ربطًا بين الماضي والحاضر والمستقبل ؛ ليضع أمام الأجيال رؤيةً تاريخيةً لنهاية إسرائيل .

وهذا الكتاب لاغنى عنه لكل فئات القراء الذين يتابعون حركة التاريخ ويدركون أن الحتمية التاريخية تؤكد زوال إسرائيل مهما كانت الأحداث الحالية على الساحة العربية والعالمية .

الناشر

DAR AL AMEEN

طبع * نشر * توزيع

دار الامين

٨ شارع أبو المعالي (خلف مسرح البالون) العجوزة ت : ٣٤٧٣٦٩١
١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم
١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفى) القاهرة ت : ٩٣٢٧٠٦

توزيع
جسيه